جويس ماير

JOYCE MEYER

أكثر من ٤ ملايين نسخة مباعة!

معركة الذهن

كيف تكسب الحرب الدائرة في ذهنك

النسخة المحدثة

Battlefield of the mind

Winning the Battle in Your Mind

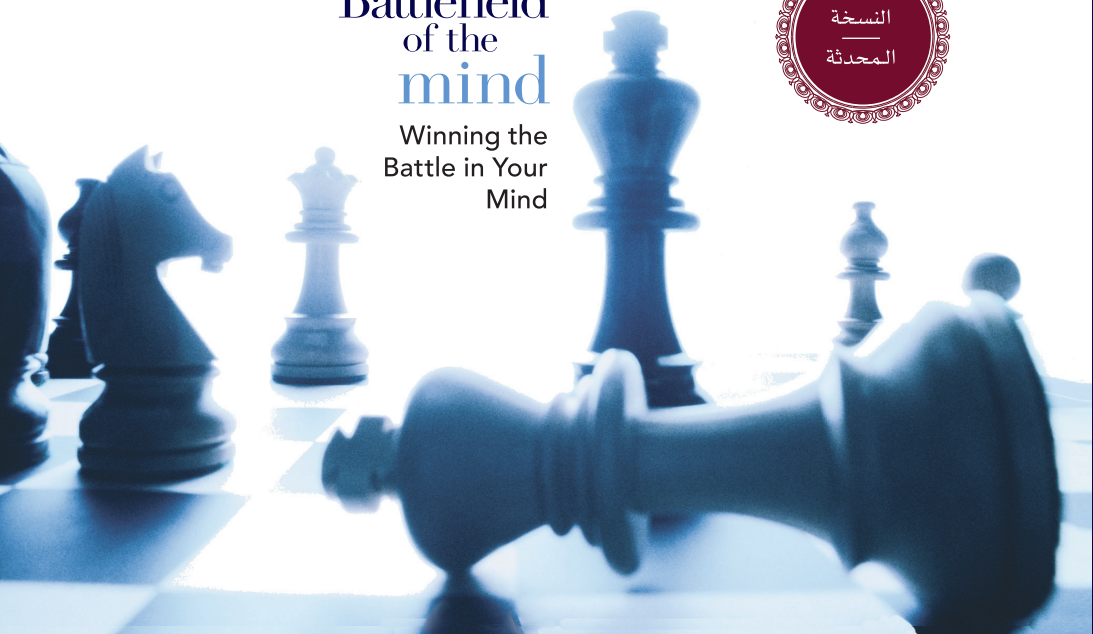

معركة الذهن

جويس ماير

Originally published in English under the title:
Battle of the Mind, Wining the Battle in Your Mind

معركة الذهن

المـــــؤلف : جويس ماير
النـاشـــــر : خدمات جويس ماير
الطبعـــــة : النسخة المنقحة ٢٠٢٤
حقوق الطبع محفوظة

Arabic Edition Copyright © 2024 by PTW, Translators and Publishers
All rights reserved. No portion of this book may be reproduced, stored in a retrieval system or transmitted in any form or by any means-electronic, mechanical, photocopy, recording or any other- except for brief quotations in printed reviews، without prior permission of the publisher.

النشر و التوزيع:
B.T.W للترجمة والنشر
تليفون : 28406980 - 28406981 (+ 202)

Be The Way
Translators & Publishers

E-mail:btw@btwegypt.com
www.btwegypt.com

رقم الإيداع: ٢٠١٤/٩٨٦٦
الترقيم الدولي: ٨-٢٠-٦١٢٤-٩٧٧

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقلها، أو استنساخه بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق من الناشر.

محتويات الكتاب

مقدمة ٩
١- العقل هو أرض المعركة ١١
٢- ضرورة مُلحَّة ٢١
٣- لا تستسلم ٢٥
٤- قليلًا قليلًا ٢٩
٥- كن إيجابيًّا ٣٣
٦- أرواح تقيد ذهنك ٤١
٧- تأمل في ما تفكر فيه ٤٥

الجزء الثاني: أحوال الذهن

مقدمة ٥٣
٨- متى يكون ذهنك في حالةٍ طبيعية؟ ٥٥
٩- ذهن شارد متسائل ٦١
١٠- ذهن مشوَّش ٦٥
١١- ذهن يشك ولا يؤمن ٧٣
١٢- ذهن قلق متوتر ٨٣
١٣- ذهن ديَّان، ناقد، شكاك ٩٣
١٤- ذهن خامل ١٠٥
١٥- فكر المسيح ١١٣

الجزء الثالث: العقلية البرية (التي تفكر بطريقة خاطئة)

مقدمة ١٣١
١٦- هل يتحقق مستقبل الإنسان بماضيه وحاضره؟ ١٣٥
١٧- ليفعل شخصٌ آخر هذا الأمر ١٤١
١٨- يارب يسِّر لي الأمور ١٤٩
١٩- خرج زمام الأمر من يدي ١٥٥

٢٠- لا تجعلني أنتظر طويلًا فمن حقي أن أنال كل شيء في الحال ١٦١
٢١- قد يكون سلوكي خاطئًا ولكن الذنب ليس ذنبي! ١٦٧
٢٢- حياتي بائسة جدًّا كم أشعر بالأسف على نفسي فحياتي مزرية ١٧٥
٢٣- لا أستحق بركات الرب لأني غير جدير بها ١٨١
٢٤- لما لا أحقد على الآخرين وأحسدهم عندما يكونون أفضل حالًا مني؟ ١٨٧
٢٥- إن لم أفعل الأمر بطريقتي فلن أفعله! ١٩٣

إهداء

أود أن أهدي هذا الكتاب لابني الأكبر ديفيد

فأنا أعلم أن شخصيتك تشبه شخصيتي إلى حدٍّ كبير، وأعلم أنك عانيت كثيرًا في معركة الذهن. ولكني أراك تنمو وتتطور باستمرار، وأعلم أنك تعيش حياة النصرة بسبب ذهنك المتجدد.

أحبك يا ديفيد، وأود أن أخبرك أني فخورة بك. استمر في تقدمك للأمام.

الجزء الأول
أهمية الذهن

مقدمة

"إذ أسلحَةُ مُحارَبَتنا ليستْ جَسَديَّةً (ليست من دم ولحم) بل قادرَةٌ بالله علَى هَدم حُصون. هادمينَ ظُنونًا وكُلَّ عُلو يَرتَفعُ ضدَّ مَعرفَة الله، ومُستأسِرينَ كُلَّ فكرٍ إلَى طاعَةَ المَسيح" (٢ كو ١٠: ٤- ٥).

كيف يمكن أن نوفي أهمية الأفكار حق قدرها حتى نستطيع أن نشرح معنى ما جاء في (أمثال ٢٣: ٧): **"لأنَّهُ كما شَعَرَ في نَفسه هكذا هو"؟**

الحقيقة هي أني كلما خدمت الرب ودرست كلمته، أدركت أهمية الأفكار التي نفتكر بها، والكلمات التي تخرج من شفاهنا. ومن وقتٍ لآخر، أجد الروح القدس يقودني لدراسة هذين الأمرين.

فكثيرًا ما أقول إننا نحتاج أن ندرس عن أهمية الأفكار والكلمات طالما نعيش في هذا العالم. ومهما كان مقدار ما نعرفه عن هذين الموضوعين، فلا تزال هناك أمور جديدة نحتاج أن نتذكرها.

فما معنى ما جاء في (أمثال ٢٣: ٧)؟ إنها تعني أنه **"كما يفتكر الإنسان في قلبه، هكذا يكون"**. أو **"كما يفتكر الإنسان في قلبه هكذا يصبح"**.

إن العقل هو القائد والمتقدم في كل الأعمال. ويتضح ذلك من (رومية ٨: ٥) **"فإنَّ الذينَ هُم حَسَبَ الجَسَد فبما للجَسَد يَهتَمّونَ، ولكن الذينَ حَسَبَ الرّوح فبما للرّوح (الروح القدس)"**.

إن أفعالَنا هي نتيجَة مباشرة لما نفكر فيه؛ فإن كان لنا ذهن سلبي، فمن المؤكد أننا نعيش حياةً سلبيةً. والعكس صحيح؛ فعندما يتجدد ذهننا بحسب كلمة الله، سنختبر إرادة الله الصالحة والمرضية والكاملة

لحياتنا (رومية ١٢: ٢).

لقد قمت بتقسيم هذا الكتاب إلى ثلاثة أجزاء، يتناول الجزء الأول منه موضوع أهمية الأفكار وفي هذا الجزء أحاول أن أركز على أهمية التفكير فيما نفكر فيه.

تتأصل مشاكل الكثيرين في طريقة تفكيرهم، والتي تنتج عنها المشاكل التي يعانون منها. وينجح إبليس في عرض أفكار خاطئة على كل فرد فينا، ولكننا غير مُجبَرين على قبولها. لذلك نحتاج أن نعرف أسلوب التفكير الذي يتفق مع الروح القدس، وأسلوب التفكير الذي يتعارض معه.

ويوصينا الكتاب المقدس في (٢ كورنثوس ١٠: ٤- ٥) بأن نعرف الكتاب المقدس بالقدر الكافي حتى نستطيع تمييز أفكارنا من أفكار الله، وحتى نستأسر كل فكر يعلو ضد معرفة المسيح.

وصلاتي هي أن يساعدك هذا الكتاب على فعل ذلك. إن العقل هو أرض المعركة؛ فمن المهم أن نوحد أفكارنا لتتفق مع أفكار الله، وهو أمر عملي يستغرق الكثير من الوقت والدراسة.

لا تفشل؛ فحياتك ستتغير رويدًا رويدًا. فكلما تغير ذهنك للأفضل تغيرت حياتك للأفضل أيضًا، وعندما ترى خطة الله الصالحة لحياتك وتدركها بعقلك ستقرر أن تسلك فيها.

١
العقل هو أرض المعركة

"فإنَّ مُصارَعَتَنا ليستْ مع دَم ولَحم (مع أعداء جسديين)، بل مع الرّؤَساء، مع السَّلاطيِّن، معَ وُلاة العالَم علَى ظُلمَة هذا الدَّهر، معَ أَجناد الشَّرِّ الرّوَحيَّة في السَماويّاَت (في العالَم الروحي)" (أفسس ٦: ١٢).

يتضح لنا من هذه الآية أننا في حرب، وبدراسة الآية دراسةً متأنيةً يتضح لنا أن حربنا ليست مع بشر ولكن مع إبليس وجنوده. ويحاول العدو أن يهزمنا عن طريق سياسة يتبعها وخدعة يمارسها علينا وخطة مدروسة جيدًا يتعمد فيها خداعنا.

إبليس كذاب؛ حيث وصفه المسيح في (يوحنا ٨: ٤٤) بأنه كذاب وأبو الكذاب؛ فهو يكذب عليك وعليَّ، ويخبرنا بأشياء غير صحيحة عن أنفسنا وعن الآخرين وعن ظروف حياتنا. إلا أنه لا يخبرنا بالأكذوبة كلها مرةً واحدةً، فإنه يخترق أذهاننا بفكرة صغيرة تحتوي على الشك أو الخوف أو التعجب أو العقلانية أو إحدى النظريات الحديثة. ثم يتحرك ببطء وحذر (فالخطط المدروسة جيدًا يستغرق تنفيذها بعض الوقت). وتذكر أنه يحارب بسياسة وخطة موضوعة، وبعد أن يصرف وقتًا طويلًا في دراسة شخصياتنا. فهو مثلًا يعلَم جيدًا ما يستهوينا وما لا يعجبنا، ويعلم نقاط الضعف فينا كما يعرف الأشياء التي تخيفنا، والأشياء التي تقلقنا. وهو يسعى لهزيمتنا مهما كلفه الأمر من وقت؛ فالصبر إحدى نقاط قوة إبليس.

هدم حصون

"إذ أسلحَةُ مُحارَبَتنا ليستْ جَسَديَّةً (ليست من دم ولحم) بل قادرَةٌ بَالله علَى هَدَم حُصون. هادمينَ ظُنونًا وكُلَّ عُلو يَرتَفعُ ضدَّ مَعرفَة الله، ومُستأسرينَ كُلَّ فكرٍ إلَى طاعَة المَسيح" (٢ كو ١٠: ٤- ٥).

من سياسات إبليس الماكرة وحيَله الملتوية أنه يبني حصونًا في أذهاننا، والحصن هو المكان الذي يسجننا فيه إبليس ويقيدنا نتيجةً لطريقة تفكير معيَّنة نفكر بها.

وفي قول بولس الرسول أعلاه يتضح لنا أن عندنا من الأسلحة ما يكفي لهدم تلك الحصون. وسنتكلم عن هذه الأسلحة بتفصيل أكثر في الصفحات التالية من هذا الكتاب. ولكن أريدكم أن تدركوا أننا في حرب روحية مع إبليس وجنوده. ويوضح لنا (ع ٥) من هذا الجزء الكتابي أرضَ المعركة؛ حيث تدور الحرب التي نشترك فيها. فعلينا أن نأخذ تلك الأسلحة ونفند المجادلات. فإبليس يجادل معنا ويعرض علينا نظرياته وأسبابه، وكل هذه الأشياء تحدث في الذهن.

فالذهن هو أرض المعركة.

ملخص للموقف

رأينا فيما سبق:

١- أننا نشترك في حرب.

٢- عدونا هو إبليس.

٣- الذهن هو أرض المعركة.

٤- يعمل إبليس جاهدًا حتي يبني حصونًا في أذهاننا.

٥- يقوم إبليس بعمل ذلك بواسطة خطط مدروسة وحيل.

٦- لا يتعجل إبليس الأمور، بل ينتظر حتى يرى خططه تنجح.

والآن دعونا ندرس خططه من خلال أحد الأمثلة:

القصة من وجهه نظر ماري

لا تتمتع ماري وزوجها جون بعلاقة زوجية سعيدة؛ فبينهما شجار دائم كثير، ولذلك فكلاهما غاضب وحانَق طوالَ الوقت. أنعم الله عليهما بولدين، ولكن الولدين يعانيان الكثير بسبب المشاكل المستمرة بين الأب والأم، وظهرت نتيجة معاناتهما في سلوكهما في المدرسة ودرجاتهما في الامتحانات، كما يعاني أحدهما من مشاكل في أعصاب المعدة.

وتتركز مشكلة ماري في أنها لا تعرف كيف تجعل جون سيدًا للبيت؛ فهي تسيطر على الأمور، وتريد أن تتخذ كل القرارات، وتعالج كل الأمور المادية، وتقوم بتربية الولدين، وتريد أن تعمل ليكون لها مالها الخاص؛ فهي شخصية استقلالية، صاخبة، تطلب الكثير وتسبب الإزعاج لمن حولها.

وربما تعتقد أنك تعرف الحل لهذه المشكلة: "تحتاج ماري أن تقبل المسيح مخلصًا شخصيًّا لها". لكنها بالفعل نالت الخلاص وقبلت المسيح منذ خمس سنوات، أي بعد أن تزوجت جون بثلاث سنوات. "فهل تقصدين أنه حدث تغيير في شخصية ماري منذ أن قبلت المسيح مخلصًا شخصيًّا لها؟"

نعم، فقد تغيرت حياتها، وهي تؤمن أنها ستذهب إلى السماء بالرغم من شعورها الدائم بأنها مدانة بسبب سلوكها السيئ. فقبل أن تتقابل مع المسيح، كانت حياتها بائسة بلا رجاء، أما الآن فحياتها بائسة فقط.

تعرف ماري أن تصرفاتها خاطئة وتريد أن تتغير، ولذلك ذهبت لتلقِّي المشورة من شخصين، بالإضافة إلى أنها تطلب من كل مجموعة صلاة أن تصلي لأجلها حتى تنتصر على الغضب والتمرد وعدم الغفران والمرارة. ولكن لماذا لم تتغير؟

وإجابة هذا السؤال نجدها في (رومية ١٢: ٢): "**ولا تُشاكلوا** (تتكيفوا مع عادات وتقاليد) **هذا الدَّهرَ** (هذا الجيل)، **بل تغَيَّروا عن شَكلكُمْ بتجديدِ أذهانِكُمْ، لتختَبِروا ما هي إرادَةُ اللهِ: الصّالِحَةُ المَرضيَّةُ الكامِلَةُ**

(في نظره من نحوكم)".

لقد بُنيت حصون في ذهن ماري، وظلت هناك لسنوات. حتى ماري نفسها لا تعرف كيف بُنيت تلك الحصون في ذهنها. وهي تعرف أنها يجب ألا تتمرد أو تمارس سلطتها على الآخرين، ولكنها لا تعرف ماذا ينبغي أن تفعل حتى تغيِّر طبيعتها. ويبدو أنها تتصرف برد فعل معيَّن في بعض المواقف لأنها لا تستطيع السيطرة على تصرفاتها. وسبب عجز ماري عن أن تسيطر على تصرفاتها هو عدم قدرتها على السيطرة على أفكارها، بسبب وجود حصون بناها إبليس منذ وقت طويل في ذهنها.

يبدأ إبليس في تنفيذ خططه المدروسة بإحكام وفي بث حيله المتعمدة في سن مبكرة جدًّا. لقد بدأت المشاكل في حياة ماري منذ وقتٍ طويل، منذ أن كانت طفلةً صغيرةً.

كان والد ماري شخصًا متسلطًا إلى أقصى حد، وكان ينهال عليها بالضرب لمجرد أنه لم يكن في حالة مزاجية جيدة. وكان يصب جام غضبه عليها إن أخطأت ولو خطأً بسيطًا. وقد عانتً ماري لسنوات طويلة من سوء معاملة والدها لها ولوالدتها، وعدم احترامه لهما. أما بالنسبة لأخيها، فقد كان مفضلًا لدى الأب فقط لأنه ذكر وليس أنثى.

وعندما بلغت ماري السادسة عشرة من عمرها، كان إبليس قد نجح في تغيير فكرها وإقناعها بأكاذيب، مثل "يعتقد الرجل أنه أعظم من المرأة ولكنهما متساويان. فلا يمكن أن تثقي في أيٍ رجل لأن الرجال سيجرحون مشاعركِ ويستغلون موقفكِ. ولو كنتِ رجلًا لاستطعتِ أن تفعلي ما يحلو لكِ، وأنَ تأمري كل من همَ حولكِ فيَطيعونكِ، وتعاملِيَنهم بالطريقة التي ترِيدِينها، دون أن يستطع أي شخَص (من غيرَ الزوجات والبنات) أن يفعل شيئًا".

وهكذا، تشكَّل ذهن ماري بفكرة واحدة: "عندما أخرج من بيت أبي، لن يستطع أحد أن يجبرني على فعل شيًء". فًبدأ إبليس حربه بالفعل في أرض المعركة التي هي ذهن ماري. فهل من الممكن أن تتوارد مثل تلك الأفكار على ذهن شخص ما مئات بل آلاف المرات على مدى عشر سنوات دون أن تترك آثارها المدمًرة عليه؟ وهل من الممكن أن تتزوج ماري وتصبح الشخصية الوديعة الخاضعة التي تحب زوجها وتكرمه؟ حتى وإن أرادت ماري أن تكون

تلك الزوجة، فإنها لن تعرف السبيل لذلك. هذا هو حال ماري اليوم. ما عساها أن تفعل؟ وما عسى أي منا أن يفعل إن كان في نفس موقفها؟

أسلحة الكلمة

"إِنْ ثَبَتُّمْ في كلامي (تمسكتم بتعاليمي وطبقتموها في حياتكم) فبالحَقيقَة تكونونَ تلاميذي، وتعرِفونَ الحَقَّ، والحَقُّ يُحَرِّرُكُمْ" (يوحنا ٨: ٣١- ٣٢).

في هاتين الآيتين يخبرنا المسيح بسر نصرتنا على أكاذيب إبليس. علينا أن نعرف الحق وأن نجدد أذهاننا بكلمته، فنستطيع أن نستخدم السلاح المذكور في (٢ كورنثوس ١٠: ٤- ٥) لكي نهدم الحصون وكل ما يرتفع ضد معرفة الله.

وهذه الأسلحة هي الكلمات التي نسمعها في التعليم والوعظ والكتب وشرائط الكاسيت والمحاضرات ودراسة الكتاب، ولكن علينا أن نثبت ونتمسك (باستمرار) بها حتى تصبح إعلانًا لنا من الروح القدس؛ فالاستمرارية مهمة جدًّا. قال المسيح في (مرقس ٤: ٢٤): **"انظُروا ما تسمَعونَ!** (الحق الذي تسمعونه). **بالكَيل** (بمقدار ما تفكرون وتدرسون) **الذي به تكيلونَ يُكالُ لكُمْ ويُزادُ لكُمْ** (معرفةً وخيرًا)". لذلك أكرر، أنه لا بد من الاستمرار في استخدام سلاح الكلمة.

وهناك سلاحان آخران يمكن أن نستخدمهما في حربنا مع إبليس، وهما التسبيح والصلاة. فالتسبيح يهزم العدو أسرع من أي خطة حربية أخرى، ولكن علينا أن نُخلص في تسبيحنا للرب، وأن يكون التسبيح من القلب وليس من الشفتين. ويحتوي التسبيح والصلاة على كلمة الله؛ فنحن نسبح الله بحسب كلمته ومن أجل صلاحه.

والصلاة هي علاقة مع الله الآب، وهي المثول أمامه طلبًا للمعونة، أو للحديث معه في أمر يشغل فكرنا. ولكي تتمتع بحياة صلاة مؤثرة، عليك أن تنمِّي علاقةً شخصيةً حميمةً مع الله الآب؛ فهو يحبك وهو رحيمٌ وسيسرع لنجدتك. تعرَّف على المسيح الصديق الأقرب من الأخ، والذي مات لأجلك. واعرف الروح القدس، فهو معك كل حين ليعينك؛ فهو المعزِّي.

تعلم أن تملأ صلاتك بكلمات من الكتاب المقدس؛ فصلاتنا يجب أن تقوم على كلمة الله وعلى التقدم إليه باحتياجاتنا الشخصية. وهكذا تُعتَبَر كلمه الله السلاح الذي نستخدمه بطرق مختلفة؛ فالرسول بولس يقول إن أسلحة محاربتنا ليست جسديةً ولكنها روحيةٌ. نحتاج إلى أسلحة روحية؛ لأننا نحارب أرواحًا. لقد استخدم يسوع سلاح الكلمة في البرية لكي يهزم إبليس (لوقا ٤: ١- ١٣). كان يسوع يواجه أكاذيب إبليس بكلمة الله قائلًا "مكتوب..." ثم يستشهد بما جاء فيها.

وعندما تتعلم ماري كيف تستخدم أسلحتها، ستنجح في هدم حصون إبليس التي بناها في ذهنها، وستعرف الحق والحق سيحررها. وعندئذ ستدرك أن الله الآب لا يشبه أباها الأرضي، وأن الرجال ليسوا جميعًا سواء، فبعضهم يختلف عن الآخر، وستعلم أن زوجها جون يختلف عن والدها. فهو يحبها إلى أقصى حد.

القصة من وجهة نظر جون

أما الجانب الآخر من القصة فيتعلق بجون؛ فقد عانى هو الآخر من مشاكل كثيرة ساهمت بجزء كبير في تدهور العلاقة بينه وبين ماري، وبينه وبين عائلته.

كان يجب على جون أن يأخذ دوره كرب الأسرة؛ فهذا هو الدور الذي كلفه به الرب: أن يكون كاهنًا للعائلة. وبالرغم من أنه قبل المسيح مخلصًا لحياته، وبالرغم من معرفته للترتيب الكتابي للسلطة في العائلة، وبالرغم من إيقانه بأنه لا يجب أن يترك ماري تتحكم في أمور البيت والأولاد والأمور المالية، فإنه لم يفعل شيئًا ليعيد النظام إلى العائلة، واكتفى بمشاعر الهزيمة ومشاهدة التلفاز وممارسة الرياضة.

لم يتحمل جون المسؤولية لأنه يكره المواجهة ويفضِّل أن يأخذ الجانب السلبي من الأمور، وفكره يقول: "حسنًا، ربما تستقيم الأمور من تلقاء نفسها إن لم أتدخل". وفي بعض الأحيان، كان يجد العذر في عدم تحمل المسؤولية قائلًا: "سأصلي حتي تستقيم الأمور". إن الصلاة أمر رائع ولكنها ليست السبيل لتجنب تحمل المسؤولية.

والآن دعوني أوضح لكم ما أقصده: عندما قلت إن على جون أن يأخذ

دوره في البيت كربٍّ للأسرة، لم أقصد أن يصبح الآمر الناهي المتسلط على كل من في البيت؛ لأن الكتاب المقدس يقول في (أفسس ٢٥: ٥) إن على الرجل أن يحب امرأته كما أحب المسيح الكنيسة. يحتاج جون أن يتحمل المسؤولية، ومع المسؤولية تأتي السلطة. عليه أيضًا أن يؤكد لماري أنها بالرغم من كل ما عانت منه أثناء طفولتها، فإنها سوف تستعيد ثقتها بنفسها وثقتها في جنس الرجال، وستعلم أن ليس كل الرجال مثل أبيها.

كان على جون أن يفعل أشياء كثيرة، ولكن طريقة تفكيره فتحت الباب أمام إبليس ونجح في أَسْره مثلما أَسَر ماري؛ فهناك معركة دائرة في ذهن جون. لقد عانى هو الآخر في طفولته من لسان والدته اللاذع الذي كان يؤذي مشاعره بكلمات مثل "يا لك من فاشل! لا يوجد أمل منك".

حاول جون بكل الطرق أن يرضي والدته، وكان يشتاق أن ترضى عنه (مثله في ذلك مثل أي طفل)، ولكن كلما حاول زادت أخطاؤه. كان دائمًا عابس الوجه. ولم تبخل والدته بأن تنعته بتلك الصفة طوال الوقت. وبالرغم من محاولاته لنوال رضاها، فإنه يسيء التصرف في كثيرٍ من الأحيان بسبب توتره، وبذلك باءت كل محاولاته بالفشل.

عانى جون أيضًا أثناء طفولته من مشاعر الرفض من أصدقاء كان يشتاق أن يقترب إليهم. وتلك مشاعر اختبرناها جميعًا في إحدى مراحل حياتنا، إلا أنها تسببت في زيادة شعوره بالرفض؛ لأنه كان يشعر بأنه مرفوض بالفعل من والدته.

هذا بالإضافة إلى رفض إحدى الفتيات له أثناء مرحلة الدراسة الثانوية لتعلقها بشخص آخر. وعندما حدثت كل تلك الأشياء مع جون، استطاع إبليس أن يعملَ في حياته ويبني حصونًا في ذهنه على مر السنين، وهكذا أصبح جون شخصيةً سلبيةً خجولةً تميل إلى الانسحاب من المواقف.

لقد اختار جون الانسحاب وقرر أن يكون سلبيًّا؛ فلسنوات عديدة نجح إبليس في بث أفكار في ذهنه مثل "لا فائده من التصريح بمَا تعتقدً، فلن يستمع إليك أحد على أي حال. إن أردت أن تكون مقبولًا لدى الآخرين فعليك أن تتفق معهم في كل ما يقولونه".

وفي المرات القليلة التي حاول فيها أن يتخذ موقفًا إيجابيًّا كان يفشل في نهاية الأمر، فآمن أخيرًا أن مواجهه الأمور لا تستحق كل تلك المعاناة. وصار

شعاره "سينتهي الأمر بفشلي مرة أخرى، فما الفائدة من المحاولة؟"

ما هوالحل؟

"**روحُ الرَّبِّ عليَّ، لأنَّهُ مَسَحَني لأُبَشِّرَ المَساكينَ، أرسَلَني لأشفيَ المُنكَسري القُلوب، لأناديَ للمأسورينَ بالإطلاق وللعُمي بالبَصَر، وأرسلَ المُنسَحقينَ** (المكسورين والمجروحين والمتألمين) **في الحُرِّيَّة، وَأكرزَ بسَنَة الرَّبِّ المَقبولَة** (يوم خلاص الرب)" (لوقا ٤: ١٨- ١٩).

ليس من الصعب أن نتخيل الحالة التي كان عليها البيت في وجود كل تلك المشاكل بين جون وماري. كان الصراع والخلاف في المنزل. وفي كثير من الأحيان لا يكون الصراع حربًا مُعلَنةً، ولكنه يظهر في مشاعر الغضب التي تملأ جو البيت، ولا يستطع أحدٌ أن ينكرها، ولكن أحدًا لا يحاول التعامل معها. كان البيت في اضطراب شديد، وهي حالة تُفرح إبليس.

وماذا عن ابني جون وماري؟ هل يستطيعان مواصلة الحياة بنجاح؟ ألن يكون أمرًا مهينًا أن يفشل زواج والديهما وتتحطم حياة العائلة؟

والحقيقة هي أن الحل بيد جون وماري. سيكون لما ورد في (يوحنا ٨: ٣١- ٣٢) دور حيوي في قرارهما. فإن واظبا على دراسة كلمة الله، فسيعرفان الحق. وعندما يطبقان هذا الحق في حياتهما سينالان التحرير. ولكن عليهما أولًا أن يواجها حقيقة نفسيهما وماضيهما بحسب إرشاد الرب لهما.

فالحق يُعلَن دائمًا من خلال الكلمة، ولكن الحقيقة المحزنة هي أن كثيرين لا يقبلونه. إن مواجهة أخطائنا والتعامل معها عملية مؤلمة للغاية في بعض الأحيان. والحقيقة هي أن معظم الناس يبررون سوء سلوكهم، فهم يسمحون لماضيهم والطريقة التي نشأوا بها أن تؤثر على بقية عمرهم.

إن ماضينا يفسر سبب معاناتنا، ولكن علينا ألا نأخذه عذرًا لنبقى في العبودية.

ليس لأي إنسان عذر؛ لأن المسيح مستعد للوفاء بوعده في كل وقت ليحرر الأسرى، وسيرافقنا حتى خط النهاية، وينصرنا على أي شيء، إن كنا مستعدين أن نمشي معه كل الطريق.

المنفذ

"لم تُصبكُمْ تجربَةٌ إلا بَشَريَّةٌ. ولكن اللهَ أمينٌ، الذي لا يَدَعُكُمْ تُجَرَّبونَ فَوقَ ما تستَطيعونَ، بل سيَجعَلُ مع التَّجربَةِ أيضًا المَنفَذَ، لتستَطيعوا أنْ تحتَملوا" (١ كورنثوس ١٠: ١٣).

أرأيتم من خلال هذ المثال كيف أن إبليس يستغل ظروف حياتنا ليبني حصونًا ويشن حربًا في أرض المعركة، التي هي الذهن؟ ولكن شكرًا لله الذي أعطانا الأسلحة التي نستطيع بها أن نهدم تلك الحصون؛ فالله لا يهملنا ولا يتركنا بلا رجاء. تَعدنا كلمة الله في (١ كورنثوس ١٠: ١٣) بأن الله لن يسمح لنا أن نُجرَّب فوقَ احتمالنا، ولكنه سيمنحنا منفذًا مع كل تجربة.

ربما تشبه حياتك حياة ماري أو جون، وربما مررنا نحن بتجارب مشابهة. إن مشاكلهما داخلية: في أفكارهما ونظرتهما للأمور، أما سلوكهما الظاهر فهو نتيجة لما مر بحياتهما الداخلية. يعلم إبليس جيدًا أنه سينجح في السيطرة على تصرفاتنا وأفعالنا إن نجح في السيطرة على أفكارنا.

قد تكون هناك حصون كبيرة في حياتك تحتاج أن تهدمها، لذلك دعني أقدم لك كلمة تشجيع: "إن الله يسير إلى جانبك". وتذكر أن هناك حربًا تدور في ذهنك، ولكن تشجَّع فالله إلى جانبك.

٢
ضرورة مُلحَّة

"**لأنَّهُ كما شَعَرَ في نَفسه** (فكر في قلبه) **هكذا هو**" (أمثال ٢٣:٧).

هذه الآية تجعلنا ندركَ أهمية التفكير السليم؛ فللأفكار قوة عظيمة، ولها قدرة على الإبداع. فإن كان لأفكارنا تأثير على ما سوف نصبح، فمن المهم جدًّا أن نفكر بالطريقة السليمة. ومن المهم أن تدرك مدى أهمية أن تتفق أفكارك مع كلمة الله.

أفكار الجسد ضد أفكار الروح

"**فإنَّ الذينَ هُم حَسَبَ الجَسَد فبما للجَسَد يَهتَمّونَ، ولكن الذينَ حَسَبَ الرّوح فبما للرّوحَ** (القدس)" (رومية ٨: ٥).

تعلمنا كلمة الله في (رومية ٨) أننا عندما نهتم بما للجسد سنسلك بحسب الجسد، ولكن عندما نهتم بما للروح، سنسلك بالروح. ودعوني أشرح هذه الفكرة بطريقة أخرى: عندما نفكر بحسب الجسد، نفكر بأفكار خاطئة سلبية، فلا نقدر أن نسلك بحسب الروح. ومن هنا تتضح أهمية طريقة التفكير التي تتفق مع تفكير الله لحياة مسيحية ناجحة.

في بعض الأحيان نتكاسل تجاه بعض الأمُور إن لمْ ندرك أهمية طريقة الانتباه لها. ولكن عندما ندرك أنها تسبب مشاكل كثيرة إن ظلت على حالها، نسرع لتلافيها لأننا شعرنا بأهميتها.

على سبيل المثال، لنفترض أن موظف البنك اتصل بك ليفيدك بأن حسابك في البنك مكشوف بمبلغ ٨٥٠ جنيهًا. بالطبع ستبدأ في البحث عن المشكلة التي سبَّبت ذلك. وقد تكتشف أنك لم تودع المبلغ ولكنك ظننت أنك

أودعته بالفعل. لذلك تذهب إلى البنك مسرعًا وتودع المبلغ حتى لاتوقع نفسك في مشاكل أكبر.

أريدك أن تفكر في تجديد ذهنك بنفس الطريقة.

وقد تكون طريقة التفكير الخاطئة هي السبب في الفوضى الموجودة في حياتك. فإن كان الوضع هكذا، فلا بد أن تدرك أن حياتك لن تستقيم إن لم يستقم ذهنك أولاً. وعليك أن تعتبر هذا الموضوع على قدر كبير من الأهمية. كن جَادًّا بشأن هدم حصون إبليس التي بناها في ذهنك واستخدم سلاح كلمة الله والتسبيح والصلاة.

بالروح

"**لا بالقُدرَةِ ولا بالقوَّةِ، بل بروحي قالَ رَبُّ الجُنودِ**" (زكريا ٤:٦).

لكي تنال الحرية يجب أن تطلب معونة الله كل الطريق، وبصفة مستمرة. وتُعتَبَر الصلاة أحد الأسلحة المُستَخدَمة في الحرب. فإصرارك وحده لا يكفي للتغلب على ما أنت فيه. نعم، عليك أن تصر على النصرة، ولكن إصرارك يجب أن يكون بالاتكال على الروح القدس لا على قوتك البشرية فالروح القدس هو المعين الذي يقف بجانبك، فاطلب معونته؛ فالنجاح لن يكون حليفك إن دخلت الحرب بمفردك.

ضرورة حيوية

التفكير السليم ضرورة مُلحَّة لكل مؤمن. والضرورة الملحة هي ما لا يستطيع المرء الاستغناء عنه لمواصلة الحياة، مثل ضربات القلب أو ضغط الدم، فكلها أمور لا يمكن للمرء أن يحيا بدونها.

لقد أعلن الله لنا هذا الحق، وعرفنا أهمية الشركة الشخصية معه بالصلاة وقراءة الكلمة. كنت أحاول بكل الطرق أن أواظب على تلك الأمور حتى أعلن لي الله أنها ضرورة ملحة للحياة المسيحية. فكما أن حياة الجسد تعتمد على قيامه بالوظائف الحيوية، هكذا حياتي الروحية تعتمد على المواظبة على قضاء وقت كل يوم مع الله. وبمجرد أن أدركت أن شركتي مع الله ضرورة مُلحَّة، أصبحت الأولوية الأولى في حياتي.

وبمجرد أن أدركت أن التفكير السليم ضرورة مُلحَّة لحياة مسيحية منتصرة، منحت اهتمامًا حقيقيًّا لما أفكر به واختيار أفكاري بدقة.

كما تفكر، هكذا تكون

"اجعَلوا الشَّجَرَةَ جَيِّدَةً وثَمَرَها جَيِّدًا، أو اجعَلوا الشَّجَرَةَ رَدِيَّةً وثَمَرَها رَدِيًّا، لأنْ مِنَ الثَّمَرِ تُعرَفُ الشَّجَرَةُ" (متى ١٢: ٣٣).

يقول الكتاب المقدس إن الشجرة تُعرَف من ثمارها، سواء كانت جيدةً أم رديئةً. وينطبق هذا القول على حياتنا أيضًا؛ فإن كانت أفكارك جيدة، كانت ثمار حياتك جيدةً، وإن كانت أفكارك ردية، كانت ثمار حياتك رديئةً.

وتستطيع أن تعرف طريقة تفكير أي شخص من سلوكه في الحياة؛ فالإنسان الطيب ذو القلب الوديع، لا توجد في ذهنه أفكار ردية شريرة. والعكس صحيح، فالشخص الشرير لا توجد في ذهنه أفكار حسنة توجهها المحبة.

تذكر ما جاء في (أمثال ٢٣: ٧) وليكن لهذه الآية تأثير على حياتك. فكما تفكر في قلبك، هكذا تكون.

٣
لا تستسلم

"فلا نفشل في عمل الخير، لأننا سنحصد في وقته إن كنا لا نكل" (غلاطية ٦:٩).

لا تفشل مهما كانت الظروف التي تمر بها صعبة، ومهما كانت حالة ذهنك مُتعبة. عُد وامتلك الأرض التي سلبها منك عدو الخير. ولو اقتضى الأمر أن تعود وتمتلكها شبرًا شبرًا، متكلاً على نعمة الله، لا على قدراتك وإمكانياتك، حتى تنال ما تبتغي.

يشجعنا الرسول بولس في غلاطية ٦:٩ حتى نواصل المسيرة. لا تستسلم ولا تفشل. انتهر روح الاستسلام، فالله يبحث عن أناس يكملون الطريق معه حتى النهاية.

استمر رغم الظروف

"إذا اجتَزتَ في المياه فأنا معكَ، وفي الأنهار فلا تغمُرُكَ. إذا مَشَيتَ في النّار فلا تُلذَعُ، واللَّهيبُ لا يُحرقُكَ" (إشعياء ٤٣:٢).

مهما كانت الظروف التي تمر بها ومهما كانت ضغوط الحياة، لا تستسلم بل استمر رغمًا عنها ولا تفشل. يقول الكتاب في سفر حبقوق إن أقدامنا يجب أن تكون كأقدام الأيائل، وهي حيوانات تتسلق الجبال بسرعة وخفة.

"الرَّبُّ السَّيِّدُ قوَّتي، ويَجعَلُ قَدَمَيَّ كالأيائل، ويُمَشِّيني علَى مُرتَفَعاتي (الصعاب والمسؤوليات)**"** (حبقوق ٣:١٩).

يعيننا الرب على التقدم في الحياة الروحية بأن يكون معنا ليقوينا ويشجعنا لنستمر حتى في أصعب الظروف. من السهل أن نفشل، لكن من الإيمان أن نستمر.

إنه اختيارنا

"أُشهِدُ عليكُمُ اليومَ السماءَ والأرضَ. قد جَعَلتُ قُدّامَكَ الحياةَ والموتَ. البَرَكَةَ واللَّعنَةَ. فاختَرِ الحياةَ لكَيْ تحيا أنتَ ونَسلُكَ" (تثنية ٣٠:١٩).

هناك آلاف الأفكار التي تُقدم إلينا كل يوم، فيجب أن يتجدد ذهننا حتى يتبع ما للروح وليس ما للجسد. نحن لا نحتاج لبذل أي مجهود لنفكر أفكارًا خاطئة. ومن الناحية الأخرى، نحتاج أن نختار قصدًا وعمدًا أن نفكر بطريقة صحيحة طوال الوقت.

وعندما نشعر بأن معركة الذهن صعبة لا يمكن أن ننتصر فيها، يجب أن ننتهر تلك الأفكار على الفور، ونختار أن نؤمن بأننا قادرون على الانتصار فيها. وليس هذا فقط، لكن يجب أيضًا ألا نستسلم. وعندما يتسرب الخوف والشك إلى قلوبنا يجب أن نقف ونقول: "لن أستسلم أبدًا، فالله إلى جانبي، وهو يحبني وسيعينني".

وخلال رحلة الحياة نقوم بعدد لا حصر له من الاختيارات. في (تثنية ٣٠: ١٩) يقول الرب لشعبه إنه جعل أمامهم الحياة والموت، وأوصاهم أن يختاروا الحياة. وفي (أمثال ١٨: ٢١) يقول: **"الموت والحياة في يد اللسان وأحباؤه يأكلون ثمره"**.

تُترجَم أفكارنا إلى كلمات. فمن المهم أن نختار أن نفكر أفكار حياة. وعندما نفعل، ستخرج من أفواهنا الكلمات الصحيحة.

لا تستسلم

عندما يبدو الأمر وكأن المعركة لا نهاية لها وأنك لن تغلب، تذكر أنك تفكر تفكيرًا جسديًّا. عاود التفكير بحسب فكر الله. الأمر ليس مستحيلًا، ولكنه صعب.

فقط اُذكر أن الله إلى جانبك وفي صفك، وآمن أنه أفضل مبرمجي الكمبيوتر في العالم. يشبه ذهنك الكمبيوتر الذي يختزن الكثير من النفايات، لكن الله يعمل في حياتك عندما تعطيه السيادة على أفكارك، فيعيد برمجة ذهنك، فقط عليك أن تتعاون معه ولا تستسلم.

من المؤكد أن الأمر لن يكون سهلًا، بل سيستغرق الكثير من الوقت. ولكن إن كنت قد اخترت أن تفكر أفكار الله، ستسير في الطريق الصحيح. وإن استثمرت وقتك في عمل شيء مبارك، فمن المؤكد أنك تتقدم إلى الأمام، بعيدًا عن الفوضى التي كنت فيها من قبل.

عد وامتلك

"الرَّبُّ إِلَهنا كلَّمَنا في حوريبَ قائلاً: كفاكُمْ قُعودٌ في هذا الجَبَل، تحَوَّلوا وارتَحلوا وادخُلوا جَبَلَ الأموريِّينَ... اُنظُرْ. قد جَعَلتُ أمامَكُمُ الأرضَ. ادخُلوا وتملَّكوا الأرضَ التي أقسَمَ الرَّبُّ لآبائكُمْ إبراهيمَ وإسحاقَ ويعقوبَ أنْ يُعطيَها لهُمْ ولنَسلهِمْ منْ بَعدهمْ" (تثنية ١: ٦- ٨).

أخبر موسى بَني إسرائيل في (تثنية ١: ٢) بأن الرحلة من أرض مصر إلى أرض كنعان تستغرق أحد عشر يومًا، لكن الرحلة استمرت أربعين سنة. ثم أخبرهم في (ع ٦) بأن الرب يوصيهم بألا يكتفوا بالقعود في هذا الجبل.

فهل طال بقاؤك في هذا الجبل؟ وهل قضيت أربعين عامًا في محاولة للقيام برحلة لا تستغرق أكثر من أحد عشر يومًا؟

ذات يوم، استيقظت من نومي وأدركت أن حياتي لا تتقدم للأمام. كنت أعيش حياةً مسيحيةً بلا نصرة. كانت حياتي تمتلئ بالحصون التي بناها إبليس عبر سنوات وسنوات، كما فعل مع جون وماري. لقد صدقت أكاذيب إبليس، ولذلك كنت أعيش في خداع طوال الوقت.

لقد طال بقائي في نفس الجبل، وبحسب الحق الموجود في كلمة الله صرفت أربعين عامًا في رحلة لا تستغرق سوى بضعة أيام! وقد أراني الله أن بني إسرائيل قضوا أربعين سنة في البرية لأن عقلهم كان مبرمجًا للعيش في البرية، وهي طريقة تفكير خاطئة كانت نتيجتها العبودية. وسوف نناقش هذا الأمر في الفصول التالية بتفصيل أكثر، ولكن الآن يجب أن تختار أن تجدد ذهنك، وأن تتعلم كيف تنتقي أفكارك بدقة. ضع في قلبك ألا تفشل وألا تستسلم حتي يكون النصر حليفك، وحتى تمتلك الأرض الروحية التي هي ميراثك الشرعي من عند الله.

٤
قليلاً قليلا

"ولكن الرَّبَّ إلَهَكَ يَطرُدُ هؤُلاء الشُّعوبَ منْ أمامكَ قَليلاً قَليلاً. لا تستَطيعُ أنْ تُفنيَهُمْ سريعًا، لِئلا تكثُرَ علَيكَ وُحوشُ البَرِّيَّة" (تثنية ٧: ٢٢).

لا تحدث عملية تجديد الذهن دفعةً واحدةً، بل قليلًا قليلًا ورويدًا رويدًا. لذلك لا تفشل إن شعرت أن الأمر يستغرق وقتًا كثيرًا.

أخبر الله بني إسرائيل وهم على أعتاب دخول أرض الموعد أنه سيطرد أعداءَهم من أمامهم "قليلاً قليلا" لئلا تكثر عليهم وحوش البرية. وأعتقد أن تلك الوحوش هي كبرياؤنا القادر أن يهلكنا إن تحررنا في وقت قليل. فمن الأفضل أن نتحرر رويدًا رويدًا حتى نعطي تلك الحرية التي نلناها حق قدرها، وندرك أنها بالفعل عطية من الله وليست شيئًا حصلنا عليه نتيجة اجتهاد ذاتي.

الألم يسبق التحرير

"وَإلَهُ كُلِّ نعمَة الذي دَعانا إلَى مَجده الأبديِّ في المَسيح يَسوعَ، بَعدَمَا تألَّمتُمْ يَسيرًا، هو يُكَمِّلُكُمْ، وَيُثَبِّتُكُمْ، ويُقَوِّيكُمْ، ويُمَكِّنُكُمْ" (١ بطرس ٥: ١٠).

لماذا يجب أن نتألم يسيرًا؟ فمنذ أن ندرك وجود مشكلة في حياتنا، وإلى أن يحررنا المسيح منها نحتمل بعض المعاناة، ولكننا نفرح عندما يأتي التحرير. وعندما تفشل محاولاتنا، وعندما ندرك أننا لا نستطيع أن نحرر أنفسنا، علينا أن نتكل عليه بالكامل. وعندما يقوم الله بعمل ما لم نستطع نحن أن نعمله تفيض قلوبنا بالشكر والتسبيح.

لا دينونة

"إذًا لا شَيءَ مِنَ الدَّينونَة الآنَ علَى الذينَ هُم في المَسيح يَسوعَ، السّالكينَ ليسَ حَسَبَ الجَسَد بل حَسَبَ الرّوح" (رومية ٨: ١).

ارفُض أن تدين نفسك عندما تَمر بيوم عصيب أو عندما تسقط. فقط قُم وانفض الغبار عن نفسك، وابدأ من جَديد؛ فالطفل يسقط كثيرًا وهو يتعلم المشي وقبل أن يكتسب الثقة في أنه يقدر أن يمشي. ولكن الأمر المُشجع في الطفل هو أنه يعيد المحاولة مرةً تلو الأخرى بالرغم من سقوطه المتكرر.

سيحاول إبليس بكل الطرق أن يوقفك ويمنعك من تجديد ذهنك؛ لأنه يعلم أنه سيفقد السيطرة عليك بمجرد أن تتعلم كيف تختار الأفكار الصحيحة وترفض الأفكار الخاطئة. وسيحاول أن يوقفك بأن يبث مشاعر الفشل والدينونة في قلبك؛ فعندما تشعر بإدانة إبليس لك، استخدم سلاح كلمة الله واستشهد بما جاء في (رومية ٨: ١) مذكّرًا نفسك وإبليس بأنك لا تسلك حسب الجسد بل حسب الروح. فالسلوك حسب الجسد يعتمد على الذات أما السلوك بحسب الروح فيعتمد على الله.

وعندما تفشل (وهذا سيحدث)، فهذا لا يعني أنك فاشل، ولكنه ببساطة يعني أنك غير كامل. وعلينا أن نقبل حقيقة وجود نقاط ضعف فينا بالإضافة إلى نقاط القوة. فقط اسمح للمسيح أن يكمل ضعفك بقوته وأن يكون قوتك في الأيام التي تشعر فيها بالضعف.

أكرر "لا تقبل دينونة إبليس لك. وتأكد أنك ستنتصر ولكن قد يستغرق الأمر وقتًا ولكنك ستنتصر في النهاية قليلًا قليلا".

لا تفشل

"لماذا أنت مُنحَنيَةٌ يانَفسي؟ ولماذا تئنِّينَ فيَّ؟ ارتَجي اللهَ، لأنِّي بَعدُ أحمَدُهُ، لأجل خَلاص وجهه" (مزمور ٤٢: ٥).

يتحطم الأمل أمام الفشل، لذلكَ يحاوَل إبليس باستمرار أن يُشعرك بالفشل؛ فبدون الأمل يستسلم الإنسان، وهذا ما يريده عدو الخير. ولذلك يوصينا الكتاب المقدس في أكثر من موضع ألا نفشل، لأن النصر لن يكون حليفنا إن شعرنا بالفشل، والله يشجعنا دائمًا في بداية كل أمر جديد عندما يقول: "لا نفشل". يريدنا الله أن نتشجع ونتقوى.

فعندما تنتصر عليك مشاعر الفشل والدينونة، امتحن أفكارك. ماهي نوعيتها؟ هل هي أفكار مثل:

"لن أنجح؛ فالأمر في غاية الصعوبة. الفشل حليفي دائمًا. وأنا واثق أن من حولي لا يعانون من كم الصعوبات التي أواجهها حتى يتجدد ذهني. ربما حان وقت الاستسلام، فلقد سئمت من المحاولات. يبدو أن الله لم يعُد يستجيب صلواتي. وربما يكون السبب في ذلك هو أن سلوكي لا يرضيه".

إن كنت تفكر بهذه الطريقة، فأنت تشعر بالفشل وتدين نفسك. وتذكر أنه كما تفكر في قلبك هكذا تكون؛ فإن كانت أفكار قلبك تدعو للفشل، فمن المؤكد أن ستشعر بالفشل، وإن كانت أفكار قلبك تدينك، فمن المؤكد أنك ستشعر بالدينونة. غير فكرك فتتحرر، وبدلًا من الأفكار السلبية، لتكن أفكارك مثل هذه:

"بالرغم من أن الأمور تسير ببطء إلا أني أشكر الرب من أجل التقدم الذي أحرزه. من دواعي سروري أني أسلك في الطريق الصحيح المؤدي في نهايته إلى الحرية. لقد كان يومي عصيبًا بالأمس وهذا جعلني أفكر بطريقة سلبية. لكني أطلب منك أيها الآب السماوي أن تغفر لي وتساعدني حتى أستمر. لقد أخطأت ولكني أعدك ألا أرتكب نفس الخطأ مرة أخرى. وفي بداية يوم جديد أعلم أنك تحبني وأن رحمتك هي جديدة في كل صباح".

"يارب، أرفض مشاعر الفشل والدينونة؛ فالكتاب يقول إنه لا شيء من الدينونة الآن عليَّ. لقد أرسلت ابنك ليموت من أجلي. سأكون على ما يرام اليوم. سيمر يومي بسلام. ساعدني يارب حتى أنتقي أفكاري اليوم". ومن المؤكد أنك ستشعر بالانتصار عندما تفكر بهذه الطريقة الإيجابية التي تتفق مع فكر الله.

يريد الإنسان أن يحصل على ما يريد في الحال. ولكن تذكر أن التأني والصبر من ثمار الروح. ففي بعض الأحيان يستغرق خلاصنا وتحريرنا بعض الوقت. يستخدم الله أوقات الانتظار العصيبة حتى تظهر ثمرة الإيمان والصبر في حياتنا (يعقوب ١: ٤). إن توقيت الله كامل، وهو لا يتأخر أبدًا.

وإليك فكر آخر تفكر به: "أنا أثق في الله وأؤمن بأنه يعمل في حياتي مهما كانت مشاعري ومهما كانت ظروف حياتي. لقد بدأ عملاً صالحاً في حياتي وهو قادر أن يتممه (فيلبي ٢: ١٣، ١: ٦)".

بهذه الطريقة، تستطيع أن تستخدم سلاح كلمة الله لهدم حصون العدو، وأشجعك على ألا تتوقف عند حد التفكير بطريقة صحيحة، لكن سِرْ للميل الثاني وقل لنفسك كلمات التشجيع بصوت عالٍ.

تذكر أن الرب يحررك قليلاً قليلاً، فلا تفشل ولا تقبل الدينونة إن أخطأت.

كن صبورًا مع نفسك.

٥
كن إيجابيًّا

"**كما آمَنتَ ليَكُنْ لكَ**" (متى ٨: ١٣).

يولِّد الفكر الإيجابي حياةً إيجابيةً، ويولِّد الفكر السلبي حياةً سلبية؛ فالأفكار الإيجابية تمتلئ بالإيمان والرجاء، أما الأفكار السلبية فتمتلئ بالخوف والشك.

يخشى بعض الناس أن يأملوا في شيء بسبب تجارب سابقة مؤلمة في حياتهم عندما خابت آمالهم، فيعتقدون أنهم عاجزون عن مواجهة نفس الألم مرة أخرى، ويرفضون أن يأملوا في شيء حتى لا تخيب آمالهم مرة أخرى. ويكون رفضهم للأمل أحد أسلحة الدفاع عن أنفسهم حتى لا يتألموا مرةً أخرى. ولما كانت خيبة الأمل أمرًا مؤلمًا، يختار البعض ألا يعلقوا آمالهم على كل شيء، والبعض الآخر يختار أن يؤمن بأنه لن يرى شيئًا صالحًا، وتتحول حياتهم إلى سلسلة من الأفكار السلبية. ولا ننسى ما جاء في (أمثال ٢٣: ٧)، **فكما يفتكر الإنسان في قلبه هكذا يكون.**

منذ عدة سنوات كانت حياتي سلبيةً للغاية، وكنت أقول إن الأفكار الإيجابية تصيب ذهني بالتوتر العضلي. وتلخصت فلسفتي في الحياة في العبارة التالية: "إن لم تنتظر حدوث شيء جيد في حياتك، فلن تصاب بخيبة الأمل إن لم يتحقق".

لقد خاب الكثير من آمالي في الحياة، وحدثت معي أمور غير سارة بالمرة، حتي أني كنت أخشي توقع حدوث شيء جيد. وكانت نظرتي سلبيةً لكل شيء. ولأن أفكار قلبي كانت سلبيةً، كانت كلماتي وحياتي أيضًا سلبيةً.

وعندما بدأت في دراسة كلمة الله، وآمنت أن الله قادر أن يعيد لحياتي

بهجتها، أدركت أن أول الأمور التي يجب أن أعالجها هي السلبية السائدة على حياتي. قال المسيح في (متى ٨: ١٣) إنه بحسب إيماننا يكون لنا. ولما كنت أؤمن بكل ما هو سلبي، حدثت كل الأمور السلبية في حياتي.

وبالطبع هذا لا يعني أننا ننال ما نريده بمجرد أن نؤمن به؛ فعند الله خطة كاملة لكل فردٍ منا، ولا نستطيع نحن أن نحده بأفكارنا أو كلماتنا. ولكن يجب أن نفكر ونتكلم بكل ما يتفق مع مشيئته وخطته لحياتنا.

وإن كنت لا تعلم حتى هذه اللحظة ما هي مشيئة الله من نحوك، فلماذا لا تبدأ بالتفكير قائلًا: "بالرغم من عدم معرفتي بمشيئة الله من نحوي، فإني أعلم أنه يحبني، وأنه يريد الخير لحياتي، لذلك سيباركني".

ابدأ بالتفكير بطريقة إيجابية في حياتك، ومارس إيجابية التفكير في كل موقف يواجهك مهما كان سيئًا. فقط آمن أن الله سيحوله للخير كما وعد في كلمته.

كل الأشياء تعمل معًا للخير

"ونَحنُ نَعلَمُ أنَّ كُلَّ الأشياء تعمَلُ مَعًا للخَير (لتحقيق خطة الله الصالحة) للذينَ يُحبّونَ الله، الذينَ هُم مَدعوّونَ حَسَبَ قَصده" (رومية٨: ٢٨).

لا تقول هذه الآية إن كل شيء على ما يرام، وإنما تقول إن كل الأشياء ستعمل معًا للخير.

ولنفترض أنك تريد أن تتسوق، فتتوجه إلى سيارتك، ولكنك تجدها معطلة. هنا تستطيع أن تنظر للأمر بإحدى طريقتين؛ إما أن تقول: "كنت أعرف أن هذا سيحدث؛ ففي كل مرة أود القيام بعمل شيء، تفشل خطتي التي وضعتها. كنت أعلم أن رحلة المشتريات تلك ستنتهي بمأساة. وهذا ما يحدث لي دائمًا في كل مرة أخطط فيها للقيام بأمر ما". أو أن تقول: "كنت أود القيام بشراء بعض الأشياء، ولكن يبدو أني لن أستطيع عمل ذلك الآن. يجب الانتظار حتى أصلح السيارة. ولكني أؤمن أن هذا التغيير في الخطة التي وضعتها سيكون لخيري. فلا بد أن هناك سببًا لبقائي في المنزل اليوم، ولذلك سأستمتع بهذا الوقت".

يوصينا الرسول بولس في (رومية ١٢: ١٦) أن نكون مستعدين للتكيف مع الأوضاع والآخرين. والفكرة هنا أن نتعلم كيف نحطط لحياتنا، ولكن علينا أيضًا ألا ننهار عندما يحدث تغيير أو تعديل لتلك الخطط.

أتيحت لي الفرصة مؤخرًا لكي أطبق هذا المبدأ الكتابي. كنت مع زوجي في مدينة دعانا الرب للخدمة فيها مدة ثلاثة أيام. وعندما كنا نستعد لحزم أمتعتنا للتوجه للمطار، قررت أن أرتدي بنطلونًا وبلوزة وحذاء مريحًا حتى تكون رحلة العودة مريحة، ولكني لم أجد البنطلون الذي قررت أن أرتديه. وبعد أن بحثت عنه في كل مكان وجدته في قاع الحقيبة وقد ظهرت عليه الكسر. فلم أستطع ارتداءه بالرغم من محاولاتي لإعادة كيِّه.

فكان الاختيار التالي أن أرتدي فستانًا وحذاء بكعب عال. وبدأت أشعر بالغضب والضيق... هل رأيت كيف تغلبنا مشاعرنا عندماً تسير الخطط التي رسمناها على عكس ما نشتهي؟ وأدركت على الفور أن هناك قرارًا يجب أن أتخذه؛ فإما أن تتوتر أعصابي لأن الأمور لم تسر بالطريقة التي أردتها، أو أن أتكيف مع الوضع الجديد وأستمتع برحلة العودة على أي حال.

فحتى الشخص الإيجابي لا يمكن أن يجعل كل الأمور تسير على هواه طوال الوقت، ولكنه يستطيع أن يقرر مسبقًا أنه سيستمتع بوقته مهما حدث. أما السلبي فلا يستمتع بشيء على الإطلاق.

ولا يوجد من يستمتع بصحبة الشخص السلبي، فهو عادة يملأ الجو المحيط به بالكآبة؛ لأنه كثير الشكوى والتذمر، وعادةً يكون أول من يكشف عيوب الآخرين. وحتى لو سارت الأمور على ما يرام يكون أول من يشعر بوجود مشكلة.

عندما كنت أذهب لزيارة أحد الأصدقاء بعد إجراء بعض التعديلات في منزله، كنت ألمح على الفور العيوب الموجودة في المكان مثل ورق الحائط غير المثبَّت جيدًا، دون أن أرى كل الأشياء الجميلة الأخرى. ولكني سعيدة جدًّا لأني تحررت من طريقة التفكير السلبية تلك، وأستطيع الآن أن أستمتع بالحياة وأن أؤمن بأن كل الأشياء، حتى لو بدت رديئة، سوف تعمل معًا للخير.

فإن كنت شخصًا سلبيًّا، ارفُض إدانة إبليس لك؛ فالإدانة أمر سلبي. إن الهدف من مشاركتي لك بهذه الأمور هي أن أساعدك لترى مشكلتك وتثق

في الله حتى يحررك من سلبيتك.

إن الطريق إلى الحرية يبدأ عندما نواجه مشاكلنا دون أن نحاول إيجاد عذر لها، فأنا واثقة أن كل شخص سلبي له أعذاره ومبرراته التي تسببت في أن يصبح على ما هو عليه. ولكن تذكَّر أننا صرنا كمؤمنين خليقة جديدة بحسب قول الكتاب.

خليقة جديدة

"إذًا إنْ كانَ أحَدٌ في المَسيح فهو خَليقَةٌ جديدَةٌ: الأشياءُ العتيقَةُ (الطبيعة الروحية والأخلاقية القديمة) قد مَضَتْ، هوذا الكُلُّ قد صارَ جديدًا" (٢ كورنثوس٥: ١٧).

لأنك صرت خليقة جديدة، لا تسمح لما حدث لك في الماضي أن يؤثر على حياتك الجديدة في المسيح. لقد أصبحت خليقة جديدة، وتجدد ذهنك بحسب كلمة الله. لذلك توقع أن تحدث لك أشياء سارة. افرح، إنه يوم جديد.

عمل الروح القدس

"لكني أقولُ لكُمُ الحَقَّ: إنَّهُ خَيرٌ لكُمْ أنْ أنطَلِقَ، لأنَّهُ إنْ لم أنطَلِقْ لا يأتيكُمُ المُعَزِّي (المشير والمعين والشفيع ومعطي القوة والسَند). ولكن إنْ ذَهَبتُ أرسلُهُ إليكُمْ. ومَتَى جاءَ ذاكَ يُبَكِّتُ العالَمَ على خَطيَّةٍ وعلى برٍّ وعلى دَينونَةٍ" (يوحنا ١٦: ٧- ٨).

أصعب جزء في عملية التحرير من السلبية هو عندما تواجه الحقيقة قائلًا: "أنا شخص سلبي، ولكني أريد أن أتغير. وأنا لا أستطيع أن أغير نفسي، ولكن أؤمن أن الله سيغيرني إن وثقت فيه. أعلم أن الأمر قد يستغرق بعض الوقت، ولكني لن أفشل ولن أيأس. لقد بدأ الله في عملًا صالحًا، وهو قادر أن يتممه" (انظر فيلبي١: ٦).

اطلب من الروح القدس أن يبكتك في كل مرة تكون فيها سلبيًّا؛ فهذا جزء من عمل الروح القدس؛ إنه يبكتنا على خطية وعلى بر. اطلب من الرب

أن يعينك عندما يبكتك الروح القدس، ولا تتكل على ذاتك في معالجة الأمر. فقط اتكل على الرب.

لقد أراني الله أنه يستطيع أن يجعل مني شخصية إيجابية للغاية بالرغم من السلبية الشديدة التي عشت بها طوال سنين عمري. لقد صرفت وقتًا طويلًا في محاولات جادة حتى أفكر بطريقة إيجابية. والآن لا أحتمل التفكير السلبي على الإطلاق. مثل الشخص الذي لا يحتمل رائحة السجائر بعد أن أقلع عن التدخين. هكذا كان الحال معي. لقد كنت أدخن لسنوات عديدة، وبعد أن أقلعت عن التدخين، لم أعد أحتمل رائحة الدخان. وبعد أن كنت سلبية إلى أقصى حد، لم أعد أحتمل رائحة السلبية الآن. لقد رأيت الرب يصنع في حياتي الكثير من الأمور الصالحة منذ أن تحررت من التفكير السلبي، فأصبحت ضد التفكير السلبي على طول الخط.

لقد واجهت الحقيقة، وأشجعك أن تفعل مثلي. فإن شعرت بالمرض، لا تقل: "أنا لست مريضًا"؛ لأن هذا يخالف الواقع، ولكن قل: "إن الله سيشفيني". ولا تقل: "من المحتمل أن تسوء حالتي وربما أضطر للذهاب إلى المستشفى". ولكن تستطيع أن تقول: "يد الله الشافية ستلمس جسدي وأؤمن أن حالتي ستكون على ما يرام".

لابد أن تكون حياتنا معتدلة. وهذا لا يعني أن نخلط الإيجابية ببعض من السلبية، بل أن يكون لنا الذهن الواعي المستعد للتعامل مع كل ما يحدث سواء كان إيجابيًّا أو سلبيًّا.

ذهن مستعد

"وكانَ هؤُلاء (أهل بيرية) أشرَفَ منَ الذينَ في تسالونيكي، فقَبلوا الكلمَةَ بكُلِّ نَشاط فاحصينَ الكُتُبَ كُلَّ يوم: هل هذه الأُمورُ هكذَا؟" (أعمال١٧: ١١).

تطالبنا كلمة الله بأن نتحلى بذهن نشط مستعد، وهذا يعني أن يكون لنا الذهن المفتوح لقبول مشيئة الرب مهما كانت هذه المشيئة من نحونا.

تقابلت مؤخرًا مع شابة انفصلت عن خطيبها منذ عدة أيام بعد أن صرفت معه وقتًا في الصلاة لأجل علاقتهما، حتى يعلن لهما الرب بوضوح

إن كانا يجب أن ينفصلا أم يستمرا معًا. إلا أنها كانت تأمل أن تستمر علاقتهما، وكانت تفكر وترجو وتصلي حتى يعاود خطيبها الاتصال بها ليخبرها أنه يكنُّ لها نفس المشاعر القديمة. فطلبت منها أن تتحلى بالذهن المستعد لقبول كل شيء حتى تكون مستعدة إن لم يسر الأمر وفق ما تريد. فقالت: "أليست هذه سلبية؟"

لا، هذه ليست سلبية، فالسلبية هي أن تفكر: "لم يعد لحياتي معنى، ولن يتقدم شاب آخر لخطبتي. لقد فشلت في علاقتي الأولى. يا لي من إنسانة تعيسة!"

أما الإيجابية فهي أن تفكر: "لقد آلمني كثيرًا ما حدث ولكني أثق في الرب، وأتمنى لو أن يعاود خطيبي الاتصال بي. وسأصلي حتى تعود علاقتنا إلى ما كانت عليه. ولكني أريد أن تتحقق مشيئة الله في حياتي قبل كل شيء. فإن لم تسر الأمور كما أردت، فلن تتوقف الحياة عند هذا الحد. قد يكون الأمر صعبًا في بدايته، ولكني أثق في إلهي وأؤمن أن كل الأشياء سوف تعمل معًا للخير".

بهذه الطريقة تكون قد استطاعت أن تواجه الواقع بذهن مستعد وبإيجابية. وهذا هو الاعتدال.

قوة الرجاء

"فهو (إبراهيم) على خلاف الرَّجاء (المنطق البشري) آمَنَ على الرَّجاء، لكَيْ يَصيرَ أَبًا لأُمَم كثيرَة، كما قيلَ: "هكذا يكونُ نَسلُكَ". وإذ لم يَكُنْ ضَعيفًا في الإيمان لم يَعتَبِرْ جَسَدَهُ - وهو قد صارَ مُماتًا، إذ كانَ ابنَ نَحو مئَة سنَة - ولا مُماتيَّةَ مُستَوْدَع سارَةَ. ولا بعَدَم إيمان ارتابَ في وَعد اللَّه، بل تقَوَّى بالإيمانَ مُعطيًا مَجدًا للَّه" (رومية ٤: ١٨- ٢٠).

نؤمن أنا وزوجي أن الرب سيبارك خدمتنا ويوسعها عامًا بعد الآخر، لأننا نشتاق أن نخدم عددًا أكبر من الناس. ولكن إن تغيرت خطة الله ومشيئته، وإن بقيت خدمتنا في حجمها الذي بدأنا به، فلا يجب أن نجعل هذا التعبير يسلب منا فرحنا.

نحن نؤمن بأشياء كثيرة، ولكن قبل كل شيء نؤمن بالشخص الذي أوجد الأشياء، الذي هو المسيح؛ فنحن لا نعلم ماذا يحدث في الغد، ولكننا نعلم أن كل الأشياء سوف تعمل معًا لخيرنا.

ربما تعتقد أن الظروف التي تمر بها أكثر من احتمالك، وربما تقول لي: "لو علمتِ ظروفي لما طلبت مني أن أكون إيجابيًّا".

لماذا لا تقرأ (رومية ٤: ١٨-٢١) عن إبراهيم الذي درس الموقف جيدًا، ولم يتجاهل حقيقة أنه أصبح متقدمًا في العمر، وأن سارة لم تعد قادرة على الإنجاب، ولكنه آمن بالله؛ فبالرغم من عدم وجود ما يدعو للرجاء، إلا أنه آمن على رجاء، لأنه فكر بإيجابية شديدة في موقف في منتهى السلبية.

يخبرنا الكتاب المقدس في (عبرانيين ٦: ١٩) أن الرجاء هو مرساة للنفس؛ فالرجاء أو الأمل هو ما يجعلنا ثابتين أثناء التجارب. لذلك لا تيأس ولا تفقد الأمل، لأنك إن فعلت عشت حياة يائسة. فإن كنت تعيش حياة يائسة لأنك فقدت الأمل، عد وأحيي هذا الأمل من جديد. لا تخش شيئاً. ولا أعدك أن تسير الأمور دائمًا كما خططت لها، ولا أعدك ألا تخيب آمالك أبدًا. ولكنك تستطيع أن تكون إيجابيًّا حتى عندما تخيب آمالك. فقط اخضع لعمل الله المعجزي، وتوقع أن تحدث معجزات في حياتك، وانتظر أمورًا رائعة.

انتظر حتى تنال

"ولذلكَ يَنتَظِرُ الرَّبُّ (يشتاق وينتظر ويتأنى) **ليتراءَفَ عليكُمْ. ولذلكَ يَقومُ ليَرحَمَكُمْ، لأنَّ الرَّبَّ إلَهُ حَقٍّ. طوبَى لجميع مُنتَظريه"** (إشعياء ٣٠: ١٨).

هذه الآيَة محبَبة إلَى قلبي. فإن تأملتها امتلأ قلبك بالرجاء والأمل. يقول الله إنه يبحث عن شخص يتراءف عليه ويرحمه. وهذا الشخص لا يمكن أن يكون ذا تفكير سلبي، بل يجب أن يكون في حالة انتظار واشتياق لكل ما ينعم الله به عليه.

التشاؤم

بعد فترة وجيزة من بدء دراستي لكلمة الله وبينما كنت أصفف شعري، شعرت بجو غريب يحيط بي وأن شيئًا مروعًا سوف يحدث لي، وزادت هذه المشاعر مع مرور ساعات النهار. وكنت واعية جدًّا لوجودها داخلي. وسألت الرب: "ما هي هذه المشاعر التي أحس بها داخلي؟" فأجاب: "إنه التشاؤم!".

لم أكن أعرف معنى تلك الكلمة، ولم أكن قد سمعت بها من قبل، وبعد وقت قليل، قرأت الآية الموجودة في (أمثال ١٥: ١٥): "**كُلُّ أيّام الحَزين شَقيَّةٌ** (بسبب القلق والتشاؤم) **أمّا طَيِّبُ القَلب فوَليمَةٌ دائمَةٌ** (بَغض النَظرعن الظروف)".

وأدركت وقتها أن حياتي كانت تعيسة بسبب الأفكار الشريرة والتشاؤم الذي كان يملأ حياتي. صحيح أن حياتي كانت مليئةً بالظروف الصعبة. ولكن حتى في أوقات الرحب كنت أعيش تعيسةً؛ لأن أفكاري كانت مُسمَّمة فلم أكن قادرةً على الاستمتاع بالحياة وبالأيام الجميلة.

احفظ لسانك من التكلم بالشر

"**لأنَّ: "مَنْ أرادَ أنْ يُحبَّ الحياةَ، ويَرَى أيّامًا صالحَةً، فليَكفُفْ لسانَهُ عن الشَّرِّ، وشَفَتَيه أنْ تتكلَّما بالمَكرِ**" (١بطرس ٣: ١٠).

يتضح من هذه الآية أن التمتع بالحياة مرتبط برؤية أيام صالحة، وأيضًا بالتفكير والكلام الإيجابي. فحتى لو كان تفكيرك سلبيًّا إلى أقصى حد، ومهما كانت المدة التي ظللت فيها على هذا الحال، تستطيع أن تتغير. والدليل على ذلك أني تغيرت بالفعل. لقد استغرق الأمر وقتًا طويلاً ومعونة من الروح القدس، ولكن النتيجة كانت تستحق. وأنت أيضًا ستعرف أن الأمر يستحق كل المعاناة لتثق في الرب ولتكون إيجابيًّا مهما حدث.

٦
أرواح تقيد الذهن

"لا تهتَمّوا (لا تقلقوا) بشَيء، بل في كُلِّ شَيء بالصَّلاة والدُّعاء مع الشُّكر، لتُعلَمْ طلباتُكُمْ لَدَى الله. ٧وسَلامُ الله الذي يَفوقُ كُلَّ عَقل، يَحفَظُ قُلوبَكُمْ وأفكارَكُمْ في المَسيح يَسوعَ" (فيلبي ٤: ٦-٧).

أثناء مسيرتي مع الله مررت بوقت شعرتَ فيه بصعوبة بالغة في تصديق أمور كنت أؤمن بها من قبل، ولم أعرف السبب في ذلك، فأصبحت مشوَّشةً الفكر جدًّا. وكلما زاد الوقت زاد فكري تشويشًا، وقل إيماني، وبدأت أشك في دعوة الله لي للخدمة، وشعرت بأني أفقد الرؤية التي أعطاها الله لي. وهكذا أصبحت تعيسةً؛ لأن عدم الإيمان يولِّد التعاسة والبؤس.

ولمدة يومين كاملين ترددت تلك العبارة في ذهني "أرواح تقيِّد الذهن". وفي أول يوم لم أفكر كثيرًا في الأمر، ولكن عندما بدأت أصلي لأجل الناس في اليوم التالي سمعت تلك العبارة مرة أخرى، وترددت في أذني أربع أو خمس مرات "أرواح تقيِّد الذهن".

ومن خلال خدمتي لعدد كبير من الناس، أدركت أن أغلبهم يعانون من مشاكل في أفكارهم، فاعتقدت أن الروح القدس يقودني للصلاة من أجل جسد المسيح ضد الأرواح التي تقيد الذهن. وبالفعل بدأت أصلي ضد تلك الأرواح في اسم يسوع، وبعد دقائق معدودة شعرت بتحرير لا مثيل له حدث في ذهني. كان الأمر رائعًا.

التحرر من الأرواح التي تقيِّد الذهن

إن كل أمر يحررني منه الرب يكون عن طريق الإيمان والاعتراف بكلمته، وهكذا صارت الآيات (يوحنا ٨: ٣١- ٣٢) و(مزمور ١٠٧: ٢٠) اختبارًا شخصيًّا لي. فيقول الكتاب في (يوحنا ٨: ٣١- ٣٢) "**إِنْ ثَبَتُّمْ فِي كلامي فبالحَقيقَة تكونونَ تلاميذي، وتعرفونَ الحَقَّ، والحَقُّ يُحَرِّرُكُمْ**". وفي (مزمور ١٠٧: ٢٠) يقول: "**أَرسَلَ كلمَتَهُ فشَفاهُمْ، ونَجّاهُمْ مِنْ تهلُكاتهِمْ**".

وفي ذلك الوقت، أدركت على الفور أن هناك شيئًا ما حدث في ذهني. وبعد دقائق قليلة، صرت قادرةً مرة أخرى على تصديق ما كنت أشك فيه قبل أن أصرف وقتًا في الصلاة.

وإليكم مثال على ما أقول: كنت أؤمن قبل أن تهاجمني الأرواح التي تقيد الذهن، وبحسب ما جاء في (غلاطية ٣: ٢٨) أن كوني امراة من مدينة مغمورة لم يسمع عنها أحد من قبل، لا يمكن أن يؤثر على حياتي أو على خدمتي، وكنت أؤمن أنه في الوقت المعيَّن سيفتح الله الأبواب أمامي ولن يستطيع أحد أن يغلقها (رؤيا ٣: ٨). وكنت أؤمن أيضًا أن الله سيستخدمني لأعظ في جميع أنحاء العالم برسالة الحرية التي أعطاني إياها.

كنت أؤمن أن الله أعطاني الامتياز أن أكرز وأعلم كلمته عبر الأمم من خلال الإذاعة (ليس لأجل شيء صالح فيَّ، ولكن بالرغم من كل عيوبي). كنت أعرف أن الله اختار الضعفاء والجهال ليُخزي الحكماء (١ كورنثوس ١: ٢٧) وكنت أؤمن بأن الرب سيستخدمني لأشفي المرضى، وسيستخدم أولادي في الخدمة أيضًا. كنت أفكر في أشياء مثل "ربما أكون أنا قد افتعلت كل هذه الأمور من ذاتي، وربما كنت أؤمن بها لأني كنت أود أن تتحقق، ولكن قد لا يتحقق شيء منها". ولكن بعد أن انتهرت تلك الأرواح استعدت قدرتي على الإيمان بكل هذه الأشياء مرة أخرى.

قرر أن تؤمن

"**كذلكَ الرّوحُ** (القدس) **أيضًا يُعينُ ضَعَفاتنا، لأَنَّنا لسنا نَعلَمُ ما نُصَلِّي لأجله كما يَنبَغي. ولكن الرّوحَ نَفسَهُ يَشفَعُ فينا بأنّاتٍ لا يُنطَقُ بهَا**" (رومية ٨: ٢٦).

نحتاج كمؤمنين أن نقرر أن نؤمن؛ فالله يمنحنا الإيمان (الذي هو ثمر الروح) حتى نؤمن بأشياء لا يستطيع العقل أن يصدقها؛ فالعقل يريد أن يفهم كل شيء، ويطلب الإجابة على أسئلة مثل: لماذا ومتى وكيف؟ وعندما يفشل الذهن في إيجاد الإجابة على هذه الأسئلة يرفض أن يؤمن بما لا يفهمه.

وفي بعض الأحيان يؤمن الإنسان بأشياء في قلبه (الإنسان الباطن) لكن عقله يرفض تصديقها.

لذلك قررت منذ أمد بعيد أن أؤمن بما هو مكتوب في كلمة الله، وأن أؤمن بالكلمة التي يعلنها لي الرب، وبالوعود التي يعطيها لي بصفة خاصة حتى وإن لم أفهم لماذا ومتى وكيف. لكني كنت أؤمن أنها ستتحقق في حياتي.

ولكن الأمر الذي كنت أحارب ضده هذه المرة كان مختلفًا، ولم أكن قادرةً على أن أقرر شيئًا تجاهه، فقد كنت مُقيدةً بالأرواح التي تقيد الذهن، ولم أكن قادرةً أن أؤمن.

ولكن شكرًا للرب الذي أعلن لي بالروح القدس كيف أصلي. وبالفعل نلت قوةً منه بالرغم من أني لم أكن أعلم في بداية الأمر أني أصلي من أجل نفسي. كما أني على يقين أنك تقرأ هذا الكتاب الآن لأنك شعرت بالروح القدس يقودك إلى قراءته، وربما تعاني في هذا الوقت من مشاكل مماثلة. لذلك أشجعك على أن تصلي باسم المسيح وأن تنتهر بقوة الروح القدس الأرواح التي قيَّدت ذهنك. صلِّ بهذه الطريقة في كل مرة تشعر بمشاكل من هذا النوع، واذكر أن سهام إبليس التي تقذفك بها لا نهاية لها، خصوصًا عندما تكون متقدمًا في طريقك. ارفع ترس الإيمان وتذكر ما جاء في (يعقوب ١: ٢- ٨) الذي يعلمنا أننا نقدر أن نطلب من الرب حكمة في التجارب، وسيمنحها لنا ويعرِّفنا ماذا ينبغي أن نفعل.

كانت مشكلتي هي سهمًا من سهام إبليس التي صوبها نحوي، ولكن الله أعلن لي كيف أصلي وبالفعل تحررت، وهكذا تستطيع أنت أن تتحرر أيضًا.

٧
تأمل في ما تفكر فيه

"**بوَصاياكَ ألهَجُ، وأُلاحظُ سُبُلكَ** (سبل الحياة التي تحددها الشريعة)" (مزمور ١١٩: ١٥).

تعلمنا كلمة الله الأشياء التي يجب أن نفكر بها.

يقول كاتب المزمور إنه يلهج بوصايا الله، وهذا يعني أنه كان يصرف الكثير من الوقت في التفكير والتأمل في طرق الله وتعاليمه ووصاياه. وفي (مزمور ١: ٣) يقول عن الشخص الذي يفعل هذا إنه "**يكونُ كشَجَرَة مَغروسَة عندَ مَجاري المياه، التي تُعطي ثَمَرَها في أوانه، ووَرَقُها لا يَذبُلُ. وكُلُّ ما يَصنَعُهُ يَنجَحُ**". فيا له من أمر رائع أن نفكر ونَتأمل في كلمة الله. فكلما صرف الإنسان وقتًا أكبر في التأمل في كلمة الله، حصد الخير الوفير.

كن حريصًا في ما تفكر فيه!

"**وقالَ** (المسيح) **لهُمُ**: "**انظُروا** (كونوا حريصين) **ما تسمَعونَ! بالكَيل الذي به تكيلونَ** (بالقدر الذي به تدرسون وتفكرون في الحق الذي تسمَعونه) **يُكالُ لكُمْ ويُزادُ** (بالقدر الذي تحصدون معرفةً وخيرًا) **لكُمْ أيُّها السّامعونَ**" (**مرقس ٤: ٢٤**).

يا لها من آية رائعة! فكلما صرفنا وقتًا أكبر في التفكير والتأمل في كلمة الله التي نقرأها ونسمعها، وكلما علمنا الآخرين بها، زادت قوتنا على العمل بها، وزادت معرفتنا واستنارتنا بما نقرأه أو نسمعه. فنجني من كلمة الله ما استثمرناه فيها.

لاحظ أيضًا الوعد بأنه بقدر ما نفكر في كلمة الله ونعكف على دراستها بقدر ما ستكون لنا المعرفة والخير.

وفي قاموس "فاين" لتفسيركلمات الكتاب المقدس يقول إن الكلمة اليونانية "دوناميس" dunamis (والتي تعني القوة) كانت تُترجم في بعض الأحيان إلى كلمة "الخير". وفي قاموس "سترونج" لشرح كلمات الكتاب المقدس، يقول إن إحدى الترجمات لكلمة دوناميس هي القدرة والمقدرة. لا يتعمق بعض الناس في كلمة الله ويتساءلون: "لماذا تفتقر حياتنا الروحية إلى القوة والنصرة؟"

والحقيقة هي أن معظمهم لا يجتهدون ولا يقضون الوقت في دراسة كلمة الله، ولكنهم يكتفون بسماع عظات منها، أو بالاستماع لشرائط كاسيت أو قراءة الكتاب المقدس من وقت لآخر، ولكنهم لا يكرِّسون أنفسهم حتى تكون كلمة الله أولوية حياتهم الأولى، وهذا يشمل التفكير بها والتأمل فيها. إن الجسد كسول، وبعض الناس يسعون لنوال بعض الأشياء دون أن يبذلوا أي مجهود. ولكن هذه الطريقة لا تُجدي، ولذلك أكرر أن الإنسان يحصد من كلمة الله بقدر ما يستثمر فيها.

تأمل في كلمة الله

"طوبَى للرَّجُل الذي لم يَسلُكْ في مَشورَة الأشرار (لم يستمع لنصائحهم) **وَفي طريق الخُطاة لم يَقفْ** (لم يشترك)، **وفي مَجلس المُستَهزئينَ لم يَجلسْ. لكنَ في ناموس الرَّبِّ مَسَرَّتُهُ، وفي ناموسَه يَلهَجُ** (يتأمل ويفكر) **نهارًا وليلاً"** (مزمور ١: ١- ٢).

يقول قاموس "وبستر" إن كلمة "يلهج" تعني: ١. يفكر ٢. يخطط في ذهنه ويشترك في التفكير والتأمل. وفي قاموس "فاين" لتفسير كلمات الكتاب المقدس يقول إن كلمة "يلهج" تعني الاهتمام والتطبيق في الحياة العملية وممارسة ما جاء في الكلمة والتفكير والتخيل والتأمل.

وتقول كلمة الله في (أمثال ٤: ٢٠) **"يا ابني، أصغِ إلَى كلامي. أملْ أُذُنَكَ إلَى أقوالي"**. فإن وضعنا هذه الآية إلى جانب تعريف كلمة "يلهج" سترى أننا سنهتم بكلمة الله إن تأملنا فيها وفكرنا بها وطبقناها على طريقة تفكيرنا. والفكرة الرئيسية هنا هي أننا إن أردنا أن نفعل ما توصينا

به كلمة الله، فعلينا أن نقضي الوقت في التأمل فيها والتفكير بها.

وتذكر القول المأثور إن الممارسة المستمرة تؤدي إلى الإتقان. فليس من المنتظر أن نصبح خبراء في أمر ما دون أن نمارسه، فلماذا لا ينطبق هذا الكلام على الحياة المسيحية أيضًا؟

التأمل يؤدي إلى النجاح

"لا يَبرَحْ سفرُ هذه الشَّريعَة منْ فمكَ، بل تلهَجُ فيه نهارًا وليلاً، لكَيْ تتحفَّظَ للعَمَل حَسَبَ كُلِّ ما هو مَكتوبٌ فيه. لأنَّكَ حينَئذ تُصلحُ طريقَكَ وحينَئذ تُفلحُ" (يشوع ١: ٨).

إن أردت أن تنَّجح وتفلح في كل طرقكَ، وإن أردت أن يكون لك خير، فعليك أن تتأمل وتلهج في كلمة الله نهارًا وليلاً بحسب قول الكتاب. فكم من الوقت تصرف في التفكير والتأمل في كلمة الله؟ إن الإجابة الأمينة عن هذا السؤال ربما تكون الحل للمشاكل التي تعاني منها في حياتك.

لقد قضيت معظم حياتي دون أن أتأمل ما أفكر فيه. كنت ببساطة أفكر في كل ما يَرد إلى ذهني أو يخطر عليه، ولم أكن أعلم أن إبليس يقدر أن ينفث أفكاره في ذهني. لذلك امتلأ عقلي إما بأكاذيب حاول إبليس أن يخبرني بها عن نفسي وعن الآخرين، أو أشياء لا قيمة لها، لا تستحق إهدار الوقت في التفكير بها. كان إبليس يسيطر على حياتي لأنه كان يسيطر على أفكاري.

تأمل في ما تفكر فيه

"الذينَ نَحنُ أيضًا جميعًا تصَرَّفنا قَبلاً بَينَهُمْ في شَهَوات جَسَدنا، عاملينَ مَشيئات الجَسَد والأفكار" (أفسس ٢: ٣).

يحذِّرنا الرسول بولس هنا من الخضوع لطبيعة الجسد ومن طاعة شهواته والعمل بأفكار الذهن الجسدية، وبالرغم من أني كنت قد قبلت المسيح مخلصًا، فإن حياتي كانت تمتلئ بالمشاكل لأني لم أتعلم أن أسيطر على أفكاري. كنت أفكر في أشياء تشغل بالي ولكنها لم تكن أفكارًا إيجابية بنَّاءة.

كنت في حاجةٍ إلى تغيير أفكاري.

علمني الرب درسًا رائعًا في بداية عهدي بمعركة الذهن، كانت نقطة التحول في حياتي، عندما قال لي: "تأملي في ما تفكرين فيه". وعندما فعلت أدركت على الفور سبب المشاكل التي كنت أعاني منها في حياتي. كان ذهني في حالة فوضى شديدة! كنت أفكر في أشياء خاطئة.

كنت أذهب لحضور الاجتماعات وواظبت عليها لفترات، لكني لم أكن أفكر في ما سمعته. كنت أستمع بأذن واحدة أما الأخرى فكانت في مكان آخر. وكنت أقرأ الكتاب المقدس ولكنّي لم أكن أفكر في ما كنت أقرأه. لم أكن أهتم بكلمة الله ولم أعكف على دراستها والاستماع إليها، ولذلك كانت معرفتي وقوتي ضئيلةً إلى أقصى حد.

تأمل في أعمال الله

"**ذَكَرنا يا الله رَحمَتَكَ** (محبتك الثابتة) **في وسط هيكلكَ**" (مزمور ٤٨: ٩).

يتحدث داود كثيرًا عن التأمل والتفكير في كل أعمال الله العظيمة، فيقول إنه يذكر اسم الرب، ورحمته في كل مكان وفي كل وقت. فعندما كتب بالحزن (مزمور ١٤٣: ٤- ٥): "**أعيَتْ فيَّ روحي. تحَيَّرَ في داخلي قَلبي. تذَكَّرتُ أيّامَ القدَم. لهجتُ بكُلِّ أعمالكَ. بصَنائع يَدَيكَ أتأمَّلُ**".

من هاتين الآيتين يتضح أن رد فعل داود للأحزان لم يكن بأن يذكر مشكلته ويتأمل فيها، ولكن بوقوفه ضد مشاكله بأن يذكر الأوقات السعيدة، سعادة أيام القدم، ويفكر بأعمال الله ويتأمل صُنع يديه... لقد فكر في أشياء إيجابية، وهذا ساعده أن يتغلب على أحزانه.

تذكر دائمًا أن ذهنك يلعب دورًا مهمًّا في نصرتك. صحيح أن النصرة تتحقق في حياتنا بقوة الروح القدس العاملة من خلال كلمة الله، ولكن يجب أن تتفق أفكارنا مع فكر الله وكلمته، ولكن إن لم نفعل، وإن اعتقدنا أن ما نفكر فيه ليس على هذا القدر من الأهمية، فلن نختبر النصرة أبدًا.

تغيروا بتجديد أذهانكم

"**ولا تُشاكلوا** (تتكيفوا مع عادات وتقاليد) **هذا الدَّهرَ** (هذا الجيل)، **بَل تغَيَّروا عن شكلكُمْ بتجديد أذهانكُمْ** (بالكامل) **(حتي تتغير أفكاركم ونظرتكم للأمور) لتختَبروا ما هي إرادَةُ الله: الصّالحَةُ المَرضيَّةُ الكاملَةُ** (في نظره من نحوكم)" (رومية ١٢: ٢).

يقول الرسول بولس في هذا الجزء إننا نقدر أن نختبر إرادة الله الصالحة والمرضية والكاملة فقط إن تجدَّدت أذهاننا، وتجديدها يعني أنها تتوافق مع فكر الله. وعندما تتجدد أذهاننا سنتغير لنصير ما أرادنا الله أن نكون عليه، وبموت المسيح على الصليب وقيامته من الأموات أصبح هذا التغيير ممكنًا وواقعًا ملموسًا عن طريق عملية تجديد الذهن.

وحتى لا يحدث أي التباس، فإن التفكير السليم لا علاقة له بالخلاص والفداء، فالخلاص يعتمد على دم المسيح وحده وعلى موته على الصليب وقيامته. فكثيرون نالوا الخلاص لأنهم قبلوا المسيح مخلصًا شخصيًّا لحياتهم، إلا أن بعضهم لم يختبروا حياة النصرة، ولم يتمتعوا بخطة الله الصالحة لأن أذهانهم لم تتجدد لتتفق مع كلمته.

لقد كنت مثل هؤلاء الناس لسنواتٍ طويلة بالرغم من إيماني بالمسيح، وثقتي أني سأذهب للسماء، وبالرغم من مواظبتي على حضور الاجتماعات، إلا أن حياتي كانت تخلو من النصرة. والسبب في ذلك هو أني كنت أفكر في أشياء خاطئة.

ففي هذه افتكروا

"**أخيرًا أيُّها الإخوَةُ، كُلُّ ما هو حَقٌّ، كُلُّ ما هو جَليلٌ، كُلُّ ما هو عادلٌ، كُلُّ ما هو طاهرٌ، كُلُّ ما هو مُسرٌّ، كُلُّ ما صيتُهُ حَسَنٌ، إنْ كانَتْ فضيلَةٌ وَإنْ كانَ مَدحٌ، ففي هذه افتَكروا**" (فيلبي ٤: ٨).

يقدم لنا الكتاب المقدس تعاليم مفصَّلة عن الأشياء التي يجب أن نفكر فيها. وواضح من آيات الكتاب المقدس المتعددة أنه يحثنا على التفكير في كل ما هو صالح وفي كل ما يبنينا.

ومن المؤكد أن أفكارنا تؤثر على تصرفاتنا وحالتنا المزاجية؛ فتعاليم الله هي لخيرنا لأنه يعرف ما يُسعدنا وما يُتعِسنا. ولكن عندما يمتلئ الإنسان بالأفكار الخاطئة تصبح حياته تعيسةً، ومن واقع خبرتي أقول إنه عندما يكون الإنسان تعيسًا، فإنه يجلب التعاسة على حياة الآخرين أيضًا.

لذلك عليك أن تسأل نفسك باستمرار "فيما كنت أفكر؟" واقضِ بعض الوقت في امتحان أفكار قلبك.

وفحص ما تفكر فيه أمر مهم جدًّا؛ لأن إبليس عادةً يخدع الناس بقوله إن السبب وراء مشكلاتهم وتعاستهم يكمن في الظروف المحيطة بهم، ولكن الحقيقة هي أن التعاسة التي يعيشون فيها سببها ما يدور بداخل أذهانهم.

ظننت لسنوات أن سبب تعاستي هو ما يعمله الآخرون أو ما لا يعملونه لي، وكنت ألوم زوجي وأولادي على التعاسة التي كنت أعيش فيها. وكنت أعتقد أنهم لو تغيروا وانتبهوا أكثر لاحتياجاتي، وإن تواجدوا في المنزل باستمرار لكنت أكثر سعادةً، واستمر الحال هكذا لسنوات حتى واجهت الحقيقة وأدركت أن ما أطلبه لن يقدر أن يجعلني أكثر سعادةً وإنما يجب أن أختار أن يكون لي الفكر الصحيح. لقد كانت أفكاري سبب تعاستي.

ودعوني أقولها مرةً أخرى "افحص ما تفكر فيه"؛ لأنك إن فعلت ستكتشف سبب مشاكلك وتبدأ السير في طريق الحرية.

الجزء الثاني
حالات الذهن

مقدمة

"وأمّا نَحنُ فلَنا فكرُ المَسيحِ" (١ كورنثوس ٢: ١٦).

ترى، ما هي حالة الذِهن؟

وهل لاحظت أن حالته تتغير؟ ففي بعض الأوقات تكون هادئًا مسالمًا، وفي أوقات أخرى تكون قلقًا متوترًا. وقد تتخذ قرارًا وتكون واثقًا منه في وقت، ثم تجد نفسك مترددًا فيما يتعلق بنفس الشيء الذي كنت واثقًا منه.

لقد اختبرت كل هذه الأمور في مرحلة من مراحل حياتي المختلفة. ففي بعض الأوقات كنت أثق في الله دون أدنىً شك، ولكن في أوقات أخرى كان الشك وعدم الإيمان يكتنفانني بلا رحمة. ولأن حالات الذهن تختلف من وقت لآخر، تساءلت متى يكون ذهني على حالته الطبيعية؟ أردت أن أعرف طبيعة ذهني حتى أستطيع التعامل معه فورًا عندما يفكر بطريقة غير طبيعية.

فعلى سبيل المثال يُعتَبَر ذهن المؤمن الذي يدين ويشك وينتقد الآخرين غير طبيعي، ولكنه كان طبيعيًّا بالنسبة لي لسنوات طويلة، لأنها الطريقة التي اعتدتُ أن أفكر بها. وبالرغم من أن طريقة التفكير تلك سببت لي الكثير من المشاكل، فإني لم أكن أعرف أنها خاطئة. كما لم أكن أعلم أني أقدر أن أغيرها. وبالرغم من إيماني الخلاصي الذي دام لسنوات، فإني لم أستمع لتعليم يتعلق بالذهن أو الحالة التي يجب أن يكون عليها ذِهن كل مؤمن.

لا يولد الذهن من جديد عندما ننال الولادة الثانية، ولذلك يجب أن يتجدد بعد تجديد القلب (رومية ١٢:٢). وكما سبق وذكرت، تستغرق عملية تجديد الذهن الكثير من الوقت، ولا تفشل حتى بعد قراءتك لهذا الجزء إن

شعرت أن حالة ذهنك غير طبيعية بالنسبة لشخص يقول إنه قبل المسيح كمخلص شخصي لحياته. إن التعرف على المشكلة هو أول خطوات الشفاء، فمنذ عدة سنوات عندما بدأت آخذ علاقتي مع الله بجدية شديدة، أعلن لي الله أن جزءًا كبيرًا من مشاكلي سببه التفكير الخاطئ. كان ذهني في حالة فوضى شديدة، لم أكن راضية عنها، وحتى عندما أكون في حالة جيدة لم يكن الحال يستمر هكذا طويلاً.

ودُهشت جدًّا عندما أدركت مدى خطأ طريقة التفكير التي اعتدت أن أفكر بها، فكنت انتهر كل فكرة خاطئة تأتي إلى ذهني، ولكنها سرعان ما كانت تعود مرة أخرى. ومع مرور الوقت ورويدًا رويدًا تحررت. وسيحارب إبليس بكل قوته حتى لا تتجدد أذهاننا، فيجب أن نواظب على الصلاة ودراسة الكلمة حتى يكون النصر حليفنا.

وهل من الطبيعي أن يشرد ذهنك في كل ما تراه، أم هل يجب أن يكون تفكيرك مركزًا محددًا؟ وهل من الطبيعي أن تكون حزينًا مشوش الفكر؟ أم أن تعيش في سلام واثقًا من الاتجاه الذي يجب أن تسلكه في الحياة؟ وهل من الطبيعي أن يمتلئ ذهنك بالشك وعدم الإيمان والخوف؟ أم يجب أن يكون لك امتياز أولاد الله فتلقي كل همك عليه؟ (١بطرس ٥:٧).

نتعلم من كلمة الله أنه يجب أن يكون فينا فكر المسيح. فماذا كانت طبيعة فكره عندما عاش على الأرض، ليس فقط كابن الله، بل كابن للإنسان أيضًا؟

اقرأ الجزء التالي من هذا الكتاب بروح الصلاة، وستدرك طريقة التفكير الطبيعية وغير الطبيعية للشخص الذي يتبع المسيح، ويصر أن يسلك طريق النصرة.

٨
متى يكون ذهنك في حالته الطبيعية؟

"(صلاتي هي أن) يُعطيَكُمْ إلَهُ رَبِّنا يَسوعَ المَسيح، أبو المَجد، روحَ الحكمَة والإعلان (استنارة حتى تعرفوا الأسرار والخفايا) في مَعرفَته (المعرفة الحقيقية). مُستَنيرَةً عُيونُ أذهانكُمْ، لتعلَموا ما هو رَجاءُ دَعوَته، وما هو غِنَى مَجد ميراثه في القدِّيسينَ"
(أفسس ١: ١٧- ١٨).

يصلي الرسول بولس أن نُعطى حكمةً عن طريق استنارة عيون أذهاننا. فما هي يا ترى الحالة التي يجب أن يكون عليها ذهن كل مؤمن؟ وما هي الحالة الطبيعية التي يجب أن تكون عليها أذهاننا كمؤمنين؟ ولكي نجيب عن هذا السؤال يجب أن نتعرف على الوظائف المختلفة لكلٍّ من الذهن والروح.

وبحسب ما جاء في كلمة الله يتضح لنا أنه لا غنى للذهن عن الروح، ولا غنى للروح عن الذهن. وهذا ما أسميه "الذهن الذي يساعد الروح". ولكي نفهم هذه العبارة، دعونا نرى كيف تعمل في حياة المؤمن.

مبدأ الذهن والروح

"لأنْ مَنْ منَ الناس يَعرفُ أُمورَ الإنسان إلا روحُ الإنسان الذي فيه؟ هكذا أيضًا أُمورُ الله لا يَعرفُها أحَدٌ إلا روحُ الله"
(١ كورنثوس ٢: ١١).

يسكن الروح القدس في قلب كل من يؤمن بالمسيح ويقبله مخلصًا شخصيًّا لحياته. ويخبرنا الكتاب أن الروح القدس يعرف فكر الله كما

يعرف روحُ الإنسان أمور الإنسان وأفكاره. وهكذا يتضح لنا أن روح الله هو السبيل الوحيد لمعرفة فكر الله. ولأن الروح القدس يسكن فينا، ولأنه يعرف فكر الله، فعمله هو أن يعلن لنا إعلانات الله وحكمته. وعندما تنتقل هذه الإعلانات والحكمة الإلهية إلى أرواحنا تستنير عيون أذهاننا. وهذا هو عمل الروح القدس في حياتنا حتى نفهم ما يقوله الروح لأرواحنا.

طبيعي أم غير طبيعي؟

نعيش نحن المؤمنين بالروح والجسد. وفي كثير من الأحيان لا يفهم الجسدُ الأمورَ الروحية، ولهذا كان من المهم أن تستنير عيون أذهاننا حتى نفهم ما يدور في أرواحنا. ويشتاق الروح القدس أن ينير الذهن، إلا أن الذهن في كثير من الأحيان لا يفهم ما يريد الروح أن يعلنه لنا؛ لأنه يكون مشغولا بأمورٍ أخرى. ولذلك أقول إن انشغال العقل الدائم أمر غير طبيعي، أما الذهن الطبيعي فهو الذي يعيش في راحةٍ، ولا أقصد به الذهن الخالي من الأفكار.

وليس من الطبيعي أن يمتلئ الذهن بالمخاوف والقلق والاضطراب وأمثال ذلك، بل يجب أن يكون هادئًا ومطمئنًا. وسوف ترى في هذا الجزء من الكتاب بعض الحالات غير الطبيعية التي يوجد عليها الذهن، وربما تنطبق إحدها على حياتك الشخصية.

ومن المهم أن ندرك أننا نحتاج أن نُبقي الذهن في حالته الطبيعية التي يصفها لنا هذا الفصل من الكتاب. وعندما تقارن حالتك بالحالة التي يجب أن يكون عليها ذهنك، ستعرف السبب في قلة ما يعلنه لك الروح القدس، والسبب في شعورنا الدائم بأننا ناقصون في الحكمة والاستنارة.

تذكَّر أن الروح القدس يشتاق أن ينير عقل المؤمن، وأن يعطيه المعرفة، فإن تعاون الذهن والروح معًا، استطاع الإنسان أن يسلك بالحكمة والاستنارة الإلهية. ولكن إن كان الذهن منشغلاً بأمور أخرى فإن الإنسان يفشل في معرفة ما يحاول الرب أن يعلنه له الروح.

صوت منخفض خفيف

"**فقالَ** (الرب لإيليا): «**اخرُجْ وقِفْ علَى الجَبَلِ أمامَ الرَّبِّ**».

وإذا بالرَّبِّ عابرٌ وريحٌ عظيمَةٌ وشَديدَةٌ قد شَقَّت الجبالَ وكسَّرَت الصُّخورَ أمامَ الرَّبِّ، ولم يَكُن الرَّبُّ في الرِّيح. وبَعدَ الرِّيح زَلزَلَةٌ، ولم يَكُن الرَّبُّ في الزَّلزَلَة. وبَعدَ الزَّلزَلَة نارٌ، ولم يَكُن الرَّبُّ في النّار. وبَعدَ النّارِ صوتٌ مُنخَفِضٌ خَفيفٌ" (١ ملوك ١٩: ١١- ١٢).

لسنوات طويلة كنت أطلب من الرب أن يعلن لي أفكارًا بالروح القدس الساكن بداخلي، وكنت أعرف أن طلبي هذا يتفق مع ما جاء في كلمة الله التي آمنتُ بها. وآمنتُ بأن الرب سيعطيني ما طلبت، ولكني شعرت في مرات كثيرة بما أطلق عليه "الغفلة الروحية" أو "الجهل الروحي". وبعد وقتٍ، أدركت أن السببِ في عدم نوالي ما أراد الروح القدس أن يعلنه لي هو أن ذهني كان مشغولًا بأمور أخرى، فلم أنتبه للمعرفة التي أراد أن يعلنها لي.

تخيل معي شخصين موجودين في غرفة مزدحمة يملأها الضجيج، يحاول أحدهما البوح بسرٍّ ما للآخر. ولكن وبالرغم منّ أن أحدهما همس بالسر إلا أن الآخر عجز عن سماعه بسبب الضجيج، فإن لم يصغِ الشخصُ الآخر بانتباه شديد، لا يستطيع أن يعرف هذا السر.

بهذه الطريقة، تتواصل أرواحنا مع الروح القدس الرقيق اللطيف الذي يتحدث بلطف في معظم الأحيان وبصوت منخفض كما فعل النبي إيليا في هذا الجزء الكتابي، ولهذا نحتاج أن نتعلمَ كيف نكون في حالة إصغاء طوال الوقت.

الروح والذهن

"أُصَلِّي بالرّوح (بالروح القدس الساكن بداخلي) **وأُصَلِّي** (**بذكاء وبفهم**) **بالذِّهن أيضًا"** (١كورنثوس ١٤: ١٥).

وحتى نفهم مبدأ "تعضيدَ الذهن والروح لبعضهما البعض" علينا أن نفكر في الصلاة على سبيل المثال؛ ففي الآية السابقة، يقول الرسول بولس إنه يصلي بالروح والذهن أيضًا. وأعتقد أني أفهم ما يتحدث عنه بولس الرسول هنا؛ لأني أفعل نفس الشيء؛ ففي بعض الأحيان أصلي بالروح (بلغة غريبة) وبعد أن أصلي بهذه الطريقة لبعض الوقت، أبدأ في الصلاة بلغتي الأصلية، وبهذه الطريقة يعين الروح والذهن كل منهما الآخر. فهما يعملان

معًا حتى ينقلا إلى الحكمة والمعرفة الإلهية بالطريقة التي يستطيع ذهني أن يفهمها.

وفي بعض الأحيان الأخرى يحدث العكس؛ فعندما لا يوجد شيء معيَّن أصلي لأجله بالروح، أبدأ بالصلاة بالذهن من أجل أمورٍ معيَّنة، من قضايا ومشاكل سمعت عنها، ويستمر الحال هكذا حتى يبدأ الروح القدس الساكن بداخلي يستحوذ على فكري، وعندئذ، أدرك أنه يريدني أن أصلي لأجل هذا الأمر. وهكذا يعين الروح الذهن ويعملان معًا لإتمام مشيئة العلي.

الألسنة والترجمات

"**لذلكَ مَنْ يتكلَّمُ بلسان** (بلغة غريبة) **فليُصَلِّ لكَيْ يُتَرجِمَ** (يفسر ما يقوله). **لأَنَّهُ إنَّ كُنتُ أُصَلِّي بِلسان** (غريب) **فروحي تُصَلِّي، وأمّا ذهني فهو بلا ثَمَرٍ** (ولا يفيد شيئًا)" (١كورنثوس ١٤: ١٣- ١٤).

ومثال آخر للعمل المشترك بين الروح والذهن نجده في موهبة الألسنة والترجمة؛ فعندما أصلي باللسان يكون الذهن بلا ثمر إلى أن يعطي الله لي أو لشخص آخر موهبة الترجمة، وعندئذ يثمر الذهن.

وهنا يجب أن نلاحظ أن المواهب ليست ألسنةً وترجمة فقط؛ فالترجمة هي تفسير الرسالة كلمةً بكلمة، أما التفسير فهو أن يفسر أحدهم ما يقوله شخصٌ آخر ولكن بأسلوب المفسر وبحسب شخصيته، وكمثال لذلك، في أحد اجتماعات الكنيسة، وقفت إحدى السيدات وأعطت رسالةً بلسانٍ غريب بالروح، ولكن أحدًا من الموجودين لم يعرف عما تتحدث، فإنْ أعطاني الرب أن أفهم مضمون الرسالة العام، وإن قمت بالإيمان بتفسير الرسالة التي سمعناها، أكون بذلك قد فسرت الرسالة للجميع بأسلوبي الخاص وبطريقتي الخاصة.

إن الصلاة بالروح (بلسان غريب) وترجمة الألسنة (اللسان الغريب) مثال رائع حتى نفهم مبدأ "تعضيد الروح والذهن لبعضهما البعض"؛ فالروح يتكلم بشيء والذهن يقوم بفهمه، ولكن إن تكلمت هذه السيدة بلسانٍ غريب، وطلب الله مني أن أقوم بالترجمة، ولكن بسبب انشغال ذهني وعدمٍ استماعي لقوله، يعطي الله موهبة الترجمة لشخصٍ غيري، وحتى

لو حاول الروح أن يعطيني ترجمة هذه الرسالة، فلن أكون مستعدةً لقبولها بسبب انشغال ذهني.

ففي بداية مسيرتي مع الرب، وعندما كنت أتعلم عن المواهب الروحية، كنت أصلي باستمرار بالألسنة، ولكن عندما كبرت في الإيمان بدأت أشعر بالملل في الصلاة؛ لأني لم أكن أفهم ما أقوله في الصلاة، إلا أني تعلمت أن مثل هذه النوعية من الصلاة هي صلاة غير متزنة وغير مثمرة، إذ لا فهم هناك.

ذهن متيقظ يملأه السلام

"ذو الرّأي المُمَكَّن تحفَظُهُ سالِمًا سالِمًا، لأنَّهُ علَيكَ مُتَوَكِّلٌ" (إشعياء ٢٦: ٣).

هل أدركت مدى العلاقة بين الروح والذهن؟ لهذا من المهم أن تحافظ على ذهنك في حالته الطبيعية، وإلا لن يتمكن من أن يساعد الروح. ولأن إبليس يعرف هذه الحقيقة جيدًا، فهو يحاول أن يهاجم ذهنك حتى يجعله أرض المعركة التي يحارب عليها، ويحاول أن يشغل ذهنك بأمور لا طاقة لك بها أو أن يُجهِدك بأفكارٍ كثيرة خاطئة حتى لا تكون حرًّا منفتحًا للروح القدس.

يجب أن يظل ذهنك في سلام، فإن صاحب الرأي الصحيح يُحفظ سالمًا، فيجب أن يظل ذهنك يقظًا أيضًا، وهذا لا يمكن أن يحدث إن كان مشغولًا بأمورٍ لا طاقة لك بها.

ترى، إلى أي حدٍّ تعتبر ذهنك في حالةٍ طبيعيةٍ؟

٩
ذهن شارد متسائل

"لذلكَ مَنطقوا أحقاءَ ذهنكُمْ" (١ بطرس ١: ١٣).

ذكرنا في الفصَل السابق أَن اَلذهن المشغول أكثر من اللازم ليس في حالته الطبيعية، ومن حالات الذهن غير الطبيعية أيضًا الشرود في كل ما يدور حوله، والعقل غير القادر على التركيز عقل يهاجمه إبليس.

قضى كثيرون من الناس سنوات من عمرهم بذهن شارد؛ لأنهم لم يطيعوا مبدأ تدريب وتهذيب أفكارهم، وفي معظم الأحيان يعتقد غير القادرين على التركيز أنهم يعانون من قصور ذهني، إلا أن سبب عجز الذهن عن التركيز قد يكون نتيجةً لترك العنان للذهن أن يفكر فيما يشاء وقتما يشاء، وقد يكون شرود الذهن نتيجةً لنقص أنواع معينة من الفيتامينات أيضًا؛ فبعض أنواع فيتامين ب يساعد على التركيز. فاسأل نفسك إن كنت تتناول الطعام المناسب أم لا.

كما يؤثر الإرهاق الشديد على القدرة على التركيز؛ فعندما أكون مُتعَبةً للغاية يهاجم إبليس ذهني؛ لأنه يعلم صعوبة مقاومتي له في مثل هذه الأوقات. يريد إبليس أن يقنعنا بأننا مُصابون بقصور ذهني حتى لا نحاول أن نسبب له المشاكل؛ فهو يريدنا أن نقبل كل الأكاذيب التي يقولها لنا.

عانت إحدى بناتنا من صعوبة في قدرتها على التركيز أثناء سنوات طفولتها، كانت القراءة صعبةً بالنسبة لها؛ لأن القراءة مرتبطة بالفهم ارتباطًا وثيقًا. فبعض الأطفال، وحتى البالغين، لا يفهمون ما يقرأون، حيث تري عيونهم الكلمات على صفحات الكتب ولكن عقولهم لا تعي ما يقرأونه.

وفي أحيانٍ كثيرة تكون قلة التركيز سببًا في عدم فهم الأشياء، وهذا

يحدث معي شخصيًّا عندما أقرأ فصلًا من كتاب أو إصحاحًا من أحد الأسفار ثم أكتشف فجأة أني لم أفهم ما قرأت، وعندما أعيد قراءته أشعر وكأن الكلمات جديدة عليَّ، والسبب في ذلك هو أن عقلي كان شاردًا بينما كانت عيناي تمران على كلمات الكتاب، ولأني لم أركز على ما كنت أقرأ، لم أفهم ما كنت أقرأه.

إن المشكلة الحقيقية في كثير من الأحيان وراء قلة الفهم تكمن في قلة التركيز نتيجةً لشرود الذهن.

ذهن شارد

"احفَظْ قَدَمَكَ (ركز فيما تفعل)" (جامعة ٥: ١).

عبارَة "احفظ قدمك" تعني في رأيي "الحذر من فقدان الاتزان وعدم الخروج عن الطريق. وتقول إحدى الترجمات التفسيرية إن السبيل الوحيد لعدم الخروج عن الطريق الصحيح هو أن تركز فيما تفعل.

لقد عشت شاردة الذهن لفترة طويلة، وكان عليَّ أن أدرب ذهني بالتهذيب والتمرين، ولم يكن الأمر سهلًا، ولا زلت أعاني منه حتى الآن؛ فأثناء قيامي ببعض الأعمال، أدرك فجأة أن ذهني شرد في التفكير في شيء آخر لا علاقة له بما أقوم به، وأقولها صراحةً: "إني لم أبلغ بعد مرحلة التركيز الكاملة، ولكني أصبحت مدركةً تمامًا لأهمية السيطرة على الذهن حتى لا يشرد فيما يشاء وقتما يشاء".

ويعرف قاموس وبستر الشيء الشارد بأنه (١) الذي يتحرك بلا هدف محدَّد "الهائم"، (٢) الذي يذهب بدون وجهة محدَّدة أو بدون سرعة ثابتة "التائه"، (٣) الذي يسير بطريقة أو بحركات غير منتظمة، (٤) الذي يعبر عن نفسه بطريقة غير واضحة وغير مناسبة.

فإن كنت مثليَّ، ربما تختبر في بعض الأحيان شرود الذهن في الكنيسة أثناء استماعك لإحدى العظات، ومع أنك تصغي جيدًا لما يقوله الواعظ وتستفيد منه، فإن ذهنك يبدأ في الشرود فجأة، وبعد فترة من الوقت تستيقظ لتجد نفسك غير مدرك لما حدث، وغير متذكر لما قيلَ؛ ففي أثناء جلوسك داخل الكنيسة، ذهب عقلك للتسوق في المحال التجارية، أو لإعداد العشاء في المنزل.

تذكر أن الذهن هو أرض المعركة التي تدور عليها الحرب الروحية، وهو الأرضية التي يشن إبليس هجماته عليها؛ لأنه يعلم جيدًا أنه لا فائدة من ذهاب الشخص إلى الكنيسة إن نجح هو في جعله يفكر في أي شيءٍ آخر ما إن لم يدرب ذهنه ويهذبه ويجعله يركز فيما يفعل.

إن ظاهرة شرود الذهن تلك تحدث أيضًا أثناء تبادل الحديث مع الآخرين؛ فأحيانًا أثناء حديث زوجي لي، يشرد ذهني، وأكتشف أني لم أكن مصغيةً لما كان يقوله لي. لماذا يحدث ذلك؟ لأني سمحت لذهني بأن يشرد بعيدًا ويفكر في شيء آخر؛ فبالرغم من أن جسدي كان حاضرًا ويبدو وكأنه كان مصغيًا، إلا أن ذهني لم يكن هناك بالمرة.

ولسنوات طويلة كنت أتظاهر بأني سمعت ما كان زوجي يتحدث عنه، أما الآن فلم أعدْ أفعلْ ذلك، بل أقول: "هل يمكنك أن تعيد ما كنت تقوله؟ لقد شرد ذهني للتفكير في شيء آخر فلم أسمع ما كنت تقوله". وبهذه الطريقة أواجه المشكلة، فالمواجهة هي الطريق الوحيد للتغلب عليها.

وعندما يهاجم إبليس ذهني ويجعله يشرد في شيء آخر، أدرك أنه يريد أن يمنعني من الاستماع لأمر يريد الله أن يعلمني إياه.

ومن أروع الطرق للتغلبْ على حيل إبليس هذه هو الاستماع لشريط الكاسيت المسجل عليه العظة التي شرد ذهني وقت سماعها، وهي خدمة تقوم بها معظم الكنائس. فإن لم يكن ذهنك مدربًا بعد على التركيز طوال فترة الخدمة، قم بشراء شريط الكاسيت من الكنيسة واستمع إليه مرةً ومرات حتى تصلك الرسالة جيدًا، وسيستسلم إبليس عندما يرى إصرارك على عدم الخنوع.

وتذكر أن إبليس يريدك أن تعتقد أنك مصاب بقصور ذهني، وأن هناك ما يعيقك عن التركيز والتفكير السليم، ولكن الحقيقة هي أنك تحتاج أن تبدأ في تدريب ذهنك وتهذيبه حتى لا يشرد في التفكير فيما يشاء وقتما يشاء. "احفظ رجلك" من اليوم فصاعدًا وركز جيدًا فيما تفعله. وتذكر أن الأمر سيحتاج إلى كثير من التدريب والممارسة، فالتخلي عن العادات القديمة وتكوين عادات جديدة عملية شاقة ولكنها تستحق.

ذهن متسائل

"لأنِّي الحَقَّ أقولُ لكُمْ: إنَّ مَنْ قالَ لهذا الجَبَل: انتَقِلْ وانطَرِحْ في البحر! ولا يَشُكُّ في قَلبه، بل يؤمنُ أنَّ ما يقولُهُ يكونُ، فمَهما قالَ يكونُ لهُ. لذلكَ أقولُ لكُمْ: كُلُّ ما تطلُبونَهُ حينَما تُصَلّونَ، فآمنوا (ثقوا وتأكدوا) **أنْ تنالوهُ، فيكونَ لكُمْ"** (مرقس ١١: ٢٣- ٢٤).

وجدت نفسي مرارًا وتكرارًا أتساءل "ياتُرى...؟"

"ترى، ماذا سيكون حال الطقس غدًا؟"

"ترى، ماذا سأرتدي لحفل الليلة؟"

"ترى، ما هي الدرجات التي سيحصل عليها ابني داني في نهاية العام؟"

"ترى، كم عدد الذين سيأتون لحضور الاجتماع؟"

ويُعرِّف القاموس "التساؤل" بأنه "حالة من الحيرة والشك" واسم الفاعل "المتسائل" هو "الشخص الذي يملأه حب الفضول والشك".

لقد تعلمت أن القيام بعمل شيء إيجابي أفضل بكثير من التساؤل والشك في كل ما يتخيله عقلي؛ فبدلاً من التساؤل عن الدرجات التي سيحصل عليها ابني، أستطيع أن أثق في أنه سيحصل على درجات مرتفعة، وبدلاً من التساؤل عما سأرتديه في الحفل، يمكنني أن أختار الشيء المناسب، وبدلاً من التساؤل عن عدد الذين سيحضرون الاجتماع، بإمكاني تسليم الأمر كله للرب واثقةً أن كل الأشياء ستعمل معًا للخير بغض النظر عمَّا سيحدث.

فالتساؤل يترك المرء في حالة من الحيرة، والحيرة تؤدي إلى التشويش. وفي أحيان كثيرة، يُعطِّل التساؤل والحيرة والتشويش الإنسان عن قبول استجابة صلواته وتسديد احتياجاته.

لاحظ أن يسوع لم يقل في (مرقس ١١: ٢٣- ٢٤): "كل ما تطلبونه حينما تصلون، تساءلوا إن كنتم تنالونه أم لا" ولكنه قال: "كل ما تطلبونه حينما تصلون فآمنوا أن تنالوه فيكون لكم". فيجب على كل مؤمن أن يثق لا أن يشك.

١٠
ذهن مشوش

"وإنَّما إنْ كانَ أحَدُكُمْ تُعوزُهُ حكمَةٌ، فليَطلُبْ منَ اللّه الذي يُعطي الجميعَ بسَخاء ولا يُعَيِّرُ، فسَيُعطَى لهُ. ولكن ليَطلُبْ بإيمان غَيرَ مُرتاب البَتَّةَ، لأنَّ المُرتابَ يُشبهُ مَوْجًا منَ البحر تخبطُهُ الرِّيحُ وتدفَعُهُ. فلا يَظُنَّ ذلكَ الإنسانُ أنَّهُ يَنالُ شَيئًا منْ عند الرَّبِّ.
رَجُلٌ ذو رأيَين (متردد وشكاك) هو مُتَقَلقلٌ في جميع طُرُقه (في أفكاره ومشاعره وقراراته)" (يعقوب ١: ٥- ٨).

رأينا فيما سبق أن التساؤل والتشويش أمران مرتبطان ببعضهما البعض؛ فالتساؤل والشك يتسبَّبان في تشويش الفكر، ويوضح لنا ما ورد في (يعقوب١: ٥- ٨) كيف نتغلب على الذهن المتسائل الذي يشك في كل شيء، والذي يسوده التشويش، ويعلمنا كيف ننال ما طلبنا من الرب؛ فالشخص ذو الرأيين هو المشوَّش الفكر الذي لا يقوى على اتخاذ أي قرار في الحياة.

وحتى إن نجح في أن يقرر أمرًا ما، سرعان ما يعاوده الشك والحيرة ليصبح مرةً أخرى متقلقلًا ذا رأيين. إنه شخص لا يثق في كل شيء.

لقد عشت معظم حياتي بهذه الطريقة دون أن أعلم أنها حرب يشنها إبليس على ذهني الذي هو أرض المعركة، كنت في حيرةٍ دائمةٍ دون أن أعلم السبب.

العقلانية تؤدي إلى التشويش

" فعَلِمَ يَسوعُ وقالَ لهُمْ: «لماذا تُفَكِّرونَ في أنفُسِكُمْ...؟»"
(متى ١٦: ٨).

تحدثنا في الفصل السابق عن التساؤل، وسنتحدث فى الفصل التالي بتفصيل أكثر عن الشك، أما الآن فأود أن أتحدث قليلًا عن التشويش.

يعترف عدد كبير من أبناء الله بأنهم يعانون من فكر مشوَّش، فما هو سبب ذلك؟ رأينا فيما سبق أن أحد الأسباب هو التساؤل، والسبب الآخر هو العقلانية أو المنطقية. ويُعرِّف القاموس كلمة "المنطق" بأنه "الدافع الخفي الذي يمنطق ويُعقلن الأحداث". أما الفعل فهو "استخدام العقل أو التفكير المنطقي".

وبطريقة مبسطة أقول إن العقلانية تحدث عندما يحاول الشخص معرفة السبب في كل ما يحدث، والعقلانية تجعل الذهن يفكر ويفكر في الموقف أو القضية أو الحدث محاولًا فهم كل الأجزاء المتداخلة فيه. فنحن نعقلن الأمور عندما نحاول فهم عبارة أو تعليم معيَّن عن طريق استخدام المنطق، ونرفضها إن لم تتفق معه.

وكثيرًا ما يسلب إبليس طاعتنا لمشيئة الله عن طريق المنطق؛ فعندما نشعر بقيادة الله لنا لنفعل أمرًا معيَّنًا، ولكننا نرفضه أو نتناساه لأنه لا يتفق مع المنطق ومع كل ما هو مُتعارَف عليه. إن الله يقود أولاده أحيانًا لفعل أمور لا تتفق مع المنطق أو العقل، وبالرغم من أن الروح القدس يؤكدها لنا، فإن الذهن يرفضها، خاصةً عندما تكون خارجةً عن المألوف أو ليست على هوانا، أو إن كانت تتطلب تضحيةً منا أو تسبِّب إزعاجًا لراحتنا.

لا تعقلن الأمور، بل أطِع بالروح

"ولكن الإنسانَ الطَّبيعيَّ لا يَقبَلُ ما لروح الله لأنَّهُ عندَهُ جَهالَةٌ، ولا يَقدرُ أنْ يَعرِفَهُ لأنَّهُ إنَّما يُحكَمُ فيهِ روحيًّا"
(١كورنثوس ٢: ١٤).

قد يساعدك هذا الشرح العملي والشخصي حتى تدرك أن العقلانية التي تناقض الإعلان الإلهي هي عكس طاعة الروح؛ ففي صباح أحد الأيام، بينما كنت أرتدي ملابسي استعدادًا للذهاب إلى أحد الاجتماعات

الأسبوعية التي كنت أعظ فيها، بدأت في التفكير في السيدة التي تساعدنا على إدارة الخدمة وفي مدى أمانتها، وشعرت برغبة في قلبي أن أفعل شيئًا لأبارك به تلك السيدة، فرفعت قلبي إلى الله قائلةً: "يارب، كانت راعوث بركةً لكل فرد فينا على مدى السنوات الماضية، فماذا يمكنني أن أفعل حتى أباركها؟". وعلى الفور وقعت عيناي على ثوب أحمر معلق في خزانة ملابسي وشعرت في قلبي أن الرب يريدني أن أعطيه لها. لم أكن قد ارتديته بعد بالرغم من أني قمت بشرائه منذ ثلاثة أشهر، وكنت أحب هذا الثوب، ولكن في كل مرةٍ كنت أفكر أن أرتديه، لم أكن أشعر برغبة في ذلك لسبب لا أعلمه.

لقد علمت منذ اللحظة التي وقعت فيها عيناي على الثوب أن الله يريدني أن أعطيه لراعوث، ولكني لم أرغب في التخلي عنه، وعلى الفور بدأت أجد المبررات حتى أعقلن الأمر وأجعله يبدو منطقيًّا. قلت: "لابد أن الله لا يقصد أن أعطيها هذا الرداء بالذات؛ فهو جديد لم ألبسه قط، كما أنه غالي الثمن جدًّا، وقد اشتريت قرطين باللون الأحمر والفضي خصيصًا له".

ولو أني أبعدت تفكيري الجسدي، ولو أني كنت أكثر حساسيةً لصوت الله بداخلي لسارت الأمور على ما يُرام، ولكن البشر يمتلكون القدرة على خداع أنفسهم عن طريق عقلنة الأمور وخاصةً عندما لا يريدون أن يطيعوا الله فيما يقوله لهم. وفي خلال دقائق معدودة كنت قد حسمت الأمر وأسقطته من ذاكرتي وخرجت لحال سبيلي. وخلاصة الأمر هي أني لم أرغب في التخلي عن الثوب لأنه كان جديدًا، ولأني كنت أود الاحتفاظ به، وبدأ عقلي في عقلنة الأمر وتبريره بأن ما شعرت به في قلبي لا يمكن أن يكون صوت الله بل صوت إبليس الذي يريد أن يحرمني من الأشياء التي أحبها.

وبعد عدة أسابيع، وبينما كنت أستعد لحضور اجتماع آخر في نفس المكان، تذكرت راعوث مرة أخرى، وتكرر المشهد، وطلبت منّ الرب أن يعلن لي ما ينبغي أن أفعله حتى أباركها، وعلى الفور وقعت عيناي مرةً أخرى على الثوب الأحمر، وشعرت بمقاومة في داخلي؛ لأني تذكرت ما حدث منذ عدة أسابيع (وهو الشيء الذي سرعان ما نسيته بالكامل)، ولكن في هذه المرة لم أستطِع تجاهل ما يحدث، كان عليَّ أن أواجه حقيقة أن الله يريدني أن

أعطي هذا الثوب لراعوث أو أن أرفض إعطاءه لها، بالرغم من يقيني أن هذا ما يريدني الله أن أفعله. فبالرغم من محبتي للرب، فإني قررت أن أعصى أوامره، وبدأت أتحدث معه عن الثوب الأحمر.

ولم يستغرق الأمر أكثر من دقائق قليلة حتى أدركت أني قمت بتبرير وعقلنة الأمر في المرة السابقة حتى لا أنفذ مشيئة الله، لقد اعتقدت أن الله لا يمكن أن يطلب مني أن أعطي ثوبي الجديد الذي ابتعته لنفسي لشخص آخر. ولكني الآن أدركت أن الكتاب المقدس لم يوصنا أن نعطي القديم والبالي للآخرين. إنها تضحية مني أن أعطي هذا الثوب لأنه كان جديدًا، ولكنه سيكون بركة أكبر لراعوث.

وعندما فتحت قلبي للرب، أدركت أني قمت بشراء هذا الثوب ليناسب راعوث، ولهذا السبب لم ألبسه حتى الآن. لقد قصد الرب أن يستخدمني لأباركها كل هذا الوقت، ولكن أفكاري كانت تمنعني، وعندما قررت أن أتخلى عن هذه الأفكار أصبحت أداةً طيعةً للروح القدس.

لقد تعلمت الكثير من هذا الموقف؛ فكثيرًا ما تقودنا عقولنا لمنطقة وعقلنة الأمور حتى لا نسير بحسب مشيئة الله لحياتنا، وعندما أدركت تلك الحقيقة تولدت في قلبي مخافة إلهية تجاه العقلانية.

ولا تنس أن الإنسان الطبيعي لا يفهم ولا يستطيع أن يقبل ما للروح (١ كورنثوس ٢: ١٤). لم يستوعب ذهني (طبيعتي البشرية) أن أعطي ثوبًا جديدًا لم ألبسه بعد، أما روحي (طبيعتي الروحية) فكانت تدرك الأمر جيدًا.

وصلاتي هي أن يكون هذا المثال معينًا لك حتى يشجعك أن تسلك في مشيئة الله بجدية أكثر من ذي قبل. (وربما تتساءلون: هل أعطيتِ الثوب لراعوث؟ نعم، لقدً فعلت وهي تلبسه من وقتٍ لآخر).

كن عاملًا بالكلمة

"**كونوا عاملينَ بالكلمَة** (أطيعوا الرسالة) **لا سامعينَ فقط خادعينَ نُفوسَكُمْ** (بمَحاولة عقلنة الأمور بدلًا منَ الاستماع للحَق)" (يعقوب ١: ٢٢).

للذهن دور كبير في عقلنة الأمور وفي خداعنا عندما نرفض أن نعمل بما

جاء ـ في كلمة الله، وذلك بأن نؤمن بأشياء أخرى غير الحق الموجود فيها، فمن الممكن أن نضيع وقتًا لا حصر له ـ في محاولات يقوم بها الذهن لفهم ما جاء ـ في كلمة الله، ولكن إن سمحنا للروح القدس أن يشهد لأرواحنا سنفهم ونفعل ما تقوله الكلمة لنا.

يريد الله من كل شخص أن يطيعه سواء أراد ذلك أم لا، وسواء استحسن الأمر أم لا، وعلينا ألا نعقلن ما يقوله الله لنا من خلال كلمته، وعندما يتحدث إلينا ـ في الإنسان الباطن، لا تجادل مع الله، ولا تحكم على الأمر إن كان منطقيًّا أم لا. فعندما يتحدث الله، علينا أن نفعل لا أن نعقلن ما يقول.

ثق في الله لا في العقل البشري

"**تَوَكَّلْ علَى الرَّبِّ بكُلِّ قَلبِكَ، وعلَى فهمِكَ لا تعتَمِدْ**" (أمثال ٣: ٥).

أي: لا تعتمد على المنطق البشري؛ فالمنطق والعقلنة يمهدان الطريق لإبليس حتي يخدعنا ويشوش أفكارنا.

عندما سألت الرب عن السبب الذي لأجله يعيش مؤمنون كثيرون ـ في حالة من التشويش الفكري، أجاب: "أخبريهم أن يتوقفوا عن محاولاتهم لفهمً كل شيء، وعندئذ لن تكون أفكارهم مشوَّشةً". وهذه هي الحقيقة؛ فالعقلانية والتشويش أمران لا ينفصلان. ـ في بعض الأحيان، نفكر ـ في شيء ما ـ في قلوبنا ونرفعه أمام الرب ـ في الصلاة طالبين أن يشرحه لنا، ولكن عندما نشعر بتشويش وحيرة ـ في أذهاننا، علينا أن ندرك أننا قد تمادينا ـ في طلب الشرح.

إن العقلنة أمر خطير لأسباب عديدة، أحدها هو أننا قد نفكر ـ في أمر معيَّن ونعقله بطريقة تتفق مع المنطق. ولكنه يكون غير صحيح. إن العقلً البشري يهوى المنطقً والترتيب والعقلنة، ويتعامل مع الأشياء التي يفهمها فقط، ولذلك تجدنا نميل إلى أن نضع نظامًا لبعض الأمور معتقدين أنه "لا بد أن تكون هي الطريقة المناسبة لصنع الأشياء، لأنها تتفق مع المنطق"، ولكن بالرغم من اتفاقها مع المنطق، قد تكون غير صحيحة. يقول الرسول بولس ـ في (رومية ٩: ١): "**أقولُ الصِّدقَ ـ في المَسيحِ، لا أكذِبُ، وضَميري شاهِدٌ لي بالرّوحِ القُدُسِ**"؛ لأنه علم أنه كان يفعل مَا هو صَواب ويتَّفق مع

المنطق ومع شهادة الروح القدس بداخله.

رأينا فيما سبق أن الذهن يعضِّد ويعين الروح في أحيان كثيرة؛ فالذهن والروح يعملان معًا، ولكن الروح أسمى بكثير، ولذلك يجب أن تكون له كرامة أكبر. فإن علمنا في أرواحنا أن ما نفعله صواب، فعلينا ألا نسمح له بأن يقنعنا بعكس ذلك.

يعطينا الله الفهم تجاه أمور كثيرة، ولكننا لسنا بحاجة لفهم كل شيء حتى نعيش في طاعة لمشيئة الله. فأحيانًا يترك الله علامات استفهام كثيرة في حياتنا حتى يُزيد إيماننا؛ فالأسئلة التي تظل بدون إجابة "تصلب الجسد". إنه أمر صعب للغاية أن يتخلى الجنس البشري عن عقلنة الأمور، والأصعب أن يثق في الله، ولكن الحقيقة هي أن الذهن يستريح عندما نثق في الله بكل القلب بغضِّ النظر عن الظروف.

إن العقلنة هي أحد الأنشطة التي يشترك فيها العقل، والتي تعيق تمييز إعلانات الرب لنا؛ فهناك فارق كبير بين المعرفة العقلية وبين المعرفة عن الإعلانات الإلهية.

ولا أدري ما هي حالتك، ولكني أطلب من الرب أن يعلن لي أشياء بطريقة واضحة حتى أدرك في روحي أن ما أعلنه الرب لذهني صحيح؛ فأنا لا أريد أن أعقلن وأمنطق الأمور، ولا أريد أن يظل ذهني مشغولاً متسائلاً طوال الوقت حتى يُصاب بالتشويش، بل أريد أن أختبر سلام الله في ذهني وقلبي الناتج عن ثقتي به، وليس لثقتي في فهمي وتفكيري البشري. يجب على كلٍّ منا أن يصل للمرحلة التي نثق فيها في الشخص الذي يعرف كل شيء حتى وإن كانت تعوزنا المعرفة.

اعزم ألا تعرف شيئًا إلا المسيح

"وأنا لَمَّا أتيتُ إليكُمْ أيُّها الإخوَةُ، أتيتُ ليس بسُموِّ الكلام أو الحكمَة مُناديًا لكُمْ بشَهادَة الله، لأنِّي لم أعزمْ أنْ أعرفَ شيئًا بَينَكُمْ إلا يَسوعَ المَسيحَ وإيّاهُ مَصلوبًا" (١ كورنثوس ٢: ١- ٢).

كان هذا هو شعار بولس تجاه المعرفة والعقلانية، وهو المبدأ الذي بدأت أفهمه وأطبقه في حياتي. مر وقت طويل قبل أن أدرك حقيقة أن من زادت

معرفته زاد همه؛ فعندما نكتشف حقيقة بعض الأمور نكتئب ونحزن.

كنت بطبعي شخصيةً فضوليةً للغاية، وكنت أسعى لمعرفة كل شيء وأسباب حدوث كل شيء حتى أشعر بالرضا، إلى أن أعلن لي الرب أن سبب التشويش الموجود في حياتي هو عقلنة كل شيء، وهو ما حرمني من التمتع بما أراد الله أن يمنحني إياه، وذات مرة همس في أذني قائلًا: "عليكِ أن تتخلي عن عقلنة الأمور إن أردت أن تميزي صوت الروح القدس".

لقد أدركت الآن أن سبب رغَبتي في عقلنة الأمور هو أن أشعر بالأمان، كنت أريد أن أشعر بأني أمتلك زمام الأمور، وكان يتملَّكني الخوف والذعر عندما أجد أمورًا لا أفهمها. لم أكن أتمتع بسلام الله في عقلي وكنت مرهقةً جسديًّا طوال الوقت، إن مداومة الذهن على عقلنة الأمور تسبب إرهاق الجسد.

طلب الرب مني أن أتخلى عن هذا النشاط الذهني المُجهِد، ولذلك أنصح كل شخص يدمن عقلنة الأمور بأن يفعل مثلما فعلت. نعم، إنه إدمان لهذا النوع من النشاط الذهني مثلما يدمن الشخص المخدرات أو المشروبات الروحية. لقد أدمنت عقلنة الأمور لسنوات طويلة، وعندما أقلعت عنها طرأت عليَّ بعض الأعراض مثل الشعور بالضياع والخوف؛ لأني لم أعد أعرف ماذا يحدث.

لقد قضيت وقتًا طويلًا في محاولة لعقلنة الأمور حتى أني شعرت بالملل عندما أقلعت عن هذا الأمر، وساد السلام على فكري، وبالرغم من أن ذهني كان منشغلًا طوال الوقت بالتفكير في أشياء كثيرة، فإني الآن لا أحتمل طريقة التفكير تلك.

إن العقلنة ليست هي النشاط الذي يريد الله أن نشغل به أذهاننا. احذر عندما يمتلئ ذهنك بالعقلانية؛ فتلك إحدى حالات الذهن غير الطبيعية، أو على الأقل بالنسبة للمؤمنين الذين يريدون أن يعيشوا حياةً منتصرةً والذين يجاهدون حتى ينتصروا في الحرب الدائرة في أذهانهم.

١١
ذهن يشك ولا يؤمن

"ياقَليلَ الإيمان، لماذا شَكَكتَ؟" (متى ١٤: ٣١).

"وتعَجَّبَ (المسيح) منْ عَدَم إيمانهمْ (اليهود) وصارَ يَطوفُ القرَى المُحيطَةَ يُعَلِّمُ" (مرقس ٦: ٦).

عندما نتحدث عن الشك وعدم الإيمان نحسبهما نفس الشيء، ولكن وبالرغم من الصلة الوثيقة بينهما فإنهما شيئان مختلفان.

ويُعرِّف قاموس "فاين" لتفسير كلمات العهد القديم والجديد الفعل "يشك" بالوقوف في مفترق الطرق، بمعنى عدم اليقين حول أيهما نسلك. وهي حالة قليلي الإيمان، كما أنها حالة تشتُّت الذهن بين الأمل والخوف.

وفي نفس القاموس يشرح سلاحين يستخدمهما إبليس في حربه معنا؛ وهما الشك الذي يجعل الإنسان يعرج بين فرقتين، وعدم الإيمان الذي يؤدي إلى العصيان.

ومن المؤكد أن معرفتك بالأسلحة التي يستخدمها إبليس في حربه ستكون عونًا لك لتنتصر عليه. فكيف نتعامل مع الشك وعدم الإيمان؟

الشك

"حتَّى مَتَى تعرُجونَ بَينَ الفرقَتَين؟" (١ ملوك ١٨: ٢١).

وإليك قصة سمعتها تشرح معنى الشك:

كان شخصٌ ما مريضًا يطلب الشفاء من الرب، ويستشهد بوعوده التي جاءت في الكلمة المقدسة والتي تعلن شفاء الله لجسده، وكان مؤمنًا بأن الله سيمد يده الشافية ليلمس جسده، وبينما كان يفعل ذلك، هاجمه إبليس

بأفكار يملأها الشك، فمر بوقت عصيب، وبدأ يشعر بالفشل إلى أن فتح الله عيني إيمانه على العالم الروحي، فرأى إبليس يهمس بأكاذيبه في أذنه يخبره بأنه لا جدوى من الاستشهاد بوعود الله له، وأن الله لن يشفيه على أية حال، ولكنه رأى أيضًا أنه في كل مرة كان يستشهد فيها بوعود الله، يخرج نور من فمه يشبه سيفاً مسنونًا يسقط به إبليس.

وعندما أراه الله هذه الرؤيا أدرك أهمية التفوه بوعود الله، وعرف أيضًا أنه بسبب إيمانه بوعود الله هاجمه إبليس بأفكار يملأها الشك.

فالشك ليس من عند الله، والكتاب المقدس يقول في (رومية ١٢: ٣) إن الله أعطى قدرًا من الإيمان لكل شخص، لقد وضع الله الإيمان في قلوبنا، ولكن إبليس يحاول أن ينفي هذا الإيمان بهجمات من الشك يشنها علينا.

ويأتي الشك في صورة أفكار تتنافى مع كلمة الله، ومن هنا جاءت أهمية معرفة ما جاء فيها؛ لأننا إن عرفنا الكلمة ندرك على الفور الأكاذيب التي يرمينا بها إبليس، وثق أنه يكذب علينا حتى يسلبنا ما اشتراه المسيح لنا بموته وقيامته.

الشك وعدم الإيمان

"فهو على خلاف الرَّجاء (بالرغم من المنطق البشري) **آمَنَ على الرَّجاء، لكَيْ يَصيرَ أبًا لأمَم كثيرَة، كما قيلَ: "هكذا يكونُ نَسلُكَ". وإذ لم يَكُنْ ضَعيفًا في الإيمان لم يَعتَبِرْ جَسَدَهُ - وهو قد صارَ مُماتًا، إذ كانَ ابنَ نَحو مئَة سنَة - ولا مُماتيَّةَ مُستَوْدَع سارَةَ. ولا بعَدَم إيمان ارتابَ في وَعد الله، بل تقَوَّى بالإيمانَ مُعطيًا مَجدًا لله. وتَيَقَّنَ أنَّ ما وعَدَ بهِ هو قادرٌ أنْ يَفعَلَهُ أيضًا"** (رومية ٤: ١٨- ٢١).

يا لها من كلمات رائعة أحب الرجوع إليها في كل مرة يتسرب الشك إلى قلبي بخصوص أحد الوعود التي وعدني بها الله! أعطى الرب لإبراهيم وعدًا بأن يكون له وريث من نسله، ومضت سنوات طويلة دون أن يتحقق الوعد، ولكن إبراهيم ظل متمسكًا بوعد الله له، ثابتًا على إيمانه بوعد الله له أن سيتحقق، وبالرغم من إيمانه بوعد الله، تسرب الشك ذات مرة إلى قلبه وبسبب عدم إيمانه عصى الله.

والعصيان في هذه حالة يعني الاستسلام في الوقت الذي يطلب الله فيه من كل شخص فينا أن نستمر في التقدم إلى الأمام. العصيان هو تجاهل صوت الله أو وعوده الشخصية لنا، وليس فقط التعدي على الوصايا العشر.

ظل إبراهيم ثابتًا في إيمانه مسبحًا وممجدًا الله، ويقول الكتاب عنه إنه كلما فعل ذلك تقوَّى في الإيمان، فعندما يخبرنا الله بشيء أو يطلب منا القيام بأمر ما، يعطينا الإيمان من خلال كلمته؛ فمن غير الممكن أن يتوقع الله منا أنَّ نفعل شيئًا دون أن يعطينا القدرة على الإيمان بأننا نقدر أن نفعله، كما أن إبليس يعلم جيدًا مدى خطورة القلب المملوء بالإيمان، ولذلك يشن حربه علينا بسهام من الشك وعدم الإيمان، وهذا ليس لأنه لا إيمان لنا، ولكن لأن إبليس يحاول أن يسلبنا إيماننا بأكاذيبه.

دعوني أعطيكم مثالًا على ذلك، في صباح أحد الأيام وبعد أن اختبرت معمودية الملء بالروح القدس بثلاثة أسابيع، كنت أسمع تسجيل إحدى العظات التي كان يلقيها خادم الرب "راي موسهولدر" بعنوان "اعبر إلى الضفة الأخرى". وبعد أن انتهيت من الاستماع إليها شعرت بعمل الروح القدس في قلبي، وتعجبت " كيف يمكن لهذا الشخص أن يعظ ساعةً كاملةً عن آية واحدة من الكتاب المقدس دون أن أشعر بالملل؟"

وبينما كنتُ أرتب فراشي شعرت برغبة شديدة في داخلي لأعظ وأعلم بكلمة الله، وسمعت صوت الرب يقول لي "ستعلِّمين بكلمتي في كل مكان، وستكون لكِ خدمة كبيرة لتعليم كلمة الله من خلال شرائط الكاسيت".

لم يكنَ هناك منطق مفهوم يجعلني أؤمن بأن الله تحدث إليَّ بالفعل وأصدق أني أقدر أن أفعل ما سمعته. كانت حياتي مليئةً بمشاكل لا حصر لها، ولم أكن الخادمة الجيدة التي يستطيع الرب أن يستخدمها في الخدمة، ولكنه يختار جهال العالم ليخزي الحكماء (١ كورنثوس ١: ٢٧)؛ فهو ينظر إلى قلب الإنسان وليس إلى مظهره (١ صموئيل ١٦: ٧).

وبالرغم من عدم وجود ما يجعلني أؤمن بأن شيئًا من هذا القبيل سيحدث، فإن قلبي امتلأ بالإيمان بقدرتي على عمل كل ما يريدني الله أن أفعله؛ فعندما يدعونا الله، يضع الأشواق في قلوبنا والإيمان والقدرة على إتمام هذه الدعوة، ولكن لا أخفي عليكم أنه خلال سنوات الإعداد والتدريب والانتظار هاجمني إبليس مرارًا وتكرارًا بالشك وعدم الإيمان.

يضع الله أحلامًا ورؤى في قلوب أولاده، وعادةً تبدأ في حجم البذرة، فكما أن الحمل يبدأ ببذرةٍ صغيرةٍ تُزرع في رحم المرأة، هكذا نحمل نحن (إن جاز التعبير) بأمور الله ووعوده، ومن خلال فترة الحمل هذه يحاول إبليس بكل الطرق والوسائل أن يستخدم الشك وعدم الإيمان حتي يجهض هذه الأحلام.

أما الإيمان فهو من ثمار الروح، وله قوته الروحية، ولكن إبليس لا يريد أن تتفق أفكارنا مع ما يقوله الروح لنا؛ لأنه يعلم أن الإيمان الذي يزرعه الله في قلوبنا سيجعلنا إيجابيين، ويشجعنا على زيادة الإيمان بوعود الله بصفةٍ مستمرةٍ، وكل هذا سيعود بالخسارة على مملكته.

استمر في سيرك على الماء

"وأمّا السَّفينَةُ فكانَتْ قد صارَتْ في وسط البحر مُعَذَّبَةً منَ الأمواج. لأنَّ الرِّيحَ كانَتْ مُضادَّةً. وفي الهَزيعِ الرّابع مَنَ اللَّيل (ما بين الساعة الثالثة والسادسة صباحًا) مَضَى إليهِمْ يَسوعُ ماشيًا على البحر. فلَمّا أبصَرَهُ التلاميذُ ماشيًا على البحر اضطَرَبوا قائلينَ: "إنَّهُ خَيالٌ". ومنَ الخَوْف صَرَخوا! فللوقت كلَّمَهُمْ يَسوعُ قائلاً: "تشَجَّعوا! أنا هو. لا تخافوا". فأجابَهُ بُطرُسُ وقالَ: "ياسيِّدُ، إنْ كُنتَ أنتَ هو، فمُرني أنْ آتيَ إليكَ على الماء". فقالَ: "تعالَ". فنَزَلَ بُطرُسُ منَ السَّفينَة ومَشَى على الماءِ ليأتيَ إلى يَسوعَ. ولكن لَمّا رأى الرِّيحَ شَديدَةً خافَ. وإذ ابتَدَأَ يَغرَقُ، صَرَخَ قائلاً: "يارَبُّ، نَجِّني!". ففي الحال مَدَّ يَسوعُ يَدَهُ وأمسَكَ به وقالَ لهُ: "ياقَليلَ الإيمان، لماذا شَكَكتَ؟". ولَمّا دَخَلا السَّفينَةَ سكَنَتِ الرِّيحُ" (متى ١٤: ٢٤- ٣٢).

أود أن ألفت انتباهكم للعدد الأخير من هذا الجزء الكتابي حتى تعلموا المنهج الذي يتبعه إبليس؛ لقد نزل بطرس من السفينة بناءً على دعوة المسيح له بأن يفعل شيئًا لم يفعله من قبل طيلة حياته، والحقيقة هي أنه لا يوجد من استطاع أن يمشي على الماء إلا المسيح، فكان الأمر يتطلب إيمانًا!

إلا أن بطرس أخطأ لأنه صرف الجزء الأكبر من وقته ناظرًا للعاصفة حتى أنه خاف. لقد انتابه الشك وعدم الإيمان فبدأ يغرق، وصرخ طالبًا من الرب أن ينجيه، وبالفعل نجَّاه المسيح، ولكن لاحظ أن العاصفة هدأت حالما عاد بطرس إلى السفينة.

ويذكِّرنا (رومية ٤: ١٨- ٢١) بأن إبراهيم لم يشك في وعود الله له بالرغم من استحالة حدوث هذا الوعد بحكم المنطق، لقد عرف إبراهيم حالة عُمره وعُمر زوجته، ولكنه بعكس بطرس، فهو لم يتحدث عنها أو يفكر فيها، ويستطيع كلٌّ منا أن يعرف الظروف المحيطة به ولكن دون أن تغيب عن أذهاننا الأفكار التي تبني وتشدد إيماننا.

ولهذا السبب، بقي إبراهيم يسبح الله ويمجده؛ فعندما نستمر في عمل ما دعانا الرب لنعمله بغضِّ النظر عن الظروف، نمجد الله، وفي (أفسس ٦: ١٤) يوصينا كاتب الرسالة أن نمنطق أحقاءنا بالحق.

وعندما تهب العواصف على حياتك وتكاد تعصف بها، ثبِّت وجهك نحو الهدف، واعزم على أن تستمر في سيرك على الماء خارج السفينة بمعونة من الروح القدس، وعادةً تهدأ العاصفة بمجرد أن تنسحب وتقرر العودة إلى المكان الذي تشعر فيه بالأمن والأمان.

يأتي إبليس بالعواصف على حياتك حتى يُفشلك ويثنيك عن عزمك، ولكن تذكر وسط العاصفة أن الذهن هو الأرض التي تدور عليها المعركة، فلا تتسرع في اتخاذ قرارات بناءً على أفكارك الخاصة أو مشاعرك، وإنما افحص الأمر في ضوء الروح القدس، وعندما تفعل ذلك سترى نفس الرؤية التي أعطاها لك الرب في بداية الأمر.

غير مسموح بالارتياب

"وإنَّما إنْ كانَ أحَدُكُمْ تُعوزُهُ حكمَةٌ، فليَطلُبْ منَ الله الذي يُعطي الجميعَ بسَخاء ولا يُعَيِّرُ، فسَيُعطى لهُ. ولكن ليَطلُبْ بإيمان غَيرَ مُرتاب البَتَّةَ، لأنَّ المُرتابَ يُشبهُ مَوْجًا منَ البحر تخبطُهُ الرِّيحُ وتدفَعُهُ. فلا يَظُنَّ ذلكَ الإنسانُ أنَّهُ يَنالُ شَيئًا منْ عِندِ الرَّبِّ" (يعقوب ١: ٥- ٧).

يحكي راعي كنيستي "ريك شيلتون" اختباره عن الحيرة التي شعر بها بعد تخرجه من كلية اللاهوت، فقد وضع الله في قلبه أن يعود مرةً أخرى إلى مدينة سانت لويس بولاية ميسوري ليؤسس كنيسةً محليةً هناك، وهو ما كان ينوي أن يفعله فور تخرجه، ولكن عندما حان موعد الذهاب، لم يكن معه سوى خمسون دولارًا وزوجة وطفل، وطفل آخر في الطريق. كان من الواضح جدًّا أن الظروف لم تكن مواتيةً بالمرة.

وفي ذلك الوقت، قُدم له عرضان آخران مغريان أكثر من دعوة الرب له. لقد أتيحت له الفرصة حتى يلتحق بأسرة العاملين بإحدى المنظمات المسيحية الكبيرة جدًّا والمشهورة. كان العائد المادي مجزيًا جدًّا، كما أن نوعية الخدمة كانت جذابةً للغاية، وفوق كل شيء يكفيه شرفًا أن يلتحق بإحدى هاتين الهيئتين. وكلما فكر في هذين العرضين، زادت حيرته (ألا يبدو هذا شكًّا في دعوة الله له؟)

في وقتٍ ما شعر بيقين دعوة الله له، أما الآن فهو مرتاب ويتردد أمام العروض المُقدَّمة له، ولأن ظروف أسرته لم تكن مشجعةً للعودة مرة أخرى لسانت لويس، فقد جُرِّب بأن يقبل أحد العرضين المُقدَّمين له. إلا أنه لم يشعر بسلام الله لقبول أيٍّ منهما، وأخيرًا طلب مشورة أحد الرعاة الذين عرضوا عليه إحدى الوظيفتين، وبكل حكمة أجابه ذلك الراعي: "اذهب إلى مكان هادئ وتوقف عن التفكير، وابحث في قلبك عما يريدك الله أن تفعله، وعندئذ افعله".

وعندما تبع نصيحة ذلك الراعي وجد في قلبه الكنيسة في سانت لويس، لم يكن يعرف كيف يمكن أن يفعل ذلك مع ظروف أسرته، ولكنه أطاع صوت الرب، وكانت النتائج أكثر من رائعة.

واليوم أصبح "ريك شيلتون" المؤسس والراعي لمركز الحياة المسيحي في مدينة سانت لويس بولاية ميسوري. ويبلغ عدد أعضاء كنيسته حوالي ثلاثة آلاف شخص، بالإضافة إلى خدمات الكرازة التي تقوم بها الكنيسة. لقد بارك الله حياة آلاف من الناس من خدمته، كما تغيرت حياة الآخرين أيضًا. لقد كنت الراعي المساعد لهذه الكنيسة طوال خمس سنوات، وُلدت خلالها خدمة "حياة في الكلمة". فقط فكِّر في الأشياء التي كان بوسع إبليس أن يسلبها بالشك وعدم الإيمان لو لم يسلك القس شيلتون بحسب قلبه وسلك بحسب فكره.

الشك قرار اختياري

"وفي الصُّبح إذ كانَ راجعًا إلَى المدينة جاعَ، فنَظَرَ شَجَرَةَ تين علَى الطريقِ، وجاءَ إليها فلم يَجدْ فيها شيئًا إلا ورَقًا فقط. فقالَ لها: "لا يَكُنْ منك ثمَرٌ بَعدُ إلَى الأبد!". فيَبسَت التِّينَةُ في الحال. فلَمّا رأى التلاميذُ ذلكَ تعَجَّبوا قائلينَ: "كيفَ يَبسَت التِّينَةُ في الحال؟". فأجابَ يَسوعُ وقالَ لهُمْ: «الحَقَّ أقولُ لَكُمْ: إنْ كانَ لكُمْ إيمانٌ ولا تشُكّونَ، فلا تفعَلونَ أمرَ التِّينَة فقط، بل إنْ قُلتُمْ أيضًا لهذا الجَبَل: انتَقِلْ وانطَرِحْ في البحرِ فيكون»" (متى ٢١: ١٨- ٢٢).

عندما تعجب التلاميذ وتساءلوا: "كيف يبست التينة بأمر المسيح؟" قال لهم: "إن كان لكم إيمان ولا تشكون تستطيعون أن تفعلوا بالتينة كما فعلت بل وأعظم من ذلك أيضًا" (انظر يوحنا ١٤: ١٢).

رأينا فيما سبق أن الإيمان هو عطية الروح وأن الله قَسَمَ لكلٍّ منا مقدارًا من الإيمان (رومية ١٢: ٣). ولكن الشك قرار اختياري، وهو أحد خطط إبليس التي يتبعها لينتصر على عقولنا.

فبما أننا قادرون على اختيار ما نفكر فيه، فبإمكاننا أن نتعلم كيف نتعرف على الشك ونرفضه ونبقى على إيماننا. والاختيار لك.

عدم الإيمان يؤدي إلى العصيان

"ولَمّا جاءوا إلَى الجَمع تقَدَّمَ إليه رَجُلٌ جاثيًا لهُ وقائلاً: «ياسيِّدُ، ارحَم ابني فإنَّهُ يُصرَعُ ويَتألَّمُ شَديدًا، ويَقَعُ كثيرًا في النّار وكثيرًا في الماء. وأحضَرتُهُ إلَى تلاميذكَ فلم يَقدروا أنْ يَشفوهُ». فأجابَ يَسوعُ وقالَ: «أيُّها الجيلُ غَيرُ المؤمن، المُلتَوي، إلَى مَتَى أكونُ معكُمْ؟ إلَى مَتَى أحتَملُكُمْ؟ قَدِّموهُ إلَيَّ ههنا!» فانتَهَرَهُ يَسوعُ، فخرجَ منهُ الشَّيطانُ. فشُفيَ الغُلامُ منْ تلكَ السّاعَة. ثُمَّ تقَدَّمَ التلاميذُ إلَى يَسوعَ علَى انفراد وقالوا: «لماذا لم نَقدرْ نَحنُ أنْ نُخرجَهُ؟» فقالَ لهُمْ يَسوعُ: «لعَدَمِ إيمانِكُمْ»" (متَى ١٧: ١٤- ٢٠).

تذكر أن عدم الإيمان يؤدي إلى العصيان.

ربما علَّم المسيح تلاميذه كيف يتصرفون في مثل هذه المواقف، ولكن بسبب عدم إيمانهم عصوا وصاياه ففشلوا فيما أُرسلوا لأجله.

يعيق عدم الإيمان والشك من عمل ما دعاهم اللّه ومسحهم لكي يفعلوه في حياتهم، كما سيحرمهم من اختبار السلام الذي جاء ليمنحنا إياه لنتمتع به ونجد راحة لنفوسنا (متى ١١: ٢٨- ٢٩).

يوم السبت للراحة

"**فلنَجتَهِدْ أنْ نَدخُلَ تلكَ الرّاحَةَ** (نعرف الراحة الإلهية ونختبرها) **لئلا يَسقُطَ أحَدٌ في عبرَةِ العصيان** (وعدم الإيمان) **هذهِ عَينها** (التي سقط فيها الشعب في البرية)" (عبرانيين ٤: ١١).

يتحدث الأصحاح الرابع من سفر العبرانيين عن "سبت الراحة" المُخصَّص لشعب اللّه؛ فبحسب شريعة العهد القديم، كان يوم السبت يُخصَّص للراحة. أما في العهد الجديد، فيشير سبت الراحة إلى المكان الذي يجد فيه الإنسان الراحة الروحية. إنه امتياز يحظى به كل مؤمن فيرفض القلق والتوتر. لقد صار لكلٍّ منا حق دخول راحة اللّه.

وبالدراسة المتأنية لـ (عبرانيين ٤: ١١)، نجد أننا لن نستطيع دخول هذه الراحة إلا عن طريق الإيمان، ولكننا سنُحرم منها بسبب عدم الإيمان والعصيان؛ فعدم الإيمان يجعلنا نبقى في البرية، أما المسيح فيريدنا أن ندخل الراحة التي أعدها لنا، والتي لن نستطيع أن نختبرها إلا عن طريق الإيمان.

من إيمان لإيمان

"**لأنْ فيه مُعلَنٌ برُّ الله بإيمان، لإيمان، كما هو مَكتوبٌ: «أمّا البارُّ فبالإيمان يَحيا»**" (رومية ١: ١٧).

أتذكر شيئًا حدث معي سيوضح معنى الآية السابقة؛ في مساء أحد الأيام، شعرت بكآبة قلب، ولم يكن في قلبي فرح أو سلام. وسألت الرب عن السبب: "يارب، ما هو سبب ما أنا فيه؟ ما سبب هذه المشاعر التي أشعر

بها طوال الوقت؟" وطلبت من الرب بكل قلبي أن يعلن لي عن سبب المشكلة التي كنت فيها بالرغم من حرصي على السلوك بحسب كل ما تعلمته خلال سيري مع المسيح.

في ذلك الوقت، رن جرس الهاتف وبينما كنت أتناول أطراف الحديث مع صديقتي، رأيت صندوقًا بعثت به صديقة لي يحتوي على كروت بها آيات من الكتاب المقدس. وبينما كنت أمرُّ على هذه الآيات بحثًا عن آية تشجع قلبي قررت أن أختار أحد الكروت بطريقة عشوائية، فكانت الآية منً (رومية ١٥: ١٣): "وليَملأْكُمْ إِلَهُ الرَّجاءِ كُلَّ سُرورٍ وسلامٍ في الإيمانِ (عن طريق اختبار الإيمان) لتزدادوا (لتمتلئواَ وتفيضواً) في الرَّجاءِ بقوَّةِ الرّوحِ القُدُسِ".

وعرفت سبب المشكلة!

كانت مشكلتي هي الشك وعدم الإيمان، وكان هذا سبب تعاستي عندما اخترت أن أصدق أكاذيب إبليس. كان تفكيرى سلبيًّا، ففقدت روحي وسلامي بسبب عدم إيماني. ومن المحال أن يكون للإنسان فرح وسلام بينما يعيش في شك وعدم إيمان.

قرر أن تصدق الله بدلًا من إبليس، وتعلَّم أن تعيش من إيمان إلى إيمان أكبر؛ فهذه هي الطريقة الوحيدة لإعلان بر الله (بحسب ما جاء في رومية ١: ١٧). لقد أعلن لي الله أني كنت أعيش من إيمان لشك ثم إلى عدم إيمان، بدلًا من أن أعيش من إيمان لإيمان. وكان هذا سبب الشقاء والتعاسة التي عانيت منها في حياتي.

ولا تنسَ أن ذا الرأيين متقلقل في كل طرقه، كما أنه لا ينال ما يطلب من الرب (بحسب ما جاء في يعقوب ١: ٧- ٨). لذلك قرر ألا تعيش برأيين وألا تقضي حياتك كلها في شك وعدم إيمان.

لقد أعدَّ الله خطةً رائعةً لحياتك، فلا تدع إبليس يسلبها منك بأكاذيبه وحيله بل "**هادمينَ ظُنونًا وكُلَّ عُلو يَرتَفعُ ضدَّ مَعرِفَةِ الله، ومُستأسِرينَ كُلَّ فكرٍ إلَى طَاعَةِ المَسيحِ**" (٢ كورنثوس ١٠: ٥).

١٢
ذهن قلق متوتر

"**اترُك السَّخَطَ**" (مزمور ٣٧: ٨).

يهاجم إبليس عقولنا بالقلق والتوتر ليمنعنا من خدمة الرب، كما أنه يستخدم هذين السلاحين ليضعف إيماننا كيلا نعيش حياةً منتصرةً.

ويعاني بعض الناس من مشكلة القلق حتى يمكن أن ندعوهم "مدمني قلق"؛ فإن لم يكن في حياتهم ما يدعو للقلق، بحثوا عن مشاكل شخص آخر ليقلقوا عليها. ولأني عانيت من هذه المشكلة في حياتي فأنا قادرة على وصف أعراضها؛ لأني لم أكن أتمتع بالسلام الذي مات المسيح ليمنحه لي، بسبب مشاعر القلق التي كانت تملأ حياتي.

ولا يمكن أن يعيش الإنسان في قلق وسلام في نفس الوقت؛ فالسلام ليس شيئًا يستطيع الإنسان أن يضعه بداخله، فهو من ثمار الروح (غلاطية ٥: ٢٢). والثمار نتيجة الثبات في الكرمة (يوحنا ١٥: ٤). والثبات مرتبط بدخول الراحة التي نقرأ عنها في الإصحاح الرابع من رسالة العبرانيين.

وهناك كلمات كثيرة في الكتاب المقدس لها نفس معنى كلمة القلق وتختلف باختلاف الترجمات، منها ما جاء في (مزمور ٣٧: ٨) حيث يوصينا كاتب المزمور أن نكف عن السخط أو القلق، وفى (متى ٦: ٢٥) يحذرنا المسيح من القلق بالقول: "لا تهتموا"، وقول الرسول: "لا تهتموا بشيء" (فيلبي ٤: ٦)، "وملقين كل همكم" (١ بطرس ٥: ٧). ولتبسيط الأمر، سأشير إلى هذه الحالة بكلمة "القلق".

تعريف القلق

يُعرِّف قاموس "وبستر" القلق بأنه "الشعور بعدم الراحة والانزعاج، أو أن يسبب شخصٌ ما لآخر مشاعر قلق وضيق وانزعاج، أو أن يكون شيء ما مصدرًا للاهتمام بطريقةٍ مزعجةٍ". وقال أحدهم إنه تعذيب النفس بأفكار مزعجة.

وعندما قرأت التعريف الأخير "أنه تعذيب النفس بأفكار مزعجة"، قررت في تلك اللحظة أني أذكى بكثير من أن أنخدع بتلك المشاعر. ولذلك أقول إن الرب أعطى حكمةً وذكاءً لأولاده حتى لا يضيِّعوا الوقت في تعذيب أنفسهم؛ فالقلق لا يفيد شيئًا ولا يصلح الأمور، فلماذا لا نتخلى عنه؟

وفي تعريف آخر لكلمة القلق يقول "يشبه القلق ما تفعله الحيوانات ببعضها عندما يمسك أحدهم بعنق الآخر ويهزه هزات قوية ويعذبه بعضات متكررة ولكمات الواحدة تلو الأخرى". وعندما تأملت هذا التعريف أدركت أن هذا بالضبط ما يفعله إبليس معنا. فعندما تتملكنا مشاعر القلق لبضع ساعات، نشعر بنفس المشاعر وكأن هناك من يمسك بأعناقنا ويهزها حتى ننهار، وتشبه هذه المشاعر والأفكار المقلقة العضات واللكمات المتكررة.

والقلق هو بلا شك أحد هجمات إبليس التي يشنها علينا؛ فهناك أمور كثيرة يوصينا الله بأن نعملها بأذهاننا، إلا أن إبليس يحاول جاهدًا ليتأكد أن شيئًا منها لا يعمل، بمحاولته أن يشغل أذهاننا باستمرار حتى لا نستخدمها في الغرض الذي خصَّصه الله لنا.

وفي الفصل التالي من هذا الكتاب، سنتحدث بتفصيل أكثر عن الأسباب التي يوصينا الله بأن نفعلها بأذهاننا، لذلك دعونا الآن نُكمل دراستنا حول موضوع القلق لنتأكد أنه أمر لا داعي له.

وعندما تتمكن مشاعر القلق من قلوبنا وعندما تنشغل به عقولنا، يمكننا أن نقرأ كلام المسيح في (متى ٦: ٢٥- ٣٤). والآن دعونا ندرس كل آية منها على حدى لنرى ما هو رأي الكتاب حول هذا الموضوع المهم.

الحياة أفضل من الأشياء

"لذلكَ أقولُ لكُمْ: لا تهتَمّوا لحَياتكُمْ (لا تقلقوا) بما تأكُلونَ وبما تشرَبونَ، ولا لأجسادِكُمْ بماَ تلبَسونَ. أليستِ الحياةُ

أفضَلَ مِنَ الطَّعامِ، والجَسَدُ أفضَلَ مِنَ اللِّباسِ؟" (متى ٦: ٢٥).

قصد الله أن تكون الحياة أفضل بكثير من الأشياء حتى نتمتع بها. وقال المسيح في (يوحنا ١٠: ١٠): **"السّارقُ لا يأتي إلا ليَسرقَ ويَذبَحَ ويُهلِكَ، وأمّا أنا فقد أتيتُ لتكونَ لهُمْ حياةٌ وليكونَ لهُمْ أفضَلُ"**. لكن إبليس يحاول أن يسلب منا هذه النوعية من الحياة بطرق عديدة، ومنها القلق.

وفي (متى ٦: ٢٥)، يعلمنا المسيح أنه لا يوجدُ شيء في الحياة يستحق القلق؛ فالحياة التي جاء ليعطيها لنا حياة عظيمة، لدرجة أنها تشتمل على كل الأشياء الأخرى، لكن القلق على هذه الأشياء يجعلنا غير قادرين على التمتع بها.

أنت أفضل من العصافير

"اُنظُروا إلَى طُيورِ السماءِ: إنَّها لا تزرَعُ ولا تحصُدُ ولا تجمَعُ إلَى مَخازنَ، وأبوكُمُ السماويُّ يَقوتُها. ألستُمْ أنتُمْ بالحَريِّ أفضَلَ مِنها؟ (ذوي قيمة أكبر)؟" (متى ٦: ٢٦).

سنتعلم الكثير إن قَضينا بعض الوقت نراقب الطيور، وهذا ما أوصانا به الرب في هذه الآية، وهذه المراقبة تذكّرنا بأن الله يعتني بأصدقائنا الطيور ذوات الريش؛ فهم لا يعلمون ماذا ستكون وجبتهم القادمة ولا من أين ستأتي، ومع هذا لم أرَ في حياتي طائرًا جالسًا على أحد فروع الأشجار يعاني من انهيار عصبي بسبب القلق على المستقبل.

والقضية هنا تتلخص في سؤال واحد: "هل تساوي في نظر الله أكثر مما يساويه هذا العصفور؟" فحتىّ لو كنّت تعاني من صغر النفس، فمن المؤكد أنك تعرف أنك تساوي أكثر من الطيور الصغيرة التي يهتم بها الآب السماوي.

القلق لا يفيدك

"ومَنْ منكُمْ إذا اهتَمَّ يَقدرُ أنْ يَزيدَ علَى قامَتِه ذِراعًا واحِدَةً؟" (متى ٦: ٢٧).

يتضح من هذه الآية أنه لا فائدة من القلق؛ فهو لن يصلح من الأمور

شيئًا. فإن كانت هذه هي الحقيقة، فلماذا نقلق ونهتم بأمورٍ كثيرة؟

لماذا نهتم بأمور كثيرة؟

"ولماذا تهتَمّونَ باللِّباس؟ تأمَّلوا زَنابقَ الحَقل كيفَ تنمو! لا تتعَبُ ولا تغزلُ. ولَكن أقولُ لكُمْ: إنَّهُ ولَا سُلَيمانُ في كُلِّ مَجده (عظمَته وغناه) كانَ يَلبَسُ كواحدَة منها. فإنْ كانَ عُشبُ الحَقل الذي يوجَدُ اليومَ ويُطرَحُ غَدًا في التَّنّور، يُلبسُهُ الله هكذا، أفَليس بالحَريِّ جِدًا يُلبِسُكُمْ أنتُمْ ياقَليلي الإيمان؟" (متى ٦: ٢٨- ٣٠).

استخدم المسيح هذا المثل من الطبيعة ليوضح مدى اهتمام الرب بالورود البرية التي لا تبذل مجهودًا في شيء ولكن ولا سليمان في كل مجده وعظمته وغناه كان يلبس كواحدةٍ منها؛ فمن المؤكد أنه يعتني بنا ويسدد كل احتياج لدينا.

لا تقلقوا ولا تهتموا

"فلا تهتَمّوا (لا تقلقوا) **قائلينَ: ماذا نأكُلُ؟ أو ماذا نَشرَبُ؟ أو ماذا نَلبَسُ؟"** (متى ٦: ٣١).

وأود أن أضيف: "ولا تهتموا ماذا ستفعلون!"

يرسل إبليس جنوده حتى يكرروا في آذان المؤمنين هذه الأسئلة طوال الوقت، فيشغلون ذهنهم بالبحث عن إجابة لها، وهكذا يستمر إبليس في رمي سهامه على أرض المعركة (أي ذهن الإنسان) على أمل أن ينشغل المؤمن بهذا الصراع المكلف جدًّا.

لاحظ ما جاء في (متى ٦: ٣١) التي تذكِّرنا بوصية الله بألا نهتم ولا نقلق، وأن من فضلة القلب يتكلم اللسان (متى ١٢: ٣٤). ويعلم إبليس جيدًا أنه إن نجح في بث أفكار خاطئة في أذهاننا ستخرج هذه الأفكار في صورة كلمات من أفواهنا. ومن هنا جاءت أهمية الكلمات التي تعكس ما نؤمن به أو ما لا نؤمن به.

اطلبوا الله وليس عطاياه

"فإنَّ هذه كُلَّها تطلُبُها الأُمَمُ. لأنَّ أباكُمُ السماويَّ يَعلَمُ أنَّكُمْ تحتاجونَ إلَى هذه كُلِّها. لكن اطلُبوا أوَّلاً ملكوتَ الله وبرَّهُ، وهذه كُلُّها تُزادُ لكُمْ" (متى ٦: ٣٢- ٣٣).

يجب أنَ يختلف أولاد الله عن أولاد العالم؛ فالأمم تطلب كل هذه الأشياء، ولكن علينا أن نطلب الرب أولًا، وعندئذ سيعطينا كل الأشياء التي يعلم أننا نحتاج إليها. علينا أن نتعلم أن نطلب وجه الله وليس ما تمنحه لنا يداه.

يُسَر الله بأن يمنح أولاده عطايا حسنة إن كنا نطلبه قبل أن نطلب عطاياه. فهو يعلم ما نحتاج إليه قبل أن نطلبه؛ فإن رفعنا له طلباتنا (فيلبي ٤: ٦) فمن المؤكد أنه سيستجيب لها في الوقت المناسب. أما القلق فلن يفيد شيئًا، ولكنه سيعطل تقدمنا في مسيرتنا مع الله.

يومًا بيوم

"فلا تهتَمّوا للغَد، لأنَّ الغَدَ يَهتَمُّ بما لنَفسِه. يَكفي اليومَ شَرُّهُ" (متى ٦: ٣٤).

القلق أو التوتر مضيعة لليوم؛ لأنه تفكير في الغد، لكن دعونا نقضي الوقت في الأشياء التي يريدنا الرب أن نستغل يومنا فيها، فقد وُجِدت الحياة لنحياها الآن حيثما وُجِدنا.

ولكن الشيء المحزن هو أن قليلين يعرفون كيف يستغلون أيامهم بحكمة، وبإمكانك أن تكون واحدًا منهم. قال المسيح في (يوحنا ١٠: ١٠) إن السارق (الذي هو إبليس عدونا) يأتي ليسرق منا الحياة التي أعطاها لنا الرب، فلا تسمح له بأن يفعل بك ذلك بعد الآن. لا تقضي اليوم في التفكير والاهتمام بما سيأتي به الغد، فيكفي اليوم شره. وتأكد أن الرب سيعطيك نعمةً خاصةً للتعامل مع كل ما ستقابله في يومك. أما النعمة التي ستحتاجها للغد، فلن تأتي إلا في يوم الغد! لذلك لا تضيع اليوم.

لا تهتم بشيء

"لا تهتَمّوا بشَيء، بل في كُلِّ شَيء بالصَّلاة والدُّعاء مع الشُّكر، لتُعلَمْ طِلباتُكُمْ (طلباتكم المحددة) لَدَى اللهِ" (فيلبي ٤: ٦).

هذه الآية من أروع الآيات التي يمكنك أن تستخدمها عندما يهاجمك إبليس بالقلق، وأنصحك بأن تعلن كلمات الله بفمك بصوت مسموع؛ لأنها سيف ذو حدين لابد أن نواجه به إبليس (عبرانيين ٤: ١٢ وأفسس ٦: ١٧). ولكن السيف سيكون بلا فائدة إن ظل في غمده.

لقد أعطانا الرب كلمته، فلماذا لا تستخدمها في حربك مع إبليس؟ احفظ عن ظهر قلب آيات مثل هذه حتى تستخدمها عندما يشن إبليس هجماته عليك. استخدم نفس السلاح الذي استخدمه المسيح، والذي هو كلمة الله.

انتهر الظنون

"هادمينَ ظُنونًا وكُلَّ عُلو يَرتَفعُ ضدَّ مَعرفَة الله، ومُستأسرينَ كُلَّ فكر إلَى طاعَة المَسيحِ" (٢ كورنثوس ١٠: ٥).

من أفضَلِ الطرق الَتي نهاَجم بها إبليس عندما تراودنا أفكار لا تتفق مع كلمة الله هي أن نعلن كلمة الله؛ فإعلان كلمة الله بصوت مسموع من قلب يملأه الإيمان من أكثر الأسلحة فاعليةً في حربنا مع إبليس ضد القلق والتوتر.

ملقين كل همكم على الله

"فتَواضَعوا تحتَ يَد الله القَويَّة لكَيْ يَرفَعَكُمْ في حينه، مُلقينَ كُلَّ هَمِّكُمْ عليَه، لأَنَّهُ هو يَعتَني بكُمْ" (١ بطرس ٥: ٦- ٧).

أعطانا الله امتياز أن نلقي عليه كل مشكلة نقابلها وكل مشكلة يحاول إبليس أن يعرقل مسيرتنا مع الله من خلالها. وكلمة "ملقين" تعني أن نقذف بها بعيدًا، وهذا ما يجب أن نفعله بمشاكلنا. وثق أن الله سوف يلتقطها وهو يعلم جيدًا ماذا سيفعل بها.

ويعلمنا هذا الجزء الكتابي أن التواضع يعني عدم القلق أو الاهتمام؛ فالشخص الذي يقلق يظن أنه قادرٌ بطريقة ما على حل مشاكله الخاصة؛ فالقلق هو حالة من حالات الذهن ينشغل فيها بإيجاد الحلول للمشاكل، وبينما يمتلئ المتكبر بالذات الأنانية، يمتلئ الشخص المتواضع بروح الله،

والشخص المتكبر يقلق، أما الإنسان المتواضع فينتظر. والله وحده يقدر أن يخلصنا ويريدنا أن نعرف ذلك يقيناً، حتى يكون رد فعلنا الأول تجاه المشاكل هو اللجوء إليه ودخول راحته.

الراحة الإلهية

"يا إلَهَنا أما تقضي علَيهِمْ! لأنَّهُ ليس فينا قوَّةٌ أمامَ هذا الجُمهور الكَثير الآتي علَينَا، ونَحنُ لا نَعلَمُ ماذا نَعمَلُ ولكن نَحوك أعَيُنُنا" (٢ أخبار أيام ٢٠: ١٢).

كم أحب هذه الآية! ففيها أدرك الناس ثلاثة أمور في غاية الأهمية:

١- ليس فينا قوة لمواجهة العدو.

٢- لا نعرف ماذا نفعل.

٣- نحتاج أن نوجِّه أنظارنا نحو الله.

وفي (ع ١٥، ١٧) من نفس الإصحاح نرى جواب الله على شعبه الذي أدرك احتياجه إلى الله:

"قالَ الرَّبُّ لكُمْ: لا تخافوا ولا ترتاعوا بسَبَب هذا الجُمهور الكَثير، لأنَّ الحَربَ ليستْ لكُمْ بل لله. لَيس علَيكُمْ أنْ تُحاربوا في هذه. قفوا اثبُتوا وانظُروا خَلاصَ الرَّبِّ" (٢ أخبار أيام ٢٠: ١٥، ١٧).

ترى، أين نقف نحن؟ هل نثبت في المسيح لنتمتع براحته، هل ننتظره بعيون ناظرة إليه، عاملين كل ما يوصينا به، ممتلئة قلوبنا بمخافته حتى لا نسلك بالجسد؟

وأود أن أقول شيئًا مهمًّا يتعلق بالراحة الإلهية؛ فالراحة لا تأتي دون حرب.

ولكي أوضح ما أقول، دعوني أقص عليكم قصةً سمعتها؛ طُلب من اثنين من الرسامين أن يقوما برسم لوحة تعبر عن السلام من وجهة نظر كلٍّ منهما، فرسم أحدهما صورةً لبحيرة ساكنة وفي الخلفية جبال عالية. أما الآخر فرسم شجرةً ضخمةً فوق شلالٍ ماء مُتدفق، يرقد على أحد فروعها طائر في سلام داخل عشه.

ترى، أي من هاتين اللوحتين تعبِّر عن السلام؟ بالتأكيد اللوحة الثانية؛ لأنه لا يوجد سلام بدون حرب وبدون مقاومة، قد تعبر اللوحة الأولى عن منظر رائع يود المرء زيارته لقضاء عطلته هناك لأن مناظره خلابة، ولكنه بالتأكيد لا يعبِّر عن السلام.

قال المسيح: "**سلامًا أترُكُ لكُمْ. سلامي أُعطيكُمْ. ليس كما يُعطي العالَمُ أعطيكُمْ أنا**" (يوحنا ١٤: ٢٧). إن السلام الذي يمنحه الله لنا هو سلام روحي يعمل أثناء العواصف وليس في غيابها. لم يأتِ المسيحُ لينزع الحروب من حياتنا، ولكنه جاء ليعطينا ما نواجه به عواصفَ الحياة بنفس أسلوب مواجهته لها؛ فكما أن المسيح لم يقلق، هكذا ينبغي أن نفعل نحن أيضًا.

إن كنت تنتظر أن يأتي وقت لن تجد فيه ما تقلق بشأنه، تأكد أن انتظارك سيطول؛ لأن ذلك لن يحدث أبدًا. ولا تظن أني سلبية عندما أقول هذا؛ فأنا فقط أحاول أن أكون أمينةً معك. يوصينا المسيح في (متى ٦: ٣٤) بأن لا نهتم بالغد؛ إذ تكفينا متاعب اليوم ومشاكله. ومن المؤكد أن المسيح لم يكن سلبيًّا عندما قالها. فالتمتع بالسلام وبالراحة الإلهية أثناء العواصف يعطي المجد والكرامة لله لأنها برهان على عظمته.

قلق، قلق، قلق!

لقد أضعت سنوات كثيرة من عمري في القلق على أمور لم يكن بوسعي أن أفعل شيئًا تجاهها، وأتمنى أن تعود تلك السنوات حتى أتعامل معها بطريقة مختلفة، ولكن لا يمكن أن يعود الزمن إلى الوراء، ولا يمكن أن تتعامل معَ مواقفَ مضت.

أما زوجي فلا يوجد شيء يجعله يقلق أو يهتم. حتى أني كنت أثور وأغضب في أحيان كثيرة لأنه لا يشاركني قلقي عندما أتحدث عن مخاوفي والاحتمالات المروعة التي يمكن أن تحدث لي، إن لم يتدخل الرب بطريقته الخاصة ليسد احتياجاتنا! فعلى سبيل المثال كنت أجلس في مطبخي أمام الفواتير التي يجب دفعها، وأنظر إلى حسابنا في البنك فيزيد قلقي وخوفي؛ لأن قيمة الفواتير أكبر بكثير من المبلغ الموجود لدينا. وفي نفس الوقت، يجلس زوجي في الحجرة المجاورة يلعب ويلهو مع الأطفال ويشاهد التلفاز

بينما يقفز الأطفال من فوقه.

وأتذكر أني كنت أقول له بنبرة حادة: "لماذا لا تأتي هنا وتفعل شيئًا بدلًا من اللعب مع الأطفال، وتتركني وحدي أحاول أن أجد حلًّا لهذه الورطة؟" فيجيب: "ماذا تريدين مني أن أفعل؟" فكنت أغضب أكثر لأنه لا يوجد ما يمكن فعله، ولأنه قادر أن يتمتع بحياته بينما نمر بأسوأ المشاكل المادية التي قابلتنا في الحياة.

وكان زوجي يحاول تهدئتي، فيذكرني بأن الله كان دائمًا أمينًا في تسديد كل احتياجاتنا، وأننا نقوم بعمل كل ما نقدر عليه (وهو تقديم العشور ومساعدة المحتاجين، والصلاة، والثقة بالله) وأن الله لن يخذلنا أبدًا. كان واثقًا في الله بينما أنا أقضي وقتي في قلق وتوتر. وبالفعل كنت أذهب معه للغرفة المجاورة للعب مع الأطفال، ولكن سرعان ما عاودتني الأفكار مرة أخرى، وأتساءل: "ولكن ماذا سنفعل؟ وكيف سنتمكن من دفع كل هذه المبالغ؟ ماذا لو...؟"

وهكذا أتخيل كل الكوارث التي يمكن أن تحدث: سنُطرد من مسكننا. سيحجزون على السيارة. كم الإحراج الذي سنشعر به أمام أقربائنا وأصدقائنا في حال طلبنا منهم مساعدة مالية! وتستمر الأفكار هكذا. فهل راودتك مثل هذه الأفكار؟ من المؤكد أنها هاجمت ذهنك وإلا ما كنت لتقرأ هذا الكتاب.

وبعد أن ينجح إبليس في هجماته على ذهني وعلى فكري، أعود مرةً أخرى إلى المطبخ وأخرج كل الفواتير والآلة الحاسبة. وأبدأ من جديد في حساب الديون والتفكير في حل لمعالجة هذه المشكلة. وكلما فعلت ذلك، يتمتعون بحياتهم بينما أتحمل أنا كل "المسؤولية".

والحقيقة أنها لم تكن مسؤولية، بل كانت وهمًا وقلقًا، وهو ما أوصاني الرب بأن ألقيه عليه.

وعندما أتذكر هذه الأيام أدرك أني أضعت كل هذه الأمسيات الجميلة التي أعطاها لي الرب في أوائل سنوات زواجي. إن الأوقات التي يعطيها لنا الرب هي عطايا غالية وثمينة، ولكني سلمتها لإبليس، لذلك أنصحك أن تستغل الوقت بحكمة، فهو ملك لك.

يسدد الله كل احتياج لدينا، ويفعل ذلك بطرقٍ مختلفةٍ. فتأكد أنه لن يخذلك لأنه إله أمين.

لا تقلق! ثق في الله

"لتَكُنْ سيرَتُكُمْ خاليَةً منْ مَحَبَّة المال. كونوا مُكتَفينَ بما عندَكُمْ، لأنَّهُ قالَ: "لا أُهمِلُكَ ولا أتركُكَ" (عبرانيين ١٣: ٥).

عندما تقلق متسائلًا إن كان الله سيسدِّد احتياجك أم لا، اقرأ هذه الآية مرارًا وتكرارًا، وتشجع لأن الله يذكِّرنا فيها ألا نفكر في المال، متسائلين: "كيف سنسدد احتياجاتنا؟" فهو سيعتني بكل هذه نيابةً عنا. لقد وعد بألا يتركنا أو يهملنا.

قم بواجبك ولكن لا تحاول أن تقوم بدور الله؛ لأنك إن فعلت ذلك ستنكسر تحت هذا العبء الرهيب. لا تقلق بل **"اتَّكِلْ علَى الرَّبِّ وافعَلِ الخَيرَ. اسكُنِ الأرضَ وارعَ الأمانَةَ"** (مزمور ٣٧: ٣).

هذا هو وَعد الله لك.

١٣
ذهن ديان، ناقد، شكاك

"لا تدينوا لكَيْ لا تُدانوا" (متى ٧: ١).

يعاني كثيرون من مشاكل كثيرة بسبب إدانتهم ونقدهم للآخرين وشكهم فيهم، كما تتحطم الكثير من العلاقات بين البشر بسبب هذه الصفات. مرة أخرى أذكِّركم بأن العقل هو أرض المعركة.

إن الأفكار بما فيها عبارة "أعتقد أن..." قد تكون أداةً يستخدمها إبليس ليعزلك بها عن الآخرين؛ فالناس لا تريد أن تختلط بشخصٍ ينتقد كلَّ من هم حوله.

ولتوضيح الفكرة السابقة، دعوني أشارككم بقصة سيدة كانت متزوجة من رجل أعمال ثري وناجح، إلا أنه كان قليل الكلام. وكانت زوجته تحثه دائمًا أن يتحدث، خاصةً عندما يتعلق الأمر بموضوع يعرف الكثير عنه. وكثيرًا ما كانت تغضب منه وتثور عليه لأنه لم يشترك في الحديث مع مجموعة من الناس يناقشون موضوعًا هو أحد اهتماماته. لقد كان بإمكانه أن يخبرهم بكل ما يعرف، إلا أنه لم يكن يفعل ذلك.

وذات يوم، بعد عودتهم من حفل أقامه صديق لهما ألحت عليه بالسؤال التالي: "لماذا لم تتكلم وتخبر الناس بكل ما تعرفه عن هذا الموضوع؟ لماذا بقيت صامتًا وكأنك لا تعرف شيئًا عنه بالمرة؟" فأجابها: "ما أعرفه هو ما أعرفه، ولذلك أنصت لما يقوله الآخرون لأعرف ما يعرفونه".

من المؤكد أن هذا هو سبب نجاح هذا الشخص ماديًّا وعمليًّا. لقد كان حكيمًا أيضًا؛ فنادرًا ما تجد أشخاصًا ناجحين حكماء، ونادرًا ما تجد أصدقاء غير حكماء في علاقتهم بالآخرين. ومن الأشياء التي تهدم

العلاقات بين الناس الدينونة والنقد وتكوين رأي معين حول كل شيء. يريد إبليس أن يعزلنا عن الآخرين وأن يجعلنا مرفوضين غير مقبولين منهم، ولذلك يشن هجماته على أذهاننا. وفي هذا الفصل، سنتعرف سويًّا على طرق التفكير الخاطئة، وسنتعلم أيضًا كيف نتخلص من الشك في الآخرين.

تعريف الدينونة

يُعرِّف قاموس "فاين" لتفسير كلمات العهد القديم والجديد الكلمة اليونانية "دينونة" على أنها "قرار مبني على أخطاء الآخرين، وهو مرتبط بالحكم على الآخرين". وتعني أيضًا "تكوين رأي عن شخصٍ ما أو أمر ما يرتبط بإدانة الآخرين".

ولا أحد يملك الحق في إدانة البشر سوى الله؛ فعندما ندين الآخرين أو نحكم عليهم نكون قد وضعنا أنفسنا مكان الله في الحكم على غيرنا. لله وحدة الحق في أن يدين ويحكم؛ فعندما ندين الآخرين أو نصدر حكمًا عليهم نضع أنفسنا في منزلة معادلة لله.

ولا أدري ما مدى تأثير هذا الكلام على حياتك، ولكنه يضع في قلبي خوفًا مقدسًا من الله؛ فبالرغم من شجاعتي وإقدامي، إلا أني لا أتجرأ على أن أضع نفسي في منزلة معادلة لله. ولأني عانيت كثيرًا من هذا الأمر في حياتي، أستطيع أن أشارككم ببعض الدروس التي علَّمها لي الرب حتى تعينكم في مسيرتكم معه.

يُعتَبَر النقد والحكم على الآخرين والدينونة أمورًا تتعلق بعضها ببعض، لذلك نناقشها على أنها مشكلة واحدة.

كنت كثيرة الانتقاد لأني كنت أرى مساوئ الأمور بدلًا من محاسنها، ويظهر هذا العيب في بعض الشخصيات أكثر من غيرها؛ فهناك الشخصية المرحة التي ترى كل ما هو مفرح ومسر في الحياة ولا تهتم كثيرًا بما قد يفسد متعتها. أما الشخصية التعيسة أو المتسلطة فعادةً ترى مساوئ الأمور أولًا. مثل هذه النوعية من البشر لا تتباطأ في الإدلاء بآرائها السلبية.

ولابد أن ندرك أن لكل فرد طريقته في النظر للأمور، كما أننا جميعًا نحب المشاركة بآرائنا. ولكن مَا أراه أنا صحيحًا قد لا يناسب الآخرين، والعكس صحيح. ولا شك في أننا نعرف أن الكتاب المقدس يوصينا بألا

نسرق وهذا ينطبق على الجميع على حدٍّ سواء، وأنا لاأتحدث هنا عن هذه المسلمات، ولكني أتحدث عن آلاف الأشياء التي نقابلها في حياتنا اليومية دون أن تكون بالضرورة صوابًا أو خطأ، ولكنها ببساطة قرارت شخصية، يحق للناس اتخاذها دون الحاجة لتدخل خارجي.

أنا وزوجي نختلف تمامًا في نظرتنا للكثير من الأمور؛ فتزيين المنزل على سبيل المثال أحد الأمور التي نختلف حولها كثيرًا، لا لأني لا أحب الأشياء التي يختارها زوجي، ولا لأنه لا يحب الأشياء التي أختارها أنا؛ فعندما نذهب لشراء بعض مستلزمات البيت، يفضل زوجي بعض الأشياء بينما أفضل أنا أشياء أخرى. لماذا؟ لأننا ببساطة شخصان مختلفان. وقد تكون اختيارات كلٍّ منا صحيحةً، ولكنها فقط مختلفة. عشت بضع سنوات على هذا الحال قبل أن أدرك أن زوجي ليس مخطئًا لأنه لا يتفق معي في اختياراتي. ولكني كنت أخبره دائمًا بأني أعتقد أن هناك شيئًا ما خطأ به لأنه لا يشترك معي في الرأي. وكان هذا يسبب الكثير من الخلافات بيني وبينه.

الكبرياء مشكلة الأنا

"فإنِّي أقولُ بالنِّعمَة المُعطاة لي، لكُلِّ مَنْ هو بَينَكُمْ: أنْ لا يَرتَئِيَ فوقَ ما يَنبَغي أنْ يَرتَئِيَ، بل يَرتَئِيَ إلَى التَّعَقُّل، كما قَسَمَ الله لكُلِّ واحد مقدارًا منَ الإيمان" (رومية ١٢: ٣).

الدينونة وانتقاد الآخَرين ثمرتان لمشكلة أعمق هي الكبرياء؛ فعندما تكون الأنا بداخلنا أكبر من حجمها الطبيعي تؤدي إلى بعض المشاكل التي نناقشها. ولذلك يحذرنا الكتاب المقدس مرارًا وتكرارًا من التعالي والتكبر. عندما تبرع في أحد المجالات لا تنسَ أن الله هو صاحب الفضل في ذلك، لأنه أعطاك نعمة التفوق. وعندما نتعالى ونتكبر، ننظر للآخرين باحتقار ونفترض أنهم في مرتبة أدنى منا. وكم يكره الرب طريقة التفكير هذه، فهي تفتح الأبواب للعدو حتى يدخل حياتنا.

خوف مقدس

"أيُّها الإخوَةُ، إن انسَبَقَ إنسانٌ فأُخِذَ في زَلَّة ما، فأصلحوا أنتُمُ الرّوحانيِّينَ مِثلَ هذا بروحِ الوَداعَة، ناظِرًا إلَى نَفسِكَ

لئلا تُجَرَّبَ أنتَ أيضًا. احملوا بَعضُكُمْ أثقالَ بَعض، وهكذا تَمِّموا ناموسَ المَسيح. لأَنَّهُ إنْ ظَنَّ أحَدٌ أنَّهُ شَيءٌ وَهو ليس شَيئًا، فإنَّهُ يَغُشُّ نَفسَهُ" (غلاطية ٦: ١- ٣).

نتعلم من هذه الآيات الطريقة التي يجب أن نتعامل بها مع ضعفات الآخرين؛ لأنها تعرفنا بالاتجاه الذهني الذي يجب أن نتبناه تجاههم. يجب أن يكون هناك خوف مقدس في قلوبنا حتى لا نتكبر فندين الآخرين أو ننتقدهم.

من أنت حتى تصدر أحكامك على الآخرين؟

"مَنْ أنتَ الذي تدينُ عَبدَ غَيرِكَ؟ هو لِمَوْلاهُ يَثبُتُ أو يَسقُطُ. ولكنهُ سيُثَبَّتُ، لأنَّ الله قادرٌ أنْ يُثَبِّتَهُ" (رومية ١٤: ٤).

لنفترض أن أحد الجيران طرق بابك وبدأ يعطيك بعض التعليمات حول ما يجب أن يرتديه أولادك في المدرسة والمواد التي يجب أن يدرسوها. ماذا سيكون رد فعلك؟ أو افترض أنه عبَّر عن استيائه من طريقة تنظيف منزلك، رغم رضاك عنها. ماذا ستقول لهذا الجار؟

هذا هو ما يتحدث عنه هذا الجزء الكتابي: فإننا جميعًا ملكٌ للرب، وحتى إن كانت لنا أخطاء وضعفات فهو قادر أن يثبتنا ويبررنا. ولأننا نقدم حسابًا لله وليس لبعضنا البعض، فلا يجب أن نحكم أو ندين بعضنا بعضًا.

لا يتوقف إبليس عن إعطاء الأوامر لجنوده حتى يضعوا أفكارًا سلبية في عقول الناس وأحكامًا يدينون بها الآخرين. وأتذكر كم كان الأمر مسلِّيًا وأنا أجلس في الحدائق العامة أو المحال التجارية أراقب الناس وأكوِّن رأيًا عن كل منهم وعن الأزياء التي يرتدونها أو طريقة تصفيف شعرهم. وأنا أعلم أننا لا يمكن أن نمتنع عن تكوين بعض الآراء ولكننا غير مضطرين للتعبير عنها. وأعتقد أنه بمرور الوقت سنصبح قادرين على عدم تكوين الكثير من الآراء ذات الطبيعة السلبية الناقدة.

وكثيرًا ما أقول لنفسي "الأمر لا يعنيك كثيرًا". ويزيد حجم المشكلة عندما نفكر في الآراء التي كوَّناها حتى تصبح حكمًا ودينونة؛ فالمشكلة تزداد حجمًا كلما فكرت فيها وعبَّرت عنها لمن هم حولك، وعندئذٍ تتحول إلى قنبلةٍ موقوتةٍ يمكن أن تتسبَّب في كثير من الأذى على مستوى العلاقات

وأيضًا على المستوى الروحي ويمكنك تفادي الكثير من المشاكل في المستقبل عندما تتعلم أن تقول "الأمر لا يعنيني شيئًا".

كان النقد وإصدار الحكم على الآخرين أمرًا متوارثًا في عائلتي حيث نشأت. فإن كان هذا هو حالك، فالأمر يشبه لعب الكرة بقدم مكسورة. كنت أحاول أن أفعل كل ما يرضي الله وبطريقته وأن يكون لي فكره ولكني لم أستطع، فعشت سنوات طويلة قبل أن أعرف عن الحصون الموجودة في ذهني وأنه يجب التعامل معها قبل أن يتغير سلوكي. فلا تنسَ أن سلوكك لن يتغير حتى يتغير ذهنك.

يناقش المسيح في (متى ٧: ١- ٦) موضوع الحكم على الآخرين وإدانتهم، فارجع إلى هذا التعليم عندما تواجه مشكلة من هذا القبيل. اقرأ هذا الجزء ثم أعد قراءته مرة أخرى بصوت مسموع، واستخدمه كسلاح ضد إبليس الذي يحاول أن يبني حصونًا في ذهنك. وربما يعمل من خلال حُصون بناها في ذهنك منذ سنوات طويلة. فدعونا ندرس هذا الجزء الكتابي بالتفصيل.

زرع الدينونة وحصادها

"لا تدينوا لكَيْ لا تُدانوا، لأَنَّكُمْ بالدَّينونَة التي بها تدينونَ تُدانونَ، وبالكَيل الذي به تكيلونَ يُكالُ لكُمْ" (متى ٧: ١- ٢).

تقول هاتان الآيتان إننا سنَحصد ما زرعناه (غلاطية ٦: ٧) فالزرع والحصاد لا ينطبقان فقط على الزراعة أو الأمور المادية، بل على الأمور الذهنية أيضًا. من الممكن أن نزرع ونحصد فكرًا أو اتجاهًا ذهنيًّا معيَّنًا.

يقول أحد الرعاة الذين أعرفهم إنه يسأل نفسه دائمًا عندما يجد من يتحدث عنه بالسلب: "تُرى هل هم يزرعون دينونةً، أم أنا الذي أحصد ما زرعته؟" ففي كثير من الأحيان نحصد في حياتنا ما زرعناه في حياة الآخرين.

أيها الطبيب، اشفِ نفسك

"ولماذا تنظُرُ القَذَى الذي في عَين أخيكَ، وأمّا الخَشَبَةُ التي في عَينكَ فلا تفطَنُ لها؟ أم كيفَ تقولُ لأخيكَ: دَعني أُخرِجِ القَذَى مِنْ عَينِكَ، وها الخَشَبَةُ في عَينِكَ؟ يامُرائي، أخرِجْ أوَّلاً

الخَشَبَةَ مِنْ عَينكَ، وحينَئذ تُبصرُ جَيِّدًا أنْ تُخرِجَ القَذَى مِنْ عَين أخيكَ!" (مَتى ٧: ٣- ٥).

يريد إبليس أن يشغلنا طوال الوقت بأخطاء الآخرين فندينهم، وبهذه الطريقة لا يتَّسع وقتنا لنتعامل مع أخطائنا الشخصية.

لا يستطيع أحد أن يغير الآخرين؛ فالله وحده قادر أن يفعل ذلك، كما أننا لا نستطيع تغيير أنفسنا. ولكن يمكننا التعاون مع الروح القدس حتى يعمل في حياتنا. ومن هنا كانت الخطوة الأولى للتحرر هي مواجهة الحق الذي يعلنه لنا الرب.

وعندما نركز على أخطاء الآخرين فنفكر فيها ونتحدث عنها، ننشغل عن أخطاء سلوكنا. ولهذا يحذرنا المسيح من الاهتمام بعيوب الآخرين بينما تمتلئ حياتنا بالعيوب. فقط اسمح للرب بأن يتعامل معك أولًا وعندئذ ستتعلم الطريقة الكتابية التي يمكن أن تستخدمها لمساعدة إخوتك حتىً ينموا في مسيرتهم مع الرب.

أحبوا بعضكم بعضًا

"لا تُعطوا القُدسَ للكلاب، ولا تطرَحوا دُرَرَكُمْ قُدّامَ الخَنازير، لئلا تدوسَها بأرجُلِها وتلتَفِتَ فتُمَزِّقَكُمْ" (متى ٧: ٦).

تتحدث هذه الآية عن القدرة التي يعطيها لنا الرب حتى نحب بعضنا بعضًا؛ فإن كان الله قد أعطانا القدرة على محبة الآخرين، وإن كان قد أوصانا بأن نحبهم، ولكننا بدلًا من أن نعمل بوصيته، انتقدناهم وأصدرنا عليهم أحكامنا، فإننا بذلك نطرح ما هو مقدس (المحبة) للكلاب والخنازير (للأرواح الشريرة) ونعطيهم الفرصة حتى يدوسوها ثم يلتفتوا ليهلكونا.

المحبة تحمينا من هجمات إبليس؛ فأنا شخصيًّا أؤمن أن إبليس لا يستطيع أن يؤذي أي إنسان يسلك بالمحبة.

عندما حبلت بطفلي الرابع كنت وقتها مُخلَّصةً ومُعمَّدةً بالروح القدس ومدعوةً للخدمة، وفي نفس الوقت كنت طالبة أدرس الكتاب المقدس. كنت أيضًا قد تعلمت عن الإيمان الذي يشفي، ولكني عانيت طوال الأشهر الثلاثة الأولى من متاعب كثيرة، وكنت أشعر طوال الوقت بالإعياء وفقدت كثيرًا

من وزني ومن طاقتي. وكنت أقضي معظم الوقت مستلقيةً على الأريكة غير قادرة على الحركة.

كان أمرًا محيرًا بالنسبة لي، خاصةً لأني لم أعان من أية متاعب خلال حملي سابقًا، مع أني وقتها لم أكن أعرف كلمة اللّه ولم أكن أحيا حياة الإيمان. فكيف إذًا وبعد أن صرت أكثر درايةً بمواعيد اللّه أن أظل مريضةً بالرغم من الصلوات الكثيرة التي رفعتها للرب، وبالرغم من انتهاري لإبليس؟ ولكن مشكلتي لم تجد حلًا!

وذات يوم، بينما كنت مستلقيةً في فراشي، سمعت زوجي يلعب مع الأطفال في الحديقة الخلفية للمنزل، فطلبت من الرب بكل عنف أن يجيب عن تساؤلاتي: "ماذا يحدث بحق السماء؟ لماذا أنا مريضة لهذا الحد؟ ولماذا لا تتحسن حالتي؟"

وشعرت بالروح القدس يقودني لقراءة ما جاء في (متى ٧). وسألت الرب عن علاقة هذا الجزء الكتابي بحالتي الصحية، فشعرت بالروح القدس يقودني لقراءته مرة أخرى. وفجأة ذكّرني الرب بحادثة حدثت منذ أكثر من عامين، كنت وقتها أعلّم وأقود مجموعةً لدراسة الكتاب المقدس، وكانت تواظب على حضورها سيدة شابة، سأطلق عليها اسم "ماري". واظبت ماري على حضور درس الكتاب بانتظام وبإخلاص إلى أن حبلت بطفلها الأول، فأصبح من الصعب عليها الالتزام بالحضور بصفةٍ منتظمةٍ لأنها لم تكن بحالة صحية تسمح لها.

وبينما كنت مستلقية في فراشي في هذا اليوم تذكرت ما قالته عنها سيدة أخرى تنتقدها قائلة: "يالها من كسولة! لماذا لا تتغلب على ظروفها وتواظب على حضور درس الكتاب؟!" وهكذا لم نقدم لها أي مساعدة، بل حكمنا عليها بأنها تتمارض وتتخذ من الحمل عذرًا حتى لا تحضر درس الكتاب.

ووجدت نفسي في نفس الموقف الذي كانت فيه ماري منذ أكثر من عامين. لقد أوضح لي الرب أني فتحت بابًا ليدخل منه إبليس عندما أدنت وحكمت على هذه السيدة، بالرغم من أني لم أشكّ مطلقًا من أي تعب أثناء مرات الحمل الثلاث السابقة. لقد أخذت الدُّرَر وكل ما هو مقدس (قدرتي على محبة ماري) وألقيتها أمام الكلاب، التي سرعان ما استدارت عليَّ ومزقتني إلى أجزاء صغيرة. وأود أن أخبركم بأن حالتي الصحية تحسنت بعدما

اعترفت بخطيتي أمام الرب، وقضيت أيام الحمل الباقية في صحة جيدة.

ومن خلال هذا الدرس، أدركت مدى خطورة إدانتنا وانتقادنا للآخرين. وكم كنت أود أن أقول إني منذ ذلك الحين لم أقع في نفس الخطأ! ولكن مع الأسف، فقد وقعت مرارًا. ولكن في كل مرة كنت أقع في نفس الخطية، كان الرب يتعامل معي بطرق مختلفة. وكم أشكره على عمله هذا!

فمن منا لا يخطئ؟ ومن منّا ليس له ضعفاته؟ ولكن الكتاب المقدس يوصينا ألا نقسّي قلوبنا تجاه بعضنا البعض، وألا ننتقد بعضنا البعض، بل يجب أن نغفر ونظهر الرحمة كما فعل المسيح معنا (أفسس ٤: ٣٢).

من يدين الآخرين يستوجب الحكم

"لذلكَ أنتَ بلا عُذرٍ أيُّها الإنسانُ، كُلُّ مَنْ يَدينُ. لأنَّكَ في ما تدينُ غَيرَكَ تحكُمُ على نَفسكَ. لأنَّكَ أنتَ الذي تدينُ تفعَلُ تلكَ الأمورَ بعَينها!" (رومية ٢: ١).

في كثير من الأحيان، نفعل نفس الأشياء التي ندين الآخرين لأجلها. وكثيرًا ما تساءلت: "لماذا نفعل نحن أشياء نعتقد أنها رائعة بينما ندين الآخرين عندما يفعلونها؟" وعندئذ أعلن لي الرب مثالاً رائعًا يوضح إجابة هذا السؤال. قال لي: "إنك تنظرين إلى نفسك من خلال نافذة وردية اللون، ولكنك تنظرين إلى الآخرين من خلال نظارة معظَّمة".

فكثيرًا ما نجد المبررات لأخطائنا، ولكننا لا نرحم الآخرين عندما يقعون في نفس الخطأ. فإن أردت أن تعاملهم بالطريقة التي تحب أن يعاملوك بها، طبِّق المبدأ الكتابي الموجود في (متى ٧: ١٢). فالذهن الذي يدين الآخرين هو ذهن سلبي يبحث عن الأخطاء بدلاً من المميزات، لذلك كن إيجابيًّا لا سلبيًّا؛ لأنك عندما تكون إيجابيًّا ستنفع نفسك قبل أن تنفع الآخرين.

احفظ قلبك

"فوقَ كُلِّ تحَفُّظٍ احفَظْ قَلبَكَ، لأنَّ مِنهُ مَخارِجَ الحياةِ" (أمثال ٤: ٢٣).

إن أردت أن تكون لك حياة وأن تفيض منك الحياة، فاحفظ قلبك من إدانة وانتقاد الآخرين. وتذكَّر أن كل ما يعلمنا الله إياه هو لصالحنا

ولخيرنا. فإن سلكنا بحسب وصاياه، كانت حياتنا مثمرةً. ولكن إن سلكنا بحسب قوانين وطرق إبليس كانت حياتنا فاسدةً.

تشكَّك في الشكَّاك!

"(المحبة) تَحتَمِلُ كُلَّ شَيء، وتُصَدِّقُ كُلَّ شَيء، وترجو كُلَّ شَيء، وتصبرُ علَى كُلِّ شَيء" (١ كورنثوس ١٣: ٧).

عندما أقول إنَ طاعة كلمة اللّه كانت بمثابة تحدٍّ بالنسبة لي؛ لأني نشأت في بيئة تشك في كل شيء، بل وتعلمت ألا أثق في أي إنسان وخاصة الودودين منهم، لأنه من المؤكد أنهم سيطلبون شيئًا في المقابل.

وبالإضافة إلى أني نشأت في أسرة علَّمتني أن أشك في كل الناس؛ فقد تعرضت لمواقف مخيِّبة للآمال، ليسَ فقط قبل أن أقبل المسيح مخلصًا لحياتي، ولكن بعد أن نلت اختبار الخلاص أيضًا. إلا أن دراستي لكلمة اللّه وبالأخص هذا الجزء جعلتني أدرك أن المحبة تصدق أفضل ما في الناس. وقد أحدث هذا فارقًا واضحًا في طريقة تفكيري.

عندما ينجح إبليس في تسميم أفكارك أو في بناء حصون في ذهنك، فلا بد من تجديد هذا الذهن بحسب كلمة اللّه، وهذا يحدث بدراسة الكلمة والتأمل فيها وإعلانها على حياتك، والتفكير المستمر بها.

وتذكر أن روح اللّه يسكن بداخلك، وأنه سيحذرك عندما يجدك تفكر بطريقة خاطئة. وهذا ما يفعله اللّه معي عندما أظن السوء في من حولي بدلًا من أن أحبهم وأقبلهم. يعتقد الإنسان الطبيعي أن الآخرين سيستغلونه إن هو وثق فيهم. وربما يكون هذا صحيحًا. ولكن الفائدة التي ستجنيها إن فعلت ذلك أعظم بكثير من الخسائر التي ستلحق بك.

تجلب الثقة والإيمان بالآخرين الفرح للقلب، وتنمي العلاقات حتى تصل لأروع ما يمكن أن تصل إليه. أما الشك فيشل العلاقات، وفي معظم الأحيان يهدمها.

وخلاصة القول هي أن طرق اللّه تنجح دائمًا، أما طرق الإنسان فتفشل. وبما أن اللّه يرفض الديمومة والنقد وسوء الظن، فلا بد أن يكون هذا هو اتجاه حياتنا أيضًا. علينا أن نتعلم أن نحب ما يحبه اللّه، وأن نكره ما يكرهه، وأن نسمح بما يسمح به، ونرفض ما يرفضه.

وبعتبر التفكير المعتدل من أفضل السياسات المُتَّبعة، وهذا لا يعني أن نتجاهل أهمية الحكمة وروح التمييز في التعامل مع الظروف والمواقف المختلفة. ولا يجب أن نفتح الباب على مصراعيه لكل من نقابله في الحياة معطين إياه الفرصة ليهزم حياتنا. ولكن من الناحية الأخرى، لا يجب أن ننظر لكل إنسانٍ نظرة شك متوقعين أن يستغلنا أسوأ استغلال.

ثق في الله بكل قلبك

"ولمّا كانَ (المسيح) في أورُشَليمَ في عيد الفصح، آمَنَ كثيرونَ باسمه، إذ رأوْا الآيات (المعجزات) التي صَنَعَ. لكن يَسوعَ لم يأتمنَهُمْ على نَفسه، لأنَّهُ كانَ يَعرفُ الجميعَ. ولأنَّهُ لم يَكُنْ مُحتَاجًا أنْ يَشهَدَ أحَدٌ عن الإنسان، لأنَّهُ عَلِمَ ما كانَ في الإنسان" (يوحنا ٢: ٢٣- ٢٥).

ذات يومٍ، قادني الروح القدس بعد أن اجتزت في تجربة مريرة نتيجة ثقتي في أحد أفراد الكنيسة لقراءة ما جاء في (يوحنا ٢: ٢٣- ٢٥). يتحدث هذا الجزء الكتابي عن علاقة المسيح ببعض من آمنوا به. وينص صراحةً على أنه لم يأتمنهم على نفسه. ولم يذكر الكتاب المقدس أنه كان يشك فيهم، أو أنه لم يثق فيهم. ولكنه يوضح أنه لم يأتمنهم على نفسه، ولكن بطريقة معتدلة؛ لأنه كان يعرف طبيعتهم البشرية، وتعلمت الدرس من هذا الجزء. لقد أدركت أنه بسبب علاقاتي غير المتزنة مع مجموعة من السيدات في الكنيسة وتورطي الزائد معهم، جُرِحت مشاعري؛ فإننا نفتح الباب لإبليس في كل مرةٍ نفقد فيها الاتزان والاعتدال في العلاقات وفي كل شيء.

يقول الرسول بطرس: "اُصحوا (كونوا معتدلين) واسهَروا (احذروا) لأنَّ إبليسَ خَصمَكُمْ كأسَدٍ زائرٍ، يَجولُ مُلتَمِسًا مَنْ يَبتَلِعُهُ هو" (١ بطرس ٥: ٨).

وقد أدركت أني وثقت في هذه المجموعة من السيدات أكثر من اللازم؛ تلك الثقة التي لم يكن أهلًا لها شخص سوى الرب نفسه؛ فهناك دائمًا حدود للعلاقات بين البشر. فإن تعدينا حدود الحكمة حدثت المشاكل وجُرِحت المشاعر.

ضع ثقتك الكاملة في الله وحده؛ لأنك إن فعلت سمحت للروح القدس أن يحذرك في كل مرة تتعدى فيها حدود الاتزان والاعتدال. ويعتقد بعض الناس أنهم يتمتعون بموهبة تمييز الأرواح، وهم في الواقع يمتلئون بالظنون. إن روح التمييز هي عطية من عطايا الروح القدس (١ كورنثوس ١٢: ١٠) وهو روح تمييز الخير والشر وليس الشر فقط. أما سوء الظن فهو أمر يحدث مع الذهن غير المتجدد، ولكن التمييز نتيجة للروح التي نالت التجديد.

اطلب من الرب أن يعطيك عطايا حقيقية، ولا تخدع نفسك بمواهب الجسد مدَّعيًا أنها مواهب الروح؛ فروح التمييز تشجع على الصلاة وليس على النميمة. عندما تطرأ مشكلة حقيقية وتميزها بروح التمييز، فمن المؤكد أنك ستتعامل معها بطريقةٍ كتابيةٍ غير جسدية ودون أن تنتشر المشكلة وتعقِّدها.

الكلمة الطيبة تُفرح وتُبرئ

"قَلبُ الحَكيم يُرشدُ فمَهُ ويَزيدُ شَفَتَيه علمًا. الكلامُ الحَسَنُ شَهدُ عَسَلٍ، حُلوٌ للنَّفسِ وشِفاءٌ للعِظَامِ" (أمثال ١٦: ٢٣- ٢٤).

ترتبط الكلمات بالأفكار ارتباط المفاصل بالمخاخ حتى أن أحدًا لا يستطيع الفصل بينهما. (عبرانيين ٤: ١٢). فأفكارنا هي كلمات غير منطوقة لا يسمعها سوى الله ونحن. وتؤثر هذه الكلمات على الإنسان الباطن وعلى الصحة العامة وعلى فرحنا واتجاه قلوبنا؛ فما يخرج من أفواهنا يجعلنا نبدو كالحمقى في بعض الأحيان. وتذكر أن الدينونة والنقد والشك يسلبون منا فرحنا.

قال المسيح إنه جاء لتكون لنا أفضل حياة ممكنة للإنسان أن يتمتع بها (يوحنا ١٠: ١٠) تعلم أن يكون لك فكر المسيح، عندئذٍ ستعيش حياةً مختلفة.

١٤
ذهن خامل

"**قد هَلكَ شَعبي منْ عَدَم المَعرفَة**" (هوشع ٤: ٦).

تنطبق هذه الآية على كل ما هو سلبيَ وخامل. ومع الأسف، فإن كثيرين من المؤمنين اليوم غير واعين لهذه المشكلة ولا لظواهرها.

الخمول عكس النشاط. ويالها من مشكلة خطيرة! لأن كلمة الله تعلمنا أن نصحو ونسهر ونتيقظ (١ بطرس ٥: ٨) وأن نضرم الموهبة التي أعطاها لنا الرب (٢ تيموثاوس ١: ٦).

ويمكنني أن أصف الخمول بأنه حالة تبلُّد المشاعر وعدم الاهتمام واليأس والفتور والكسل. والأرواح الشريرة وراء كل هذه الصفات؛ لأن إبليس يعلم أن الخمول والسلبية وعدم وجود إرادة قوية يؤدي إلى هزيمة المؤمن هزيمة نكراء؛ فعندما يتحرك المؤمن، سيقع في مشاكل لا حصر لها.

يتحرك بعض المؤمنين بمشاعرهم لدرجة أنهم في غياب هذه المشاعر لن يفعلوا شيئًا مما أمرهم الرب بأن يفعلوه. فهم يسبحون الرب إن شعروا برغبة في ذلك، ويقدمون تقدماتهم إن شعروا برغبة في ذلك، ويوفون بوعودهم إن شعروا برغبةٍ في ذلك. وإن لم يشعروا برغبةٍ فلن يفعلوا شيئًا!

عقل الكسلان معمل للشيطان

"**ولا تُعطوا إبليسَ مَكانًا**" (أفسس ٤: ٢٧).

عادةً يكون المكان الذي نعطيه لإبليس فراغًا شاغرًا؛ فالعقل الشاغر الخامل فريسة سهلة يملأها إبليس بكل فكرٍ خاطئ.

والمؤمن صاحب العقل النشيط، الذي لا يقاوم الأفكار الخاطئة، يظن أن هذه الأفكار نابعة من داخله، ولا يعلم أن الأرواح الشريرة تدسها في عقله. لذلك يجب ملء الأماكن الشاغرة. ولكي تحافظ على ذهنك خاليًا من الأفكار الخاطئة، يجب أن تتأكد أنه يمتلئ بالأفكار الصحيحة. فعندما تنتهر إبليس وتطرده خارج حياتك، يتجول لفترة بعيدًا عنك، ولكنه سرعان ما يعود لمكانه القديم عندما يجده شاغرًا. يقول المسيح في (لوقا ١١: ٢٤-٢٦) إنه يرجع ومعه شياطين أخرى فتكون حال الإنسان أسوأ مما كان عليه في بداية الأمر، ولذلك لا يجرؤ أي منا على إخراج الأرواح الشريرة قبل أن نعلِّم الشخص كيف يملأ الفراغ الذي يشغله هذا الروح.

وأنا أقول إن كل من يفكر أفكارًا خاطئة يسكنه روح شرير، ولكن الروح الشرير عادةً يكون السبب في الأفكار الشريرة. ففي معظم الأحيان يحاول الإنسان طرد الأفكار الشريرة من ذهنه، إلا أنها تعاوده مرةً أخرى. إلى أن يتعلم كيف يملأ الفراغ الوجود في ذهنه بالأفكار الصحيحة، حتى لا يجد إبليس مكانًا فارغًا عندما يعود مرة أخرى.

هناك خطايا بغيضة نتيجة لأشياء نرتكبها، وهناك خطايا خاملة نتيجة لأشياء لا نفعلها. ونحن أحيانًا نخطئ عندما نفعل الخطية، وأحيانًا أخرى نخطئ عندما لا نفعل أشياء يجب أن نفعلها؛ فمثلًا، تنهار العلاقات بين الناس بسبب الكلمات السلبية التي تخرج من أفواهنا. وفي أحيانٍ أخرى تنهار بسبب كلمة التقدير والامتنان التي نختار ألا نقولها!

ويعتقد الإنسان السلبي أنه لا يرتكب خطأً؛ لأنه لا يفعل شيئًا على الإطلاق. وعندما يواجهه أحد بخطئه نجده يقول على الفور: "أنا لم أفعل شيئًا!" وبالرغم من صحة ما يقول فإن سلوكه لم يكن صحيحًا؛ لأن المشكلة حدثت بسبب عدم قيامه بالدور الذي كان يجب أن يقوم به.

التغلب على السلبية والخمول

منذ عدة سنوات، عانى زوجي من بعض مشاكل السلبية والخمول، وبالرغم من أنه كان نشيطًا جدًّا في أمور معينة، مثل الذهاب إلى عمله كل يوم، ولعب الجولف كل يوم سبت، ومشاهدة كرة القدم كل يوم أحد، إلا أنه لم يكن من السهل عليه أن يفعل شيئًا آخر. فإن طلبت منه أن يقوم بتعليق

صورة على الحائط يستغرق تنفيذ هذا ثلاثة أو أربعة أسابيع. وكثيرًا ما سبَّب ذلك مشاكل بيننا. وبدا الأمر بالنسبة لي وكأنه يفعل كل ما يحب، وبخلاف ذلك لم يكن يفعل شيئًا.

طلب زوجي من الرب أن يعلن له عن أصل المشكلة. وبالفعل أظهر له الله بعض المعلومات عن الخمول والسلبية ومدى خطورتها على حياه المؤمن. واكتشف أن الارواح الشريرة كانت وراء عدم قيامه بالمهام المطلوبة منه، ولو أنه لم يكن يجد صعوبةً في القيام بما كان يحبه! أما الأوامر الأخرى فقد سلَّم إرادة القيام بها للعدو. وهكذا كان يشعر بكآبة قلب تجاهها، ولم يعد يشعر بالرغبة في القيام بها، ولم يجد الدافع الذي يدفعه لتأدية بعض المهام.

كان خاملًا أيضًا فيما يتعلق بالصلاة ودراسة الكلمة المقدسة. ولأني كنت أعلم أنه لا يسعى لطلب مشورة الرب ورأيه، فقد كان من الصعب عليَّ أن أستمع له وأنفذ ما يقوله. على كل حال، فقد كنت شخصيةً متمردةً غير خاضعة، ولكن إبليس نجح في استخدام ضعفاتنا لتدمير العلاقة بيننا. ومع الأسف يحدث الطلاق بين الكثيرين من الأزواج بسبب مثل هذه النوعية من المشاكل، دون أن يكونوا مدركين للأسباب. لقد كنت عنيفةً جدًّا في تصرفاتي. وكثيرًا ما كنت أسبق الرب بخطوات وأفعل ما أريد، منتظرةً أن يبارك الرب ما أفعله. أما زوجي فلم يفعل الكثير سوى انتظار الرب، مما كان يزعجني جدًّا. وكثيرًا ما نضحك عندما نتذكر تلك الأوقات، إلا أنها لم تكن وقتها مفرحةً! ولولا تدخل الرب في حياتنا لكنت من ضمن المؤمنين الذين ارتكبوا جريمة الطلاق!

كان زوجي يخبرني أني أسبق خطوات الرب، فكنت أجيبه بأنه يسير خلف الرب بعشرة أميال! لقد كنت عنيفة جدًّا، بينما كان زوجي سلبيًّا وخاملًا.

عندما يكون المؤمن خاملًا في مجال معيَّن بالرغم من المواهب التي أعطاها له الرب، يصيب الشلل هذا الجزء من حياته، ويصبح غير عامل. وكلما طالت فترة خموله وكسله، فقد رغبته في عمل أي شيء وتعتبر ممارسة الرياضة من الأمثلة التي تبرهن صحة هذه العبارة.

التحقت مؤخرًا ببرنامج جيد لممارسة الرياضة البدنية، وكلما تدربت ازداد الأمر سهولة ويسرًا، ولكنه لم يكن هكذا عندما بدأت؛ ففي بداية التدريب كنت أشعر بألم في كل مكان بجسدي، لأن عضلات جسمي كانت في حاله خمول وكسل لفترة طويلة. وكلما طال وقت إهمال التدريب زاد الأمر صعوبةً وشعرت بالضعف بسبب طول الفترة التي لم أمارس فيها الرياضة. بدأ زوجي يتعرف على أصل مشكلته، وبدأ يتعامل مع الأرواح الشريرة التي كانت تصيبه بكآبة القلب بسبب عدم نشاطة لفترة طويلة من الزمن. وعندما أعلن له الروح القدس هذا الحق، عزم على أن ينشط مرةً أخرى ويترك الكسل والخمول.

كان صنع القرار أمرًا سهلًا، ولكن تنفيذه كان صعبًا إلى أقصى حد؛ لأنه كان يجب أن يعيد النشاط للمجالات التي كان كسولًا فيها. وبالفعل عزم على أن يستيقظ في الخامسة من صباح كل يوم لقراءة كلمة الله والصلاة قبل أن يذهب إلى عمله. وهكذا بدأت الحرب، فلم يكن من السهل على إبليس أن يتخلى عن أرض سبق له امتلاكها بدون حرب. فكان زوجي يستيقظ مبكرًا كل يوم لقضاء بعض الوقت مع الرب في خلوة شخصية معه، ولكن في بعض الأحيان كان يغلبه النوم. وبالرغم من ذلك لم يستسلم ولم يتوقف عن الاستيقاظ مبكرًا حتى تكون له حياة صلاة مؤثرة. وفي بعض الأوقات كان يشعر بالملل، وفي أوقات أخرى كان يشعر وكأنه لا يحرز تقدمًا على الإطلاق وأن صلاته بغير استجابة، ولكنه قاوم كل هذا مذكرًا نفسه دائمًا بما أعلنه الروح القدس له عن حالة الخمول التي كان يعيش فيها.

وبدأت ألاحظ سرعة رد فعل زوجي عندما أطلب منه أن يعلق صورةً على الحائط أو أن يقوم بإصلاح شيء في المنزل. وبدأ يفكر من جديد ويتخذ قراراته الشخصية. لقد استطاع أن يتغلب على مشاعر الجسد وعدم رغبته في القيام ببعض المهام المطلوبة منه. وكانت النتيجة أنه تمتع بحريةٍ لا مثيل لها عندما فعل ذلك.

ولكن يجب أن أكون أمينةً معكم وأخبركم بأن الأمر لم يكن سهلًا وأنه لم يَنَل الحرية في غضون أيام أو أسابيع؛ فالخمول والسلبية من أكثر الحالات صعوبةً في التغلب عليهما، وذلك لفتور المشاعر، وبالتالي عدم وجود الدافع كما سبق وذكرت.

لقد واصل زوجي المسيرة متكلًا على معونة الرب له حتى تغلب على الخمول بالكامل، وهو الآن المسؤول عن الأمور الإدارية في خدمة برنامج "حياة في كلمة الله" وخدمة الإذاعة والتليفزيون، كما أنه من ضمن المسؤولين عن النواحي المادية للخدمة، كما أنه يسافر كل الوقت معي، ويقوم بكل ترتيبات الرحلة وحجز تذاكر الطيران. وهو رب أسرة رائع ورجل صلاة يواظب على دراسة الكلمة. باختصار أقول إنه رجل جدير بالاحترام والإعجاب.

وبجانب مواظبته على لعب الجولف ومشاهدة مباريات كرة القدم فهو يقوم بعمل أشياء أخرى أيضًا. فإن تعرفت عليه الآن ورأيت كمَّ الإنجازات التي يفعلها، يستحيل عليك أن تصدق أنه كان كسولاً سلبيًّا في يوم من الأيام.

يمكن التغلب على الخمول والكسل، وأول خطوة للتغلب هي أن تتغلب على خمول الذهن أولاً؛ فزوجي لم يستطع أن يحرز أي تقدم إلا بعد أن غيَّر طريقة تفكيره.

التصرف السليم يتبع التفكير السليم

"لا تُشاكلوا هذا الدَّهرَ (هذا الجيل) **بل تغَيَّروا عن شَكلِكُمْ بتجديدِ أذهانكُمْ"** (رو ١٢: ٢).

لا يستطيعَ إنسانَ أن يعيش حياةً منتصرةً دون أن يفهم ويطبق هذا المبدأ الكتابي الذي تحتوي عليه كلمة الله: السلوك السليم نتاج تفكير سليم، ولن تستطيع أن تغير سلوكك حتى تغير أفكارك؛ ففي ترتيب الله لأمور الحياة، يأتي التفكير السليم أولاً ثم السلوك السليم. فأنا أؤمن أن السلوك السليم أو التصرفات الصحيحة هي ثمار للتفكير السليم. ولذلك يصارع بعض المؤمنين حتى يفعلوا الصواب ولكن دون جدوى. يأتي الثمر نتيجةً للثبات في الكرمة (يوحنا ١٥: ٤) والثبات في الكرمة يعني الطاعة (يوحنا ١٥: ١٠).

وكثيرًا ما أشير إلى (أفسس ٤: ٢٢–٢٤) عندما أُعلِّم عن هذا المبدأ الكتابي، ويقول (ع٢٢) من هذا الجزء: **"أنْ تخلَعوا منْ جِهَةِ التَّصَرُّفِ السّابِقِ الإنسانَ العتيقَ الفاسدَ بحَسَبِ شَهَواتِ الغُرورِ"**. ثم يقول في (ع ٢٤): **"وتلبَسوا الإنسانَ الجَديدَ المَخلوقَ بحَسَبِ اللهِ في البِرِّ وقَداسَةِ الحَقِّ"**. توصينا كلمة الله أن نتوقف عن التفكير غير السَليم لنبدأ التفكير بطريقةٍ صحيحةٍ.

ويُعتَبَر (ع ٢٣) حلقة الوصل بين الآيتين، فيخبرنا كيف ننتقل من التصرف بطريقة غير سليمة (ع ٢٢) لنصل إلى التصرف بطريقة سليمة (ع ٢٤) "**تتجددوا بروح ذهنكم**". فمن المحال أن يتغير سلوك المرء ليصبح سليمًا بعد أن كان معتلًا دون أن يتغير فكره أولًا. وقد يريد الشخص الخامل أن يسلك بطريقة سليمة، إلا أنه لن يفعل قبل أن ينشط ذهنه أولًا ليتفق مع كلمة الله ومشيئته.

ويحضرني مثال لرجل تقدم إليَّ بعد إحدى عظاتي وطلب مني أن أصلي لأجله حتى يتخلص من خطية الشهوة، فقال إنه يحب زوجته وأنه يريد لزواجهما أن يستمر، ولكن إن لم يتحرر من هذه الخطية، فمن المؤكد أن زواجه لن يستمر طويلًا. وقال لي: "أريد أن أتحرر من خطية الشهوة، ولكني لا أستطيع الابتعاد عن الجنس اللطيف. فهل تصلين لأجلي لأنال الحرية؟ لقد طلبت من آخرين أن يصلوا لأجلي ولكن لم أتغير".

وشعرت بالروح القدس يقودني أن أقول له: "نعم سأصلي لأجلك، ولكن يجب أن تقدم حسابًا عن كل ما يدور في ذهنك. فإن أردت أن تنال الحرية وتتمتع بها، عليك أن تمتنع عن تخيل مناظر الإغراء في ذهنك وعن تخيل وجودك مع سيدات أخريات".

ويوجد عدد كبير من نفس نوعية هذا الرجل؛ فبالرغم من اشتياقهم لنوال الحرية، فإنهم لا يختبرون عمل الرب في حياتهم لأنهم يريدون أن يغيروا من سلوكهم دون أفكارهم. يقع مؤمنون كثيرون في خطايا داخل أذهانهم. قال المسيح في (متى ٥: ٢٧- ٢٨): "**قد سمعتُمْ أنَّهُ قيلَ للقُدَماء: لا تزنِ. وأمّا أنا فأقولُ لكُمْ: إنَّ كُلَّ مَنْ يَنظُرُ إلَى امرأة ليَشتَهيَها، فقَد زَنَى بهَا في قَلبه**". لقد مهد التفكير الخاطئ الطريق أمامَ الفعل الخاطئ.

سلَّمت إحدَى السيدات حياتها للمسيح أثناء مجموعة درس الكتاب التي كنت أقودها وكانت تريد بكل قلبها أن يستقيم زواجها بالرغم من أن حياتها كلها كانت عبارة عن فوضى، بما في ذلك علاقتها بأولادها وزوجها، بالإضافة إلى سوء أحوالها المادية والصحية. وأثناء إحدى المجموعات، أعلنت صراحة أمام الجميع أنها لا تحب زوجها، والحقيقة أنها كانت تحتقره في قلبها. وعندما أدركت أن ما تشعر به لا يرضي الله، كانت مستعدةً أن تحبه، ولكنها لا تحتمل التواجد معه في مكان واحد. فطلبنا

الرب من أجلها، وصلت هي لأجل حالها وشاركناها بآيات من الكتاب المقدس تمس احتياجاتها، وأعطيناها شرائط كاسيت لتستمع إليها. فعلنا كل ما بوسعنا أن نفعله، ولكن لم تتغير الأمور بالرغم من استعداد هذه السيدة لاتباع النصائح التي كنا نعطيها لها. وتساءلنا عن السبب. وفي إحدى جلسات المشورة اعترفت بأنها شخصية حالمة، وكانت تنتظر طوال حياتها فتى أحلامها يعود من العمل بورود لزوجته ويأخذها بين ذراعيه رافعًا إياها لعنان السماء بكلماته الساحرة العذبة، وكانت تقضي أيامها تفكر بهذه الطريقة، ولذلك كانت تحتقر زوجها عندما يعود من العمل بملابسه المتسخة تفوح منه رائحة العرق، قد كُسرت إحدى أسنانه الأمامية.

فكر في هذه القصة للحظات؛ كانت حياة هذه السيدة فوضى عارمة، بالرغم من معرفتها الشخصية بالمسيح. أرادت أن تطيع الله وتعيش معه، وكانت تريد أن تحب زوجها لأنها كانت تعرف أن تلك هي مشيئة الله، وكانت تشتاق أن ترى الغلبة والنصرة في علاقتها بزوجها وفي حياتها بوجه عام، ولكن ذهنها كان سبب هزيمتها. لم يكن من الممكن أن تتغلب على احتقارها لزوجها دون أن تغير من طريقة تفكيرها تجاهه.

كانت تعيش بذهنها في عالم لا وجود له، فلم تكن مستعدةً للتعامل مع واقع الحياة. كان ذهنها خاملاً، ولأنها لم تَختَر طريقة التفكير السليمة التي تتفق مع كلمة الله، نجح إبليس في تسميم ذهنها بأفكاره غير الواقعية. ولكن عندما غيَّرت طريقة تفكيرها، تغيرت حياتها وتغيرت مشاعرها تجاه زوجها، وبدأت تغير من مظهره ومشاعره تجاهها.

افتكروا فيما هو فوق

"فإنْ كنتُم قد قُمتُمْ مع المَسيح (لحياة جديدة) **فاطلُبوا ما فوقُ، حَيثُ المَسيحُ جالسٌ عن يَمَين الله. اهتَمّوا بما فوقُ لا بما على الأرض"** (كولوسي ٣: ١- ٢).

مرة أخرى يتكرر نفس المبدأ الكتابي: إن أردت أن تعيش قيامه المسيح من الأموات، عليك أن تطلب تلك الحياة الجديدة الممتلئة بالقوة، وذلك عن طريق التفكير في ما هو فوق لا في ما هو على الأرض. يجب أن نركز أفكارنا على كل ما هو حسن إن أردنا أن تكون لنا حياة أفضل. يسعى مؤمنون كثيرون

لينالوا حياةً رائعةً، ولكنهم يجلسون في أماكنهم خاملين آملين أن يحدث كل ما هو رائع في حياتهم، وبهذا يقضون حياتهم يغيرون من الآخرين الذين يعيشون حياةً منتصرةً بينما تمتلئ حياتهم بالمصاعب. فإن أردت أن تكون لك النصرة على المشاكل التي تواجهك، وإن أردت أن تعيش قيامة المسيح، فلا بد أن تكون لك الإرادة القوية ولا تكتفي بالتمني. لا بد أن يكون لك دور إيجابي فعَّال. والسلوك السليم يبدأ بالتفكير السليم، فلا تكن خاملًا في تفكيرك وابدأ اليوم باختيار الأفكار السليمة.

١٥
فكر المسيح

"لأَنَّهُ مَنْ عَرَفَ فكرَ الرَّبِّ فيُعَلِّمَهُ (فيقدم له الإرشاد)؟ **وأمّا نَحنُ فلَنا فكرُ المَسيح"** (١ كورنثوس ٢: ١٦).

لابد أنك عزمت أن تختار الأفكار السليمة، لذلك دعونا نتأمل في الأفكار الصحيحة من وجهة نظر الله. ومن المؤكد أن هناك نوعيةً من الأفكار لم تخطر على بال المسيح أثناء حياته على الأرض. فإن أردنا أن نتبع خطاه، علينا أن نبدأ بالتفكير كما كان يفكر هو.

وربما تعتقد أنه أمر مستحيل قائلًا: "كان المسيح كاملًا في كل شيء. وربما تقصدين أن أطور طريقة تفكيري. فمن المستحيل أن أفكر مثلما فكر المسيح".

> **تقول كلمة الله إن لنا فكر المسيح، وإنه أعطانا قلبًا جديدًا وروحًا جديدة. "وأُعطيكُمْ قَلبًا جديدًا، وأجعَلُ روحًا جديدَةً في داخلكُمْ، وأنزعُ قَلبَ الحَجَر منْ لَحمكُمْ وأعطيكُمْ قَلبَ لَحم. وَأَجعَلُ روحي في داخلكُمْ، وَأَجعَلُكُمْ تَسلُكونَ في فرائضي، وتحفَظونَ أحكامي وتعمَلونَ بها"** (حزقيال ٣٦:٢٦، ٢٧).

يتمتع كل مؤمن بطبيعة جديدة، التي هي طبيعة الله التي نلناها بالولادة الجديدة. ويعلم الله أننا سنحتاج إلى قلب (ذهن) جديد وروح جديدة حتى نسلك بحسب وصاياه وفرائضه. كما يتحدث الكتاب في (رومية ٨: ٦) عن اهتمامات الجسد (فكر الجسد) واهتمامات الروح (فكر الروح)، ويقول إن اهتمام الجسد هو موت واهتمام الروح هو حياة. فإن استطعنا التمييز بين الموت والحياة فسننجح في إحراز تقدم في علاقتنا مع المسيح.

فإن كنت تفعل أشياء تؤدي إلى الموت، فتوقف عن فعلها على الفور. وعندما تراود ذهنك أفكار تؤدي إلى الموت، اعلم أنها ليست بحسب اهتمامات الروح.

ولشرح الفكرة السابقة دعونا نفترض أني أفكر في الظلم الواقع عليَّ من شخص آخر. وكلما فكرت في هذا الموضوع، شعرت بالغضب وشدة كراهيتي لهذا الشخص. فإن كنت قادرةً على التمييز، أدركت فورًا أن ذهني قد امتلأ بأمور تؤدي إلى الموت، وأن مشاعر الحزن والضيق والغضب التي تتملكني حتى أن جسدي أيضًا يشعر بالإعياء. فآلام الرأس والمعدة والإرهاق الشديد دون سببٍ واضح كلها ثمار التفكير الخاطئ. ولكن إن كنت أفكر في كمِّ البركات والإحسانات التي أنعم الله بها عليَّ، فسوف أدرك أن ذهني يمتلئ بأمور تؤدي إلى الحياة.

من المهم جدًّا لكل مؤمن أن يميز بين الموت والحياة، وقد قصد المسيح أن نمتلئ بالحياة عندما وضع في أذهاننا فكر المسيح. وهكذا يمكننا أن نفكر بنفس الطريقة التي كان المسيح يفكر بها أثناء حياته على الأرض.

وفي الصفحات التالية من هذا الفصل ستجد قائمةً بالأشياء التي يجب أن تعملها إن أردت أن يكون لك فكر المسيح:

١- لتكن أفكارك إيجابية

تساءل النبي عاموس "هل يَسيرُ اثنانِ معًا إنْ لم يتواعَدا؟" (عاموس ٣: ٣). فإن أراد الإنسان أن تكون أفكاره بحسب فكر المسيح، فمن المؤكد أن أفكاره ستكون إيجابيةً. وقد سبق وناقشنا في أحد الفصول السابقة أهمية وضرورة التفكير الإيجابي بالنسبة للمؤمن. ويمكنك الرجوع للفصل الخامس إن أردت ان تنعش ذاكرتك. وهذا ما فعلته أنا وقد باركني الرب من خلال ما كتبته.

ولا يمكن أن أقول ما يوفي الإيجابية حقها؛ فإن كنت تريد أن تكون إيجابيًّا مثل الله، فعليك أن تضبط نفسك على نفس الموجة معه وتفكر بطريقة إيجابية. عليك أن تكون شخصيةً إيجابيةً بوجه عام.

لتكن أفكارك ومشاعرك إيجابيةً ولتكن توقعاتك وانتظاراتك إيجابيةً أيضًا، واشترك في المحادثات الإيجابية فقط.

كان المسيح إيجابيًّا في مشاعره وأفكاره، فاحتمل كثيرًا من الصعاب والمشاكل الشخصية عندما كذب عليه الآخرون، وعندما تخلى عنه تلاميذه وهو محتاج إليهم، وعندما سخر منه الناس وأساءوا فهمه، وفي كثير من الأمور الأخرى غير المشجِّعة. ولكنه ظل إيجابيًّا طوال الوقت، وكانت كلماته مشجِّعةً، كما أنه كان يعطي الرجاء لكل من هم حوله.

إن فكر المسيح الموجود فينا هو الفكر الإيجابي؛ ففي كل مرة لا نسلك فيها بفكر المسيح نجد أنفسنا نفكر بطريقة سلبية. يعاني ملايين من البشر من الاكتئاب، وسبب ذلك هو السلبية التي يعيشون فيها، إلا إذا كان السبب طبيًّا. وحتى إن كان السبب طبيًّا فمن المؤكد أن السلبية تزيد الحالة سوءًا.

يقول المرنم إن الرب هو مجدنا ورافع رأسنا (مزمور ٣: ٣)؛ فهو يريد أن يرفع رجاءنا ومشاعرنا وحالاتنا المزاجية وأفكارنا وأيادينا وقلوبنا وكل حياتنا. هو رافع حياتنا. أما إبليس فيريد أن ينكسها، وهو يستخدم الأحداث والمواقف السلبية في الحياة حتى يصيبنا بالكآبة. ويُعرِّف القاموس "الكآبة" بأنها "انكسار وحزن في الروح". ويُعرِّف قاموس "وبستر" المكتئب بأنه الشخص الذي يعيش في مستوى روحي ونفسي أقل من المحيطين به، بمعنى الضحالة. الكآبة تعني الغرق والانكسار والعيش في مستوى ضحل؛ فعندما نستسلم للأفكار السلبية نسمح لأنفسنا أن تغوص في مستويات ضحلة. ولن تحل السلبية مشاكلنا لكنها ستزيد منها.

التغلب على الاكتئاب

يعطي (مزمور ١٤٣: ٣- ١٠) وصفًا لحالة الاكتئاب وكيفية التغلب عليها. فلندرس هذا الجزء بالتفصيل ونشرح الخطوات العملية للتغلب على الاكتئاب:

حدد طبيعة المشكلة وسببها:

"لأنَّ العَدوَّ قد اضطَهَدَ نَفسي. سحَقَ إلَى الأرض حَياتي. أجلَسَني في الظُّلُمات مثلَ الموتَى منذُ الدَّهر" (مزمورَ ١٤٣: ٣).

فالشخص الذي يجلسَ في الظلمات مثل المَوتى هو بالتأكيد شخص مصاب بحالة اكتئاب. ولاحظ أن السبب في هذا الاكتئاب هو عدونا إبليس.

اعرف أن الكآبة تسلبك الحياة والنور:

"أعيَتْ فيَّ روحي (اكتنفها الحزن). **تحَيَّرَ في داخلي قَلبي**" (مزمور ١٤٣: ٤).

يسيطر الاكتئاب على قوة الإنسان الروحية وحريته. لقد أعطانا الرب روحًا قوية معزَّزة بقوة الله، ولكن إبليس يسعى للسيطرة على هذه القوة والحرية التي لنا في المسيح بأن يملأ أذهاننا بالظلمة والضلال. فيجب أن نقاوم مشاعر الكآبة بمجرد أن نشعر بها في قلوبنا. فكلما ظلت بداخلنا وقتًا أطول، كان من الصعب علينا أن نقاومها.

(ج) تذكَّر الأوقات السعيدة:

"**تذَكَّرتُ أيّامَ القدَم. لهجتُ بكُلِّ أعمالكَ. بصَنائعِ يَدَيكَ أتأمَّلُ**" (مزمور ١٤٣: ٥).

هنا يعبر المرنم عن ردِّ فعله تجاه الحالة التي شعر بها. فالتذكرة والتأمل كلها من وظائف الذهن. لقد عرفت أن أفكاره تؤثر في مشاعره، فظل يفكر في ما يساعده على التغلب على الهجمات التي شنها إبليس على ذهنه.

(د) سبِّح الرب في وقت المشاكل:

"**سَطتُ إليكَ يَدَيَّ، نَفسي نَحوك كأرضٍ يابِسَةٍ. سِلاهْ**" (مزمور ١٤٣: ٦).

عرف المرنم أهمية التسبيح، فرفع يديه مسبحًا الرب معلنًا عن احتياجه الحقيقي له. فالرب وحده قادر أن يشبع حياته.

في معظم الأحيان يشعر الناس بالاكتئاب لأنهم يبحثون عمن يسد احتياجاتهم، وعادة يبحثون في الاتجاه الخاطئ مما يزيد مشاكلهم. وقال الرب: "شَعبي عَمِلَ شَرَّين: تَركوني أنا يَنبوعَ المياه الحَيَّة، ليَنقُروا لأنفُسهمْ أبآرًا، أبآرًا مُشَقَّقَةً لا تضبُطُ ماءً" (إرميا ٢: ١٣). فلا يستطيع أحدَ أن يسد احتياجك ويروي ظمأك. فإن بحثت ووجدت شيئًا اعتقدت أنه سيسد احتياجك ولكنه لم يفعل، ستصاب بخيبة الأمل. وخيبة الأمل ستؤدي حتمًا إلى الاكتئاب.

(ه) اطلب من الرب أن يعينك:

"**أَسرِعْ أجِبني يارَبُّ. فنيَتْ روحي. لا تحجُبْ وجهَكَ عَنِّي،**

فأُشبهَ الهابطينَ في الجُبِّ" (مزمور ١٤٣: ٧).

يطلب المرنم المعونة من الرب طالبًا منه أن يسرع لأنه لن يستطيع الصمود أكثر من ذلك.

(و) استمع لصوت الرب:

"أسمعني رَحمَتَكَ في الغَداة، لأنِّي علَيكَ توَكَّلتُ. عَرِّفني الطرَيقَ التي أسلُكُ فيها، لأنِّي إلَيكَ رَفَعتُ نَفسي" (مزمور ١٤٣: ٨).

يعرف المرنم أنه يحتاج لسماع صوت الرب، يؤكد له محبته وأمانته، فهو في حاجة إلى رعاية الرب وقيادته.

(ز) اطلب خلاص نفسك:

"أنقذني منْ أعدائي يارَبُّ. إلَيكَ التَجأتُ" (مزمور ١٤٣: ٩).

مرة أخرى يعلن المرنم أن الرب وحده يقدر أن ينقذه ويخلصه. لاحظ أنه طوال المحنة لم يركز أفكاره على مشاكله بل على الرب.

(ح) اطلب حكمة من الرب، ومعرفة وقيادة:

"عَلِّمني أنْ أعمَلَ رضاكَ، لأنَّكَ أنتَ إلَهي. روحُكَ الصّالِحُ يَهديني في أرضٍ مُستَوِيَة" (مزمور ١٤٣: ١٠).

ربما يشير المرنم هنا إلى أنه خرج عن مشيئة الرب، وفتح الباب أمام إبليس ليهاجم نفسه، ولكنه يريد أن يعود مرة أخرى لمشيئة الله، عندما علم أنه المكان الوحيد الآمن. ثم يطلب من الرب أن يهديه ويجعل مشاعره مستقرة، وهذا معنى "أهدني في أرضٍ مستوية" أي ثبات المشاعر وعدم تذبذبها.

استخدم أسلحتك

"إذ أسلحَةُ مُحارَبَتنا ليستْ جَسَدِيَّةً، بل قادرَةٌ بالله علَى هَدم حُصون. هادمِينَ ظُنونًا وكُلَّ عُلو يَرتَفعُ ضدَّ مَعرفَة الله، ومُستأسِرينَ كُلَّ فكرٍ إلَى طاعَة المَسيح" (٢ كورنثوس ١٠: ٤-٥).

يصيب إبليس ملايين من البشر بالاكتئاب لينجح في أن يُدخلهم إلى الظلمة واليأس. وعادة يكون الانتحار أحد نتائج الشعور بالاكتئاب. ويشعر

الشخص الذي يُقدم على الانتحار بأن لا رجاء له. فلا تنسَ أن مشاعر السلبية هي نتاج أفكار سلبية. والعقل هو أرض المعركة، وهو المكان الذي تدور فيه الحرب. وقد يكون النصر حليفك وقد تنهزم. فلماذا لا تختار الآن أن تكون إيجابي، ترفض كل فكر سلبي وتستأسر كل فكر لطاعة المسيح (٢ كورنثوس ١٠: ٥)؟

٢- ليكن لك فكر المسيح

"ذو الرّأي المُمَكَّن تحفَظُهُ سالمًا سالمًا، لأنَّهُ علَيكَ مُتَوَكِّلٌ" (إشعياء ٢٦: ٣).

كانت للمسيح علاقة مستمرة بأبيه السماوي. ومن غير الممكن أن تكون لك علاقة مع شخص دون أن تفكر فيه طوال الوقت؛ فعندما يكلمني زوجي بينما يكون ذهني مُنشغلًا بأمر آخر، لا يمكن أن نقول إننا نشارك بعضنا البعض؛ لأني لم أُعره الاهتمام الكافي. فعندما تكون لنا شركة مع المسيح، تكون أفكارنا مرتكزةً على الله وعلى أعمال يديه.

تأمل في الله وفي أعمال يديه

"كما منْ شَحم ودَسَم تشبَعُ نَفسي، وبشَفَتَيْ الابتهاج يُسَبِّحُكَ فمي. إذَا ذَكَرتُكَ علَى فِراشي، في السُّهد ألهَجُ بكَ" (مزمور ٦٣: ٥- ٦).

"وألهَجُ بجميعِ أفعالِكَ، وبصَنائعِكَ أُناجي" (مزمور ٧٧: ١٢).

"بوَصاياكَ ألهَجُ، وأُلاحظُ سُبُلكَ" (مزمور ١١٩: ١٥).

"ذَكَّرتُ أيّامَ القدَم. لَهجتُ بكُلِّ أعمالِكَ. بصَنائعِ يَدَيكَ أتأمَّلُ" (مزمور ١٤٣: ٥).

يخبرنا المرنم أنه كان دائمًا يسبِّح الرب ويلهج بأعمال يديه وبطرقه وأفعاله. فيا له من أمر مشجع أن نفكر في صلاح الله وفي عظمة أعمال يديه!

وكم أحب مشاهدة برامج التلفاز التي تعرض مناظر من الطبيعة وللحيوانات والبحار، لأنها تشهد بعظمة الله وتفرُّده في صنع المخلوقات، وأنه قادر على حمل كل هذه الأشياء بكلمة قدرته (عبرانيين ١: ٣).

ونحتاج أن نتأمل في عظمة الله وأعماله بصفة منتظمة، وأن نجعلها جزءًا من أفكارنا وحياتنا إن أردنا أن نختبر النصرة في حياتنا.

من الآيات المحببة إلى قلبي (مزمور ١٧: ١٥): " أمّا أنا فبالبرِّ أنظُرُ وجهَكَ. أشبَعُ إذا استَيقَظتُ بشبَهِكَ (لي شركة حلوة معك)" وكم كانت أيامي تعيسة عندما كنت أفكر في كل المشاكل والصعاب التي تنتظرني بمجرد أن أستيقظ في صباح كل يومك جديد! ولكني استعدت بهجتي وسعادتي عندما بدأت أفكر بفكر المسيح بمعونة الروح القدس الساكن بداخلي؛ فالشركة مع الله مع بداية كل يوم جديد تساعد على التمتع بالحياة.

لتكن لك شركة مع الله

"لكني أقولُ لكُمُ الحَقَّ: إنَّهُ خَيرٌ لكُمْ أنْ أنطَلِقَ، لأنَّهُ إنْ لم أنطلِقْ لا يأتيكُمُ المُعَزِّي، ولكن إنْ ذَهَبتُ أُرسِلُهُ إليكُمْ" (يوحنا ١٦: ٧).

قال المسيح هذا قبل أن يصعد إلى السماء ليجلس عن يمين الآب. ومن قوله هذا يتضح لنا أن الله قصد أن تكون لنا شركة معه.

ولا يوجد من هو أقرب إلينا من أفكارنا؛ فإن نجحنا في ملء أذهاننا بالرب، سيكون في ضمائرنا، وسنتمتع بشركة معه تجلب السعادة والسلام والنصرة لنفوسنا في كل ضمائرنا، وسنتمتع بشركة معه تجلب السعادة والسلام والنصرة لنفوسنا في كل يوم؛ فهو دائمًا معنًا بحسب وعده (متى ٢٨: ٢٠ وعبرانيين ١٣: ٥). ولكننا لا نشعر بوجوده معنا إن لم نفكر فيه؛ فقد أكون في الغرفة مع شخص ما ولكني لا أشعر بوجوده، لأن فكري مشغول بأمور أخرى. وربما أغادر الغرفة دون أن أعرف أنه كان هناك. هذا هو الحال في علاقتنا وشركتنا مع الله؛ فهو دائمًا معنا، ولكننا نحتاج أن نفكر فيه حتى نشعر بوجوده.

٣- تذكر أن الله يحبك

"ونَحنُ قد عَرَفنا (فهمنا وأدركنا عن طريق الملاحظة والإختبار) **وصَدَّقنا** (آمنا واتكلنا على) **المَحَبَّةَ التي لله فينا. الله مَحَبَّةٌ، ومَنْ يَثبُتْ في المَحَبَّةِ، يَثبُتْ في الله والله فيهِ"** (١ يوحنا ٤: ١٦).

وما ينطبق على وجوده معنا ينطبق على محبته لنا؛ فإن لم نفكر في محبته لنا، لا نشعر بها ولا نختبرها. صلى بولس الرسول طالبًا لأهل أفسس أن يعرفوا محبة الله لهم، فالله يحبنا. ولكن كم من أولاد الله ينقصهم إعلان محبة الله في حياتهم؟

عندما طلبت من الرب أن يخبرني بالرسالة التي يريدني أن أنقلها للناس في أول أسبوع بدأت فيه اجتماعات "حياة في كلمة الله" قال "أخبري شعبي أني أحبهم". فقلت "يارب، هم يعلمون أنك تحبهم. فأنا أريد أن أعظ عن موضوع مؤثر وليس عن موضوع درس مدارس أحد مقتبس من (يوحنا ٣: ١٦)!" فقال لي: "قليلون يعرفون مقدار محبتي لهم، فلو علموا كم أحبهم لاختلف سلوكهم كل الاختلاف".

وعندما بدأت في دراسة موضوع قبول محبة الله، أدركت أني في احتياج شديد لهذا الأمر. قادني الرب لقراءة ما جاء في (١ يوحنا ٤: ١٦) حيثُ يكتب الرسول أننا يجب أن ندرك مقدار هذه المحبة ونكون واعين لها.

كان فهمي لمحبة الله فهمًا مُبهَمًا غير واع، ولكن الله قصد أن تكون محبته لنا هي القوة المحركة في حياتنا، والتيً نستطيع بها أن نعبر أحلك الظروف وأقسى التجارب لننال النصرة.

ويشجعنا الرسول بولس في (رومية ٨: ٣٥) قائلًا: "**مَنْ سيَفصلُنا عن مَحَبَّة المَسيح؟ أشدَّةٌ أم ضَيقٌ أم اضطهادٌ أم جوعٌ أم عُريٌ أم خَطَرٌ أم سيفٌ؟**" ثَم يستَطرد قائلًا في (ع ٣٧): "**ولكننا في هذه جميعها يَعظُمُ انتصارُنا بالذي أحَبَّنا**".

درست هذا الموضوع لوقت طويل حتى أدركت وفهمت محبة الله لي عندما تأملت فيها، واعترفت بها أمام الجميع. كما حفظت بعض الآيات الكتابية التي تتحدث عن محبة الله وتأملت في كلماتها واعترفت بها بفمي أمام الناس. وعندما فعلت ذلك لمدة شهور زادت معرفتي بمحبة الله غير المشروطة، إلى أن أصبحت واقعًا ملموسًا في حياتي في أحلك الظروف، فقد عرفت مقدار محبته ولذلك لم أعد أعيش في خوف.

لا تخف

"لا خَوْفَ فِي المَحَبَّة، بل المَحَبَّةُ الكامِلَةُ تطرَحُ الخَوْفَ إلَى خارِجٍ" (١ يوحنا ٤: ١٨).

اللّه يحِّب كل فرد فينا كما هو؛ فالكتاب المقدس يخبرنا أن **"اللهَ بَيَّنَ مَحَبَّتَهُ لنا، لأنَّهُ ونَحنُ بَعدُ خُطاةٌ ماتَ المَسيحُ لأجلنا"** (رومية ٥: ٨). فالمؤمن الذي له فكر المسيح لا يفكر أبدًا في قبح ذاته، ولكن أفكاره ستكون للبر وسيفكر دائمًا ويتأمل في مكانته كابنٍ للّه.

لتكن أفكارك للبر لا للخطية

"لأنَّهُ جَعَلَ الذي لم يَعرِفْ خَطيَّةً، خَطيَّةً لأجلنا، لنَصيرَ نَحنُ برَّ الله فيه (مقبولين بلا لوم وفي علاقةٍ صحيحةٍ مع اللّه)" (٢كورنثوس ٥: ٢١).

يعذب مؤمنون كثيرون أنفسهم بأفكار سلبية حول ذواتهم معتقدين أن اللّه غير راض عنهم بسبب ضعفاتهم ونقائصهم؛ فكم من الوقت نضيعه في الشعور بالذنّب والدينونة! ويا لها من مضيعةٍ للوقت! لأن مثل هذه الأفكار والمشاعر هي مضيعة للوقت.

لا تفكر في مدى قبحك قبل أن تعرف المسيح، بل فكر كيف صرت بر اللّه في المسيح. وتذكر أن الأفكار تتحول إلى أفعال. فإن أردت أن يكون سلوكك مختلفًا، يجب أن تغير من طريقه تفكيرك أولاً. فإن صرفت الوقت في التفكير في كم أنت رديء، سيكون سلوكك رديئًا. لذلك ذكِّر نفسك دائمًا بعظمة محبة اللّه لك في كل مرة تراودك أفكار سلبية عن نفسك. وتذكر أنك تتغير للأفضل في كل مرة، وأنك تنمو كل يوم في حياتك الروحية. لقد أعد اللّه خطةً رائعةً لحياتك، وتلك هي الحقائق التي يجب أن تفكر بها، وهذا هو ما يجب أن تفكر فيه بعقلك.

فكر عن قصد في كلمة اللّه، ولا تفكر في كل ما يراود ذهنك معتقدًا أنها أفكارك الخاصة. انتهر إبليس واستمر في تقدمك للأمام عن طريق التفكير في أمور اللّه.

٤ - قدم لعقلك مواعظ

"**الواعظُ** (المشجع) **ففي الوَعظ** (التشجيع)" (رومية ١٢: ٨).

يفكر الشَخص الذي له فكر المسيَح بإيجابية في كل ما يبني ويشجع، سواء عن نفسه أو عن الآخرين أو عن الظروفً. وكم نحتاج إلى خدمة التشجيع في أيامنا هذه! فإن لم تكن أفكارك عن الناس جيدةً، فلن تتمكن من تشجيعهم. وتذكر أنه من فضلة القلب يتكلم اللسان، لذلك فكر بمحبة في الآخرين عن قصد، وبارك حياتهم بكلمات تشجيع.

ربما لا تمتلك موهبة التشجيع، ولكن من المؤكد أنك تستطيع أن تشجع الآخرين. اتبع القاعدة التالية: إن لم تكن أفكارك وكلماتك إيجابيةً فلا تفكر فيها ولا تنطق بها، فكل شخص لديه ما يكفيه من المشاكل، ولا يوجد ما يدعو لنزيدها بكلمات تهدم حياتك. علينا أن نبني بعضنا البعض بالمحبة (أفسس ٤: ٧).

وعندما تفكر أفكارًا تملأها المحبة عن الآخرين، ستجد أنهم يتصرفون بطريقة أفضل؛ فالأفكار والكلمات عبوة أوسلاح يحمل قوةً خاصةً، قد تكون بنَّاءةً وقد تهدم. ويمكننا أن نستخدمها في حربنا ضد إبليس، ويمكننا أن نستخدمها لتحقيق خطط الدمار الخاصة به.

دعونا نفترض أن ابنك يعاني من مشاكل في سلوكه تحتاج إلى تغيير. ماذا ستكون أفكارك وكلماتك عنه خلال فترة الانتظار؟ في بعض الأحيان لا يرى الناسُ استجابةً لصلواتهم؛ لأنهم ينفون بأفكارهم وكلماتهم ما طلبوه من الرب، دون أن يعطوا الفرصة للرب أن يعمل في حياتهم نيابةً عنهم.

فهل تصلي لتغيير حياة ابنك وبعد ذلك تفكر بالسلب عنه؟ وهل تصلي لأجل تغيير في حياته ثم تقول لأصدقائك: "لا فائدة من هذا الصبي، فهو لن يتغير أبدًا". تعلم أن تكون أفكارك متوافقةً مع فكر الله حتى تختبر النصرة في حياتك. فلا يمكن أن تسلك بحسب كلمة الله إن كانت كلماتك وأفكارك عكس ما تنص عليه الكلمة. كما أننا لا يمكن أن نسلك بحسب كلمة الله إن لم نفكر فيها.

عندما تصلي لأجل شخص ما، تعلّم أن تكون أفكارك وكلماتك مطابقةً لما صلَّيت لأجله، وعندئذٍ سترى استجابة الله الرائعة لصلاتك.

أنا لا أطلب منك أن تتطرف في تفكيرك؛ فإن كان طفلك يعاني من مشكلة في سلوكه وسألك أحد الأصدقاء عن تطور حالته، فيمكنك أن تقول: "لم يتغير سلوكه بعد، ولكني أؤمن أن الرب سيمد يده لهذا الصبي، لأنه هيكل الله، وسنراه يتغير من مجدٍ إلى مجدٍ يومًا بعد آخر".

٥- كُن شاكرًا

"ادخُلوا أبوابَهُ بحَمد، ديارَهُ بالتَّسبيحِ. احمَدوهُ، باركوا اسمَهُ" (مزمور ١٠٠: ٤).

إن امتلأ ذهن الشخص بفكر المسيح، سيجد حياته تفيض بالتسبيح وكلماته بالشكر. أما الشكوى فتفتح الأبواب أمام إبليس. ويعاني بعض الناس من أمراض جسدية ويعيشون حياةً سقيمةً تخلو من القوة نتيجة هذا الداء اللعين الذي هو الشكوى والتذمر، الذي ينتقل عن طريق الأفكار والكلمات. فإن أردت أن تعيش حياةً تمتلئ بالقوة، يجب أن تكون شاكرًا مسبِّحًا. يعلمنا الكتاب مرة ومرات عن أهمية التسبيح، أما الشكوى والتذمر سواء بالفكر أو القول فتحمل الموت للإنسان، بينما التسبيح والشكر يعطي حياةً. فإن لم يمتلئ قلب الإنسان وذهنه بالشكر لن تخرج كلمات المدح والثناء من فمه. لذلك عبِّر عن شكرك وامتنانك عندما تشعر بهما في قلبك.

اشكر في كل وقت

"فلنُقَدِّمْ به في كُلِّ حين لله ذَبيحَةَ التَّسبيحِ، أيْ ثَمَرَ شِفاهٍ مُعتَرِفَةٍ باسمِه" (عبرانيين ١٣: ١٥).

ترى متى نُقدم ذَبيحة التسبيح لله؟ هل في كل وقت وفي كل حال وعلى كل شيء؟ إن كنا نفعل ذلك فلن ينجح إبليس في السيطرة على حياتنا إن كان فرح الرب يملأ قلوبنا في كل وقتٍ ومهما كانت الظروف. ولكني أعترف أن هذه النوعية من الحياة تتطلب تقديم ذبيحة شكر وتسبيح لله، ولكن إن لم نقدم هذه الذبيحة سيسلب منا إبليس فرحنا. لقد تعلمت هذا الدرس بعد تجربة مريرة. تعلمت أنه عندما أرفض تقديم ذبيحة الشكر للرب مفضِّلةً أن أشكو وأتذمر، يسلب إبليسُ مني فرحي وسلامي. فالشكوى تسلبنا الفرح.

يقول المرنم: "أُبارِكُ الرَّبَّ في كُلِّ حين. دائمًا تسبيحُهُ في فمي" (مزمور ٣٤: ١). فكيف نبارك الرب؟ بتسبيحه دائمًا في أفكارنا وبكلماتنا. ليمتلئ قلبك بالشكر ليس فقط للرب ولكن للآخرين أيضًا. اشكر الآخرين عندما يقدمون لك معروفًا، وأخبرهم بأنك تقدِّر ما فعلوه لأجلك. أظهر شكرك لأفراد أسرتك، ففي كثير من الأحيان لا نفكر كثيرًا بالبركات التي أنعم الرب بها علينا، ولا ندرك قيمتها إلا بعد فقدانها. أكنُّ لزوجي كل الاحترام والتقدير، وقد مرَّ على زواجنا زمن طويل، ولكني لا أزال أخبره بأنه جدير بكل احترام وتقدير؛ فهو رجل صبور، كما أنه يتحلى بكثير من الصفات الحميدة. فأنا أعرف أن التعبير عن المحبة والامتنان والتقدير أمر مشجع يبني الآخرين. لذلك تعلم أن تعبِّر عن شكرك لأجل أمور معينة يقوم بها أحد أفراد عائلتك.

وبحكم تعاملي مع نوعيات كثيرة من الناس، يدهشني وجود بعض الأشخاص الذين يشكرون لأجل أصغر الأشياء، بينما يوجد من لا يشعرون بالرضا مهما فعل الآخرون لأجلهم. وأعتقد أن الكبرياء هو السبب الرئيسي في ذلك؛ فبعض الناس يمتلئون من ذواتهم لدرجة أنهم يعتقدون أنهم يستحقون أكثر مما يقدمه الآخرون لهم، ونادرًا ما يعبرون عن شكرهم وامتنانهم.

إن التعبير عن شكرنا لا يفيد الآخرين فقط، ولكنه يعود بالنفع علينا أيضًا لأنه يملأ حياتنا بالفرح. فكِّر دائمًا في الأمور التي تدعو للشكر، واشكر الله لأجلها في صلاتك، وستجد قلبك يفيض بالحياة والنور.

اشكر على كل شيء

"ولا تسكَروا بالخمر الذي فيه الخَلاعَةُ، بل امتَلئوا بالرّوح، مُكلِّمينَ بَعضُكُمْ بَعضًا بمَزامِيرَ وتسابيحَ وأغانيَّ روحيَّةَ، مُترَنِّمينَ ومُرَتِّلينَ في قُلوبكُمْ للرَّبِّ. شاكرينَ كُلَّ حين على كُلِّ شَيء في اسم رَبِّنا يَسوعَ المَسيح، لله والآب" (أفسس ٥: ١٨ – ٢٠).

يالها من آياتَ رائعة! سنبقى ممتلئين بالروح القدس عندما نكلم أنفسنا (عن طريق الأفكار) والآخرين (عن طريق كلماتنا) بمزامير وتسابيح وأغاني روحية؛ أي عندما تمتلئ أفكارنا وكلماتنا بكلمة الله، وعندما تفيض

قلوبنا بالشكر في كل وقت وعلى كل شيء.

٦ – لتثبت الكلمة في أذهانكم

"وليستْ لكُمْ كلمَتُهُ ثابتَةً فيكُم، لأنَّ الذي أرسَلهُ هو لستُمْ أنتُمْ تؤمنونَ به (بالمسيحِ)" (يوحنا ٥: ٣٨).

كلمة الله هي أفكاره التي كُتبت على الورق حتى ندرسها ونسلك بها؛ لأنها تخبرنا بفكر الله حول كل أمر وموضوع. وقد وبَّخ المسيحُ غيرَ المؤمنين في (يوحنا ٥: ٣٨) بسبب عدم ثبات كلمته في قلوبهم؛ لأن كلمة الله تعبِّر عن أفكاره. فإن أراد أحد أن يؤمن ويختبر كل الأمور الرائعة نتيجة إيمانه هذا، فعليه أن يسمح لكلمة الله أن تكون رسالةً حيةً في قلبه، وذلك بالتأمل فيها ودراستها بصفة مستمرة. وبهذه الطريقة تصبح أفكارنا مثل فكر المسيح، وهي الطريقة الوحيدة التي بها يكون لنا فكر المسيح. يخبرنا الكتاب المقدس في (يوحنا ١: ١٤) بأن المسيح كان الكلمة المتجسِّد على الأرض. ولولا أن ذهنه كان يمتلئ بكلمة الله باستمرار، لما استطاع أن يصير كلمة الله المتجسد. إن دراسة كلمة الله والتأمل فيها من أهم مبادئ الحياة المسيحية التي يجب أن نتعلمها ويُعرِّف قاموس "فاين" لشرح كلمات العهد القديم والجديد كلمة "يتأمل" بأنها "الاهتمام بكلمة الله وممارستها بالمعنى الفعلي للكلمة. التفكير فيها والانشغال بها". ويضيف أحد المصادر الأخرى "ترديدها وإعلانها بصوت مسموع".

ومهما قلت عن أهمية هذا المبدأ الكتابي، فلن أوفيه حق قدره. لهذا أطلق عليه "أسلوب حياة".

فعندما نتأمل في كلمة الله، تفيض الحياة من حياتنا لأنفسنا وللآخرين أيضًا.

أود أن أوضح لكم أن إبليس ليس عنده أفكار أصلية، بل يأخذ كل أفكاره من ملكوت النور وينقلها إلى ملكوت الظلمة، وعلينا أن نكون حكماء بالقدر الكافي حتى ندرك أن التأمل في كلمة الله يلحق خسائر لا حصر لها بملكوت الظلمة، كما أنه يعطي المجد والكرامة لله. ومبدأ التأمل مأخوذ من كلمة الله مباشرةً. دعونا نلقي نظرةً سريعةً حول ما تقوله كلمة الله عن هذا الموضوع.

إن تأملت في كلمة الله نجحت

"لا يبرَحْ سفرُ هذه الشَّريعَة منْ فمكَ، بل تلهَجُ فيه نهارًا وليلاً، لكَيْ تتحَفَّظَ للعَمَل حَسَبَ كُلِّ ما هو مَكتوبٌ فيهِ. لأنَّكَ حينَئذ تُصلحُ طريقَكَ وحينَئذ تُفلحُ" (يشوع ١: ٨).

تقول كلمة الله هنا إننا لن نتمكنَ من ممارسة كلمة الله بطريقة عملية إن لم نمارسها في أذهاننا أولاً. ويتحدث (مزمور ١: ٢- ٣) عن رجل الله أنهَ **"في ناموس الرَّبِّ مَسَرَّتُهُ، وفي ناموسه يَلهَجُ** (يتأمل ويدرس) **نهارًا وليلاً. فيكونُ كشَجَرَة مَغروسَة عندَ مَجاريَ المياه، التي تُعطي ثَمَرَها في أوانه، ووَرَقُها لا يَذبُلُ. وكُلُّ ما يَصنَعُهُ يَنجَحُ"**.

إن تأملت في كلمة الله نلت الشفاء

"يا ابني، أصغِ إلَى كلامي. أمِلْ أُذُنَكَ إلَى أقوالي. لا تبرَحْ عن عَينَيكَ. احفَظها في وسط قَلبكَ. لأنَّها هي حياةٌ للذينَ يَجدونَها، ودَواءٌ لكُلِّ الجَسَد" (أمثال ٤: ٢٠– ٢٢).

ذكرنا فيما سبق أن التأمل في كلمة الله يعنى الاهتمام بها والتفكير فيها، ولهذا تقول هذه الآية إن كلمة الله هي مصدر صحة الجسد وشفائه.

إن التأمل والتفكير في كلمة الله في أذهاننا يؤثر على حالة الجسد.

لقد تغير مظهري تمامًا عما كنت عليه قبل ثماني عشرة سنة. وكثيرًا ما يقول لي الآخرون إنني أبدو أصغر من عمري الحقيقي بخمسة عشر عامًا على الأقل، وذلك منذ أن عكفت على دراسة كلمة الله وجعلتها مركز حياتي كلها.

اسمع واحصد

"وقالَ لهُمُ: انظُروا ما تسمَعونَ! بالكَيل الذي به تكيلونَ يُكالُ لكُمْ ويُزادُ لكُمْ أيُّها السّامعونَ" (مرقس ٤: ٢٤).

كلما زرعت أكثر حصدت أكثر عندما يحين وقت الحصاد. يقول الرب في (مرقس ٤: ٢٤) إنه كلما قضيت وقتًا أطول في التفكير ودراسة كلمة الله والاستماع لها، حصدت فهمًا ومعرفةً أكثر.

اقرأ واحصد

"**لأَنَّهُ ليس شَيءٌ خَفيٌّ لا يُظهَرُ، ولا صارَ مَكتومًا** (بصفة مؤقتة) **إلا ليُعلَنَ**" (مرقس ٤: ٢٢).

يتضح لنا من هذه الآية أن هناك كنوزًا مخفيةً ومكتومةً وأسرارًا تفيض منها الحياة يريد الله أن يعلنها لنا، ولكنها لا تُعلن إلا لمن يتأمل في كلمة الله ويدرسها ويفكر فيها ويمارسها في ذهنه ويرددها بفمه. وأستطيع أن أشهد بحقيقة هذا الأمر بصفتي معلِّمة لكلمة الله. ويبدو أنه لا نهاية لما يستطيع الله أن يعلنه لي من خلال آية واحدة؛ فعندما أدرس أحد أجزاء الكتاب المقدس، يعلمني الرب أمرًا منه. وعندما أدرسه مرةً أخرى أتعلم شيئًا آخر لم ألحظه في المرات السابقة. ويستمر الله في إعلان أسراره لمن يواظب على الثبات في كلمته. فلا تحاول أن تعيش على الإعلانات التي يعلنها الرب لشخص آخر، بل ادرس كلمة الله بنفسك، واسمح للروح القدس أن يبارك بها حياتك. يجب أن يتعلم كلٌّ منا أن يدرس كلمة الله ويتأملها، لما لذلك من أهمية كبيرة في حياة كل مؤمن. اطلب من الروح القدس كل يوم وأثناء قيامك بمهامك اليومية أن يذكرك ببعض الآيات حتى تتأمل فيها. وستندهش من القوة التي ستفيض من حياتك نتيجة ممارستك لهذا المبدأ المهم. فكلما قضيت وقتًا أكبر في دراسة كلمة الله والتأمل فيها، زادت قوتك في أوقات التجارب والمصاعب. وتذكر أن القوة التي نحتاج إليها للسلوك بكلمة الله نستمدها من التأمل فيها.

اقبل كلمة الله بترحيب

"**لذلكَ اطرَحوا كُلَّ نَجاسَة وكثرَةَ شَرٍّ، فاقبَلوا بوَداعَة** (بتواضع ولطف) **الكلمَةَ المَغروسَةَ** (في قلوبكم) **القادِرَةَ أنْ تُخَلِّصَ نُفوسَكُمْ**" (يعقوب ١: ٢١).

نستطيع أن نخلص أنفسنا من العيش في الخطية فقط عندما نقبل ونغرس كلمة الله في قلوبنا وأذهاننا. وغرس كلمة الله يأتي عن طريق الاهتمام بكلمة الله والتفكير فيها أكثر من أي شيء آخر.

لكن إن فكرنا في مشاكلنا طوال الوقت سنصبح مغروسين في مشاكلنا. فإن ركزنا أنظارنا على مشاكلنا أو مشاكل من هم حولنا، اقتنعنا بها أكثر

وفشلنا في رؤية الحل لها. إن التأمل ودراسة كلمة الله هما الأداة الوحيدة التي نستطيع بها أن ننهل من نهر الحياة الذي أعده لنا الرب.

تُسمى الخدمة التي نقوم بها "حياة في كلمة الله". ومن خلال خبرتي وتجاربي العديدة أستطيع أن أشهد أنه بالحق توجد حياة في كلمة الله.

اختر الحياة

"لأنَّ اهتمامَ الجَسَد هو موتٌ، ولكن اهتمامَ الرّوح هو حياةٌ وسلامٌ" (رومية ٨: ٦).

مرة أخرى أود أن ألفت انتباهكم لما ورد في (فيلبي ٤: ٨): **"أخيرًا أيُّها الإخوَةُ، كُلُّ ما هو حَقٌّ، كُلُّ ما هو جَليلٌ، كُلُّ ما هو عادلٌ، كُلُّ ما هو طاهرٌ، كُلُّ ما هو مُسرٌّ، كُلُّ ما صيتُهُ حَسَنٌ، إنْ كانَتْ فضيلَةٌ وإنْ كانَ مَدحٌ، ففي هذه افتَكروا"**.

إن الحَالة التي يجب أن يكون عليها ذهنك موجودة في هذه الآية. وتذكر أن لك فكر المسيح، فلماذا لا تبدأ في استعماله؟ فإن كانت هناك أمور لم يفكر بها المسيح، فلا يجب أن تفكر فيها أنت أيضًا. وعندما تراقب أفكارك بصفة مستمرة، ستستطيع أن تستأسر كل فكر لطاعة المسيح (٢ كو ١٠: ٥). وسيذكّرك الروح القدس بمجرد أن يأخذك ذهنك للاتجاه المعاكس أنك تسلك في الاتجاه الخاطئ، وعندئذ يصبح القرار لك. فهل ستتبع اهتمامات الجسد أم اهتمامات الروح؟ اهتمام الجسد يقود إلى الموت، أما اهتمامات الروح فتقود إلى الحياة. والاختيار لك.

فلماذا لا تختار الحياة؟

الجزء الثالث
العقلية البرية
التي تفكر بطريقةٍ خاطئةٍ

مقدمة

"أَحَدَ عشَرَ، يومًا (فقط) منْ حوريبَ علَى طريق جَبَل سعيرَ إلَى قادَشَ بَرنيعَ (حدود كَنعان، إلا أن الرحلة اَستغرقَتَ مع بني اسرائيل أربعين سنة)" (تثنية ١: ٢).

استغرقت الرحلة من حوريب إلى حدود كنعان أربعين سنة في الوقت الذي لم تكن لتستغرق فيه أكثر من أحد عشر يومًا. فما هو السبب؟ هل الأعداء، أم الظروف، أم التجارب التي مروا بها في الطريق؟ أم أن السبب مختلف تمامًا؟

بينما كنت أفكر فيما حدث مع بني إسرائيل، أعطاني الرب إعلانًا قويًّا ساعدني في حياتي الشخصية كما ساعد آخرين أيضًا. قال لي الرب: "لقد قضى بنو إسرائيل أربعين سنة في البرية بينما لم تكن الرحلة تستغرق أكثر من أحد عشر يومًا فقط؛ لأن عقليتهم كانت بريةً، تفكر بطريقةٍ خاطئةٍ".

هل طال بقاؤك في هذا المكان؟

"الرَّبُّ إلَهنا كلَّمَنا في حوريبَ قائلاً: كفاكُمْ قُعودٌ في هذا الجَبَل" (تثنية ١: ٦).

يجب ألا نتعجب مما فعله بنو إسرائيل لأننا نفعل نفس الشيء؛ فأحيانًا ندور حول نفس الجبل مرةً ومرات دون أن نتقدم، فلا نختبر النصرة على هذا الجبل إلا بعد سنوات بدلًا من أيام. لذلك يكرر الرب لكلٍّ منا اليوم نفس الرسالة التي قالها لبني إسرائيل "كفاكم قعود في هذا الجبل، لقد حان الوقت للتقدم إلى الأمام".

احتفظ بذهنك مستعدًّا

"اهتَمّوا بما فوقُ لا بما علَى الأرض" (كولوسي ٣: ٢).

أراني الرب عشر طرق للتفكير اتسمت بها عقلية بني إسرائيل البرية. والعقلية البرية هي عقلية تفكِّر بطريقة خاطئة.

ويستطيع كلٌّ منا أن يفكر بطريقةً صحيحًة أو طريقة خاطئة. ويفيد التفكيرُ الصحيح الإنسانَ بينما يدمرً التفكيرُ الخاطئ كُلَّ شيءً، ويعيق التقدم إلى الأمام. تُعلِّمنا كلمة الله في (كولوسي ٣: ٢) أن يكون لنا الاستعداد الذهني الصحيح بأن نهتم بما فوق. نحتاج أن نفكر في الاتجاه الصحيح؛ لأن الاستعداد الذهني الخاطئ لا يؤثر فقط على ظروف حياتنا بل على حياتنا نفسها.

فبعض الناس يعيشون في البرية، يفكرون بطريقةٍ خاطئةٍ، بينما تسكن البرية داخل البعض الآخر.

وحتى عندما كانت أحوالنا على ما يُرام، لم أكن قادرةً على التمتع بأي شيء فيها بسبب البرية التي تفكر بطريقة خاطئة، والتي كانت تسكن داخلي. كنا نمتلك منزلًا جميلًا، ووهبنا الرب ثلاثة أطفال رائعين، وكانت حالتنا المادية ميسورةً، ولكني كنت عاجزةً عن التمتع ببركات الله بسبب "عقليتي البرية" التي كنت أفكر بها. وبدت حياتي وكأنها برية قاحلة، وهكذا كنت أرى كل شيء.

ينظر البعض للحياة نظرةً سلبيةً بسبب الظروف التي مروا بها، حتى أنهم يعجزون عن رؤية جمال الحياة. ويرى البعض الآخر الحياة قبيحةً لا جمال لها؛ لأن حياتهم من الداخل عبارة عن برية قاحلة. ومهما كان السبب، فمن المؤكد أن النظرة السلبية للحياة تترك الإنسان بائسًا غير قادر على إحراز أي تقدم، عاجزًا عن الوصول إلى أرض الموعد.

لقد دعا الربُّ بني إسرائيل أن يخرجوا من أرض العبودية في مصر ليذهبوا إلى أرض الموعد التي تفيض لبنًا وعسلًا، وتمتلئ بكل الخيرات التي يمكن أن نتخيلها. في تلك الأرض، لن يحتاجوا لشيء؛ لأنها تفيض خيرًا من كل جانب. إلا أن أحدًا من هذا الجيل لم يرى أرضَ الموعد؛ لأنهم ماتوا في البرية. وهذا أسوأ ما يمكن أن يحدث لأولاد الله أن تُتاح أمامهم كل

الخيرات دون أن يكونوا قادرين على التمتع بها.

وهكذا عشت لسنوات طويلة بعد أن آمنت بالمسيح. كنت في طريقي لأرض الموعد (السماء) ولكن الرحلة لم تكن ممتعة. كنت أحتضر في البرية. ولكني أشكر الرب من أجل رحمته ونوره الذي يضيء في الظلمة؛ لأنه انتشلني مما كنت فيه. وصلاتي هي أن يكون هذا الكتيب منارةً لك حتى تخرج من البرية التي أنت فيها، وتدخل إلى نور ملكوته العجيب.

١٦
هل يتحدد مستقبل الإنسان بماضيه وحاضره؟
عقلية برية تفكر بطريقة خاطئة (رقم ١)

"بلا رؤيا يَجمَحُ (يشرد) الشَّعبُ" (أمثال ٢٩: ١٨).

لم يكن لبني إسرائيل رؤى أو أحلام لحياتهم؛ كانوا يعلمون من أين أتوا، ولكنهم لم يعرفوا إلى أين سيذهبون. كانت حياتهم مبنيةً على ما رأوه، ولكنهم لم يعرفوا كيف ينظرون للأمور بعين الإيمان.

ممسوحون لنحرر المنسحقين

"روحُ الرَّبِّ عليَّ، لأنَّهُ مَسَحَني لأُبَشِّرَ المَساكينَ، أرسَلَني لأشفيَ المُنكَسري القُلوب، لأُناديَ للمأسورينَ بالإطلاق وللعُمي بالبَصَر، وأُرسلَ المُنسَحقينَ في الحُرِّيَّة، وأكرزَ بسَنَةَ الرَّبِّ المَقبولَة" (لوقا ٤: ١٨، ١٩).

تعرضت خلال سنوات طفولتي للإهانة وسوء المعاملة، فامتلأت حياتي بالخوف والرعب. ويقول الخبراء إن شخصية الطفل تتكون خلال الخمس سنوات الأولى من عمره، وهكذا كانت حياتي عبارة عن فوضى عارمة. عشت أتظاهر بأني شخصية مختلفة، وعشتها خلف جدران بنيتها كي أحمي نفسي من أذى الآخرين. كنت أحاول إبعاد الآخرين عني، فعشت سجينة هذه الجدران. كنت شخصيةً متسلطةً أعتقد أن التسلط هو الطريقة الوحيدة التي أستطيع بها أن أمنع الناس عن إيذائي.

عندما تقابلت مع المسيح وتعهدت بأن أعيش الحياة المسيحية التي تمجد الله، كنت أعلم الخلفية التي جئت منها، ولكني لم أكن أعلم إلى أين أنا ذاهبة. وشعرت بأن مستقبلي سيكون صورةً طبق الأصل من ماضيَّ وكثيرًا ما تساءلت: "كيف يمكن أن تستقيم حياة إنسان جاء من خلفية شبيهة بالخلفية التي أتيت منها؟" لكن المسيح قال إنه أتىَ ليشفي المرضىَ ومنكسري القلوب والجرحى والمتألمين والمنسحقين. جاء ليفتح أبواب السجون ويطلق الأسرى أحرارًا وعندما أدركت أنه يقدر أن يطلقني حرةً، بدأت حياتي تتقدم للأمام. كان عليَّ أن أغيِّر نظرتي السلبية للحياة، وأن أؤمن بأن مستقبلي لا يتحدد بماضيَّ ولا حتى بحاضري.

مهما كان ماضيك مظلمًا، ومهما تكن الظروف التي تمر بها حاليًا، ومهما بدا الأمل بعيد المنال، ثق أن مستقبلك لا يتحدد بماضيك ولا بحاضرك.

ولكي تغير طريقة تفكيرك، اعلم أنه لا يستحيل على الرب شيء (لوقا ١٨: ٢٧) وأنك تخدم الإله الذي خلق كل شيء من لا شيء (عبرانيين ١١: ٣). لماذا لا تعطيه اللا شيء الذي تمتلكه وتنتظر عمله في حياتك؟ فقط عليك أن تؤمن به، وسيتولى هو بقية الأمور.

عيون ترى وآذان تسمع

"ويَخرُجُ قَضيبٌ مِنْ جذعِ يَسَّى، ويَنبُتُ غُصنٌ مِنْ أُصوله، ويَحُلُّ عليه روحُ الرَّبِّ، روحُ الحكمَة والفَهم، روحُ المَشورَة والقوَّة، روحُ المَعرفَة ومَخافَة الرَّبِّ. ولَذَّتُهُ تكونُ في مَخافَة الرَّبِّ، فلا يَقضي بحَسَب نَظَر عَينَيه، ولا يَحكُمُ بحَسَب سمعِ أُذُنَيه" (إشعياء ١١: ١– ٣).

لا يمكن أن نحكم في أمر ما حكمًا صحيحًا بالاعتماد على ما تراه عيوننا العادية، ولا بد أن تنفتح عيون إيماننا أولًا وتكون لنا الآذان المصغية لما يقوله الروح، لا ما يقوله العالم، لذلك دع الرب يحدثك عن مستقبلك، ولا تسمح لأي إنسان آخر أن يحدثك عن مستقبلك.

كان معظم حديث بني إسرائيل يدور حول الطريقة التي كانت عليها الأمور قبل أن يدعوهم الرب للخروج من أرض مصر، إلا أن الرب كان

يريدهم أن يركزوا أنظارهم على المكان الذي خرجوا منه. وكان يقودهم في البرية ويحدثهم بواسطة كليمه موسى عن أرض الموعد التي سيعطيها لهم. فدعونا نتأمل بعض الآيات التي تشير إلى طريقة تفكيرهم الخاطئة.

ما هي المشكلة؟

"وتذَمَّرَ علَى موسَى وعلَى هارونَ جميعُ بَني إسرائيلَ، وقالَ لهُما كُلُّ الجَماعَة: "لَيتَنا مُتنا في أرض مصرَ، أو لَيتَنا مُتنا في هذا القَفر! ولِمَاذا أتَى بنا الرَّبُّ إلَى هَذه الأرض لنَسقُطَ بالسَّيف؟ تصَيرُ نساؤُنا وأطفالُنا غَنيمَةً. أَلَيس خَيرًا لنا أنْ نَرجعَ إلَى مصرَ؟" (عدد ١٤: ٢- ٣).

لاحظ الطريقة السلبية التي فكر بها بنو إسرائيل، ولاحظ تذمرهم واستعدادهم للاستسلام بمنتهى السهولة مفضِّلين العودة إلى العبودية على أن يواصلوا المسيرة في البرية حتى يصلوا إلى أرض الموعد. والحقيقة هي أنهم كانوا المشكلة في حد ذاتها.

الأفكار الخاطئة تولد مشاعر خاطئة

"ولم يَكُنْ ماءٌ للجَماعَة فاجتَمَعوا علَى موسَى وهارونَ. وخاصَمَ الشَّعبُ موسَى وكلَّموهُ قائلينَ: "لَيتَنا فنينا فناءَ إخوَتنا أمامَ الرَّبِّ. لماذا أتَيتُما بجَماعَة الرَّبِّ إلَى هذه البَرِّيَّة لكَيْ نَموتَ فيها نَحنُ ومَواشينا؟" (عدد ٢٠: ٢- ٤).

من السهل جدًّا أن نستشف من هذه الآيات عدم ثقة بني إسرائيل في الرب. كانت مشاعرهم سلبيةً تنم عن الفشل؛ لقد قرروا أن يفشلوا بسبب الظروف الصعبة التي اجتازوا فيها حتى قبل أن تنتهي الرحلة. كانت مشاعرهم وليدة طريقة تفكير خاطئة؛ فالمشاعر الخاطئة هي وليدة أفكار خاطئة.

عدم العرفان بالجميل

"وارتَحَلوا منْ جَبَل هور في طريق بحر سوف ليَدوروا بأرض أدومَ، فضاقَتْ نَفسُ الشَّعبِ (شعَروا بالفشلِ ونفد صبرهم)

في الطريق (بسبب مشاكل الطريق). **وتكلَّمَ الشَّعبُ علَى اللهِ وعلَى موسَى قائلِينَ: "لماذا أصعَدتُمانا منْ مصرَ لنَموتَ في البَرِّيَّة؟ لأنَّهُ لا خُبزَ ولا ماءَ، وقد كرِهَتْ أنفُسُنا الطَّعامَ السَّخيفَ"** (عدد ٢١: ٤– ٥).

بالإضافة إلى المشاعر الخاطئة التي شعر بها بنو إسرائيل في قلوبهم، كانوا غير شاكرين وغير معترفين بالجميل. لم يتوقفوا عن التفكير في المكان الذي جاءوا منه بدلاً من أن يفكروا في المكان الذي سيذهبون إليه.

وربما كنت سأقترح عليهم أن يفكروا في أبيهم إبراهيم الذي مر بتجارب كثيرة مخيِّبة للآمال، إلا أنه لم يسمح لها تؤثر سلبيًّا على رؤية مستقبله.

لا حياة مع النزاع

"فحَدَثَتْ مُخاصَمَةٌ بَينَ رُعاة مَواشي أبرامَ ورُعاة مَواشي لوط. وكانَ الكنعانيّونَ والفَرزِّيّونَ حينَئذ ساكنِينَ في الأرضِ. فقالَ أبرامُ للوط: «لا تَكُنْ مُخاصَمَةٌ بَيني وبَينَكَ، وبَينَ رُعاتي ورُعاتكَ، لأنَّنا نَحنُ أخَوان. أليستْ كُلُّ الأرض أمامَكَ؟ اعتَزِلْ عَنِّي. إنْ ذَهَبتَ شمالاً فأنا يَمينًا، وإنْ يَمينًا فأنا شمالاً». فرَفَعَ لوطٌ عَينَيه ورأى كُلَّ دائرَة الأردُنِّ أنَّ جميعَهَا سقيٌ، قَبلَما أخرَبَ الرَّبُّ سدومَ وعَمورَةَ، كَجَنَّة الرَّبِّ، كأرض مصرَ. حينَما تجيءُ إلَى صوغَرَ. فاختارَ لوطٌ لنَفسه كُلَّ دائرَة الأردُنِّ، وارتَحَلَ لوطٌ شَرقًا. فاعتَزَلَ الواحدُ عَنِ الآخَرِ" (تكوين ١٣: ٧- ١١).

عرف إبراهيم خطورة العيش في نزاع وصراع، فأخبر لوط بأنهما يجب أن يفترقا. وسمح إبراهيم للوط بأن يختار الأرض التي يود أن يسكن بها حتى يتجنب حدوث أي نزاع بينهما في المستقبل. فاختار لوط دائرة الأردن وهي الأفضل، واعتزل الواحد عن الآخر.

تذكر أن لوط لم يمتلك شيئًا إلا بعد أن باركه إبراهيم. كان من الممكن أن يفكر إبراهيم بطريقة مختلفة، إلا أنه لم يفعل؛ لأنه علم أن الرب سيباركه إن تصرف التصرفً السليم.

ارفع عينيك وانظر

"وقالَ الرَّبُّ لأبرامَ، بَعدَ اعتزال لوط عنهُ: «ارفَعْ عَينَيكَ وانظُرْ منَ المَوْضع الذي أنتَ فيه شَمالاً وجَنوبًا وشَرقًا وغَربًا، لأَنَّ جميعَ الأَرض التي أنتَ تَرَى لكَ أُعطيها ولنَسلكَ إلَى الأبد»" (تكوين ١٣: ١٤- ١٥).

كان إبراهيم في مكان أقل بعد أن اختار لوط المكان الأفضل، فطلب الرب من إبراهيم أن يرفع عينيه من على المكان الواقف فيه، وينظر المكان الذي سيعطيه له الرب.

لقد فكر إبراهيم بطريقة صحيحة حيال الموقف الذي مر به، ولهذا لم يستطِع إبليس أن يمنع عنه بَركات الرَّب. لقد بارك الرب ممتلكاته حتى أصبحت أكثر بكثير مما كانت عليه قبل اعتزاله عن لوط، كما باركه في كل شيء.

ولهذا، أنصحك بأن تنظر إلى المستقبل بإيجابية، منتظرًا الأفضل، وادعُ الأشياء غير الموجودة وكأنها موجودة (رومية ٤: ١٧). فكر في المستقبل، وتكلم عنه بطريقة إيجابية بحسب ما وضع الله في قلبك، و ليس بحسب ما حدث في ماضيك، أو الظروف التي تجتازها في حاضرك.

١٧
ليفعل شخصٌ آخر هذا الأمر؛ فأنا لا أريد أن أتحمل المسؤولية عقلية برية، تفكر بطريقة خاطئة (رقم ٢)

"وأخَذَ تارَحُ أبرامَ ابنَهُ، ولوطًا بنَ هارانَ، ابنَ ابنه، وسارايَ كنَّتَهُ امرأةَ أبرامَ ابنه، فخرجوا معًا منْ أورِ الكلدانيِّينَ ليَذهَبوا إلَى أرض كنَعَانَ. فأتَوْا إلَى حارَانَ وأقَاموا هناكَ"
(تكوين ١١: ٣١).

تُعرَّف "المسؤولية" بأنها التجاوب الذي نبديه تجاه قدرة الرب، والشخص المسؤول هو الذي يتجاوب مع الفرص التي يضعها الله في طريقه.

عندما عرض الرب على تارح أن يذهب إلى أرض كنعان كلفه بمسؤولية وأعطاه فرصةً للتجاوب مع قدرة الله، لكن تارح اختار أن يتوقف في حاران دون أن يكمل المسيرة.

كثيرًا ما نتحمس عندما يتحدث الرب إلى قلوبنا طالبًا منا القيام بأمر معيَّن، إلا أننا في معظم الأحيان نختار ألا نكمل المسيرة، مثلما فعل تارح؛ لأننا ندرك أن الأمر يتطلب أكثر من مجرد التحمس والانفعال.

إن كل أمر جديد يثير الحماس بداخلنا لأنه ببساطة أمر جديد، لكن الحماس لا يأخذنا إلى الصليب وخط النهاية.

يفعل مؤمنون كثيرون مثلما فعل تارح، فيبدأون من خط البداية، ولكنهم ينتهون في مكان آخر غير خط النهاية؛ فبالرغم من رغبتهم في القيام بهذه المهمة، فإنهم لا يريدون تحمل مسؤوليتها. وهكذا يأملون في أن يتبرع شخصٌ آخر بتحمل المسؤولية بينما يحصدون هم المجد لأنفسهم ولكن هذا لا يحدث.

لا يمكن إسناد المسؤولية الشخصية للغير

"وكانَ في الغَد أنَّ موسَى قالَ للشَّعب: "أنتُمْ قد أخطأتُمْ خَطيَّةً عظيمَةً، فأصعَدُ الآنَ إلَى الرَّبِّ لَعَلِّي أُكَفِّرُ خَطيَّتَكُمْ". فرَجَعَ موسَى إلَى الرَّبِّ، وقالَ: «آه، قد أخطأَ هذا الشَّعبُ خَطيَّةً عظيمَةً وصَنَعوا لأنفُسهِمْ آلهَةً مَنْ ذَهَب. والآنَ إنْ غَفَرتَ خَطيَّتَهُمْ، وإلا فامحُني مِنْ كِتابِكَ الذي كَتَبتَ»" (خروج ٣٢: ٣٠-٣٢).

لاحظت من قراءتي ودراستي للعهد القديم أن بني إسرائيل كانوا يرفضون تحمل مسؤولية أي شيء؛ فكان موسى يطلب الرب لأجلهم، حتى أنه كان يتوب نيابةً عنهم عندما يوقعون أنفسهم في مشاكل (خروج ٣٢: ١٤).

والأطفال عادةً هم الذين لا يتحملون المسؤولية، لكن عندما يكبر هذا الطفل لا بد أن يتحمل المسؤولية شيئًا فشيئًا. وعلى الآباء أن يعلموا أولادهم أن يقبلوا المسؤولية وهذا هو الدرس الذي يريد الله أن يعلمه لأولاده.

أعطاني الرب امتياز خدمته كل الوقت من خلال الإذاعة المحلية والتليفزيون وأعطاني فرصةً لأعظ بكلمة الله في كل الولايات المتحدة والبلاد الأخرى، ولكني أؤكد لكم أنه مع هذا الامتياز تأتي المسؤولية التي يتناساها كثيرون من المؤمنين؛ فالخدمة ليست مجرد اختبارات روحية ولكنها تحمُّل مسؤولية أيضًا.

يتطوع مؤمنون كثيرون للانضمام إلى هيئتنا معتقدين أنه امتياز لأي مؤمن أن يشترك في إحدى الخدمات المسيحية، ولكن سرعان ما يكتشفون أن عليهم القيام بالمهام المطلوبة منهم كما يتطلب أي عمل آخر؛ فعليهم أن يستيقظوا مبكرين ليصلوا في الموعد المحدد، وأن يكونوا خاضعين لمن هم أعلى منهم في السلطة. ولذلك أخبر كل من يرغب في الانضمام إلى فريق العمل أننا لا نعيش في السحب مرنمين "هللويا" طول الوقت، ولكننا نعمل ونعمل بجد واجتهاد؛ فعندما يعطينا الرب عملًا لنعمله، يجب أن نتقنه.

لا شك أنه امتياز كبير أن نشترك في خدمة الرب، ولكني أحاول توضيح الحقيقة للمتقدمين الجدد معلنةً لهم أننا نتوقع منهم أداءً متميزًا حتى عندما يخبو هذا الحماس.

اذهب إلى النملة

"اذهَبْ إلَى النَّملَة أيُّها الكَسلانُ. تأمَّلْ طُرُقَها وكُنْ حَكيمًا. التي ليس لَها قائدٌ أو عَريفٌ أو مُتَسَلِّطٌ، وتُعدُّ في الصَّيف طَعامَها، وتجمَعُ في الحَصاد أكلها. إلَى مَتَى تنامُ أيُّها الكَسلانُ؟ مَتَى تنهَضُ منْ نَوْمكَ؟ قَليلُ نَوْم بَعدُ قَليلُ نُعاس، وطَيُّ اليَدَين قَليلاً للرُّقود، فيأتي فقرُكَ كسَاعٍ وعَوَزُكَ كغازٍ" (أمثال ٦: ٦ـ ١١).

كانت سلبية الذهن وخموله أحد الأسباب التي أبقت بني إسرائيل في البرية أربعين سنة، مع أن الرحلة لم تكن لتستغرق أحد عشر يومًا.

وكم أحب هذا الجزء الكتابي الذي يلفت انتباهنا إلى النملة التي تجمع طعامها وطعام أسرتها دون أن يكون لها قائد أو عريف ليخبرها ماذا ينبغي أن تفعل.

إن الشخص الذي يدفعه آخر للقيام بمسؤوليته، لن يعمل أعمالًا عظيمة طوال حياته، كما أن الشخص الذي يفعل الصواب فقط عندما يوجد رقيب عليه لن ينجح أيضًا. يجب أن يكون الدافع نابعًا من الداخل وليس نتيجة مؤثر خارجي. علينا أن نعيش حياتنا كما للرب، عالمين أنه يرى كل شيء وسيجازينا إن فعلنا ما يطلبه منا.

كثيرون يُدعَون وقليلون يُنتَخبُون

"لأنَّ كثيرينَ يُدعَوْنَ وقَليلينَ يُنتَخَبونَ" (متى ٢٠: ١٦).

ذات مرة، سمعت أحد معلمي كلمة الله يقول إن هذه الآية تعني أن كثيرين يُدعَون لخدمة الرب ولكن قليلين منهم يرغبون في تحمل مسؤولية هذه الدعوة. كثيرون يتمنون، لكنهم لا يفعلون شيئًا لتحقق أمانيهم. يريد أصحاب العقلية البرية، التي تفكر بطريقة خاطئة أن يمتلكوا كل شيء دون أن يفعلوا شيئًا.

قُم واعبر

"وكانَ بَعدَ موت موسَى عَبد الرَّبِّ أنَّ الرَّبَّ كلَّمَ يَشوعَ بنَ نونٍ خادمَ موسَى قائلاً: "موسَى عَبدي قد ماتَ. فالآنَ

قُمُ اعبُرْ هذا الأُردُنَّ أنتَ وكُلُّ هذا الشَّعب إلَى الأرض التي أنا مُعطيها لهُمْ (أي لبني إسرائيل) **كُلَّ مَوْضع تدوسُهُ بُطونُ أقدامكُمْ لكُمْ أعطَيتُهُ، كما كلَّمتُ موسَى**" (يشوع ١: ١-٣).

قال الرب ليشوع إن موسى قد مات. وإن على يشوع أن يحل محله ليقود الشعب عبر نهر الأردن إلى أرض الموعد. ويالها من مسؤولية كبيرة بالنسبة ليشوع!

ويالها من مسؤولية كبيرة تقع على عاتق كلٍّ منا أن نخبر الآخرين عن ميراثنا الروحي الذي لنا في المسيح! ولكننا لن نحظى بامتياز خدمة العلي بالروح القدس إن كنا غير مستعدين لتحمل المسؤولية بكل جدية.

إنه الوقت المناسب

"**مَنْ يَرصُد الرِّيحَ** (منتظرًا أن تعتدل حالة الطقس) **لا يَزرَعْ، ومَنْ يُراقبَ السُّحُبَ لا يَحصُد**" (جامعة ١١: ٤).

في عام ١٩٩٣، طلب الرب مني أنا وزوجي أن نخدمه عن طريق برنامج تليفزيوني قائلًا: "ها أنا أعطيكما فرصةً لخدمتي عن طريق التليفزيون. ولكن إن لم تنتهزا الفرصة الآن فلن تأتي مرةً أخرى". فإن لم يخبرنا الرب بأن علينا انتهاز الفرصة في ذلك الوقت، لكنا أجلنا الموضوع لوقت لاحق.

كانت التسع سنوات السابقة مرحلةً لولادة خدمة عدد أكبر من الناس، وهي فرصة كنا نحلم بها ونشتاق إلى تحقيقها بكل قلوبنا، ولكنها كانت تتطلب تحمُّل المزيد من المسؤولية بعد أن استقرت أمور الخدمة.

وكثيرًا ما نفكر في تأجيل الأمر عندما يطلب منا الرب أن نقوم بشيء معين إلى أن يحين الوقت المناسب (أعمال ٢٤: ٢٥) ونفضل الانتظار حتى تستقيم الأمور أو تقل التكلفة. ولكني أشجعك أن تكون الشخص الذي لا يهاب المسؤولية؛ فالمقاومة تولِّد القوة. ولكن إن فعلت كل ما هو سهل وميسَّر، فستظل ضعيفًا. يتوقع الله منا أن نتحمل المسؤولية، ونرعى ونهتم بكل ما يعطيه لنا حتى يثمر. فتحمُّل المسؤولية يعني استخدام المواهب التي أعطاها لنا وائتمننا عليها.

كن مستعدًّا

"فاسهَروا إذًا (انتبهوا جيدًا) لأنَّكُمْ لا تعرفونَ اليومَ ولا السّاعَةَ التي يأتي فيها ابنُ الإنسان" (متى ٢٥: ١٣).

يعلمنا الإصحاح ٢٥ من إنجيل متى الأشياء التي يجب أن نفعلها أثناء انتظار عودة المسيح؛ فيحكي لنا في أوله عن العذارى الخمس الحكيمات والعذارى الخمس الجاهلات. ويخبرنا بأن الجاهلات لم يرغبن في فعل شيء لكي يتأكدن من استعدادهن لملاقاة العريس، بل واكتفين بفعل الأقل بقليل، ولم يذهبن الميل الثاني، وأخذن ما يكفي فقط لملء مصابيحهن بالزيت. أما الحكيمات فلم يكتفين بعمل المفروض بل وكن مستعدات بزيت إضافي يكفي لفترة انتظار طويلة.

وعندما جاء العريس وجدت العذارى الجاهلات أن مصابيحهن تنطفئ، فطلبن من الحكيمات أن يعطيهن من زيتهن. وهذا ما يفعله الشخص الكسول الذي يؤجل عمل الأشياء، فيطلب من الذي يتحمل المسؤولية أن يحمل المسؤولية نيابةً عنه.

استعمل الوزنات التي أعطاها لك الرب

"أيُّها العَبدُ الشِّرِّيرُ والكَسلانُ" (متى ٢٥: ٢٦).

يسجل لنا إنجيل متى قصة ثلاثة عبيد مضى سيدهم إلى بلد بعيدة بعد أن سلمهم بعض الوزنات، وتوقع أن يستثمروها أثناء غيابه؛ فتاجر صاحب الوزنات الخمس وربح خمس وزنات أخرى، كما تاجر صاحب الوزنتين وربح وزنتين أخريين. أما صاحب الوزنة الواحدة فطمرها في الأرض لأنه خاف أن يفعل شيئًا. لقد كان خائفًا من المسؤولية.

ولما عاد السيد كافأ صاحب الخمس وزنات وصاحب الوزنتين لأنهما اشتغلا، أما الذي طمر وزنته في الأرض ولم يفعل شيئًا فقال له: "أيُّها العَبدُ الشِّرِّيرُ والكَسلانُ" ثم أمر أن تؤخذ الوزنة منه وتُعطى لصاحب الوزنات العشر، وأن يوقعوا العقاب على العبد الكسلان.

لذلك أشجعك على أن تتجاوب مع المقدرة التي وضعها الله بداخلك؛ أن تفعل كل ما تستطيع بها حتى تُرَد للسيد عندما يعود فوق الوزنة التي أعطاها لك؛ فإن الله يريد أن تمتلئ حياتنا بالثمر (يوحنا ١٥: ١٦).

ملقين كل همكم غير تاركين مسؤولياتكم

"فتَواضَعوا تحتَ يَد الله القَويَّة لكَيْ يَرفَعَكُمْ في حينه، مُلقينَ كُلَّ هَمِّكُمْ علَيه، لأَنَّهُ هو يَعتَني بكُمْ" (١ بطرس ٥: ٦، ٧).

لا تخشَ المسؤولية! تعلم أن تلقي همك على الرب دون أن تترك مسؤوليتك؛ فبعض الناس لا يقلقهم شيء حتى أنهم أصبحوا خبراء في إلقاء الهم على الرب، وهذا أمر جيد، ولكنهم يتركون مسؤوليتهم أيضًا.

اعزم على أن تفعل كل ما يأمرك به الرب، ولا تهرب من التحديات التي يضعها أمامك، وتذكر دائمًا أنه لا توجد بركة بدون مسؤولية. فإن استجاب الله صلواتك التي رفعتها له فيجب أن تتحمل المسؤولية التي تأتي معها. فإن باركك الله بسيارة أو بيت فهو يتوقع منك أن تهتم وتعتني بهما. وعندما يهاجمك إبليس بمشاعر الكسل والخمول، تذكر أن لك فكر المسيح. قاوم تلك المشاعر وافعل ما تراه صوابًا. من السهل أن يطلب المرء أمرًا معينًا من الرب، ولكن تحمُّل المسؤولية هو الذي يبني الشخصية.

في إحدى السنين حاولت إقناع زوجي بأن يشتري لنا بيتًا في مكان خلوي نذهب إليه لقضاء العطلات والصلاة والدراسة والاستجمام بعيدًا عن كل شيء. وكنت أقول له: "كم سيكون رائعًا أن نتملك منزلًا مثل هذا! وكم سيكون ممتعًا لأولادنا وأحفادنا! ويمكننا استغلاله كمكانٍ يجتمع فيه المسؤولون عن الخدمة لمناقشة أعمالهم والصلاة".

بدا الأمر رائعًا بالنسبة لي وتحمست جدًّا للفكرة، إلا أن زوجي كان يخبرني بكل الأشياء التي كان علينا القيام بها للاعتناء بهذا المنزل. وقال لي إننا مشغولون بما فيه الكفاية حتى أننا لا نملك الوقت لتحمل مسؤولية امتلاك منزل آخر. وقال إننا سنكون أفضل حالًا إن استأجرنا منزلًا كلما احتجنا إليه بدلًا من أن نتحمل مسؤولية الاعتناء بمنزل آخر.

كنت أنظر للأمر بمشاعري أما زوجي فنظر إليه بمنظور عملي. وفي كل مرة تتخذ قرارًا يجب أن تنظر للموضوع من الناحيتين. يجب أن تفكر في الامتيازات والنفع الذي سيعود عليك، دون أن تنسى المسؤولية التي ستقع على عاتقك للاهتمام به. إن فكرة امتلاك منزل في مكان خلوي هي فكرة

رائعة لمن يمتلكون الوقت للعناية به. كنت أعلم هذه الحقيقة، ولكن بالرغم من ذلك كنت أحاول إقناع زوجي لمدة عام كامل بشرائه.

وكم أنا مسرورة الآن لأنه ظل ثابتًا على رأيه ولم يقتنع بوجهة نظري! فمن المؤكد أننا كنا سنبيعه بعد فترة؛ لأننا لا نمتلك الوقت الكافي للعناية به. وبعد فترة، قام أحد أصدقائنا بشراء منزل خلوي وسمحوا لنا باستخدامه كلما احتجنا إليه.

فإن كنت حكيمًا، ستجد أن الله يسد احتياجك. من له فكر المسيح يسلك بالحكمة وليس المشاعر. لذلك تحمل المسؤولية.

١٨
يارب يسِّر لـي الأمور؛ فأنا لا أستطيع تحمُّل الصعاب
عقلية برية تفكر بطريقة خاطئة (رقم ٣)

"إنَّ هذه الوَصيَّةَ التي أوصيكَ بها اليومَ ليستْ عَسِرَةً عليكَ ولا بَعيدَةً منكَ" (تثنية ٣٠: ١١).

تتشابه طريقة التفكير هذه مع طريقة التفكير التي ذكرناها في الفصل السابق، ولكن بسبب انتشارها بين مؤمنين كثيرين، فقد خصَّصت لها فصلاً كاملاً.

إنها أكثر المبررات انتشارًا بين المؤمنين داخل مجموعات الصلاة؛ فكثيرًا ما يتقدم إليَّ أفراد يطلبون المشورة والصلاة لأجل أمر معيَّن، ويعبِّرون عن صعوبة ما تقوله كلمة الله أو ما يقودهم الروح القدس لفعله، فيقولون مثلاً: "نحن نعلم أن ما تقولينه هو الصواب، فلقد أعلن لي الرب نفس الشيء، ولكن الأمر في غاية الصعوبة".

يحاول إبليس أن يزرع هذه العبارة في أذهان المؤمنين حتى يستسلموا؛ فمنذ عدة سنوات أعلن لي الرب هذا الحق وأمرني بأن أتوقف عن الحديث عن مدى صعوبة كل شيء أقوم به. مؤكدًا لي أنه إن فعلت ستصبح الأمور أكثر يسرًا وسهولة.

وكم سيكون الأمر سهلاً إن توقفنا عن التفكير والحديث عن مدى صعوبة ما نقوم به طالما قررنا أن نواصل المسيرة! فلنكن إيجابيين لا سلبيين.

من خلال قراءتي ودراستي لكلمة الله، أدركت الطريقة التي يريدني أن أسلك بها، ولأنها طريقة تختلف كل الاختلاف عن الطريقة التي كنت أعيش بها، كنت أقول دائمًا: "يارب، أريد أن أعمل كل ما تأمرني به، ولكن الأمر في غاية الصعوبة!" فقادني الرب لـ (تثنية ٣٠: ١١) حيث يقول إن وصاياه ليست عسرةً ولا بعيدةً عنا. لقد أعطانا الله الروح القدس حتى يعمل بقوة في حياتنا ويعيننا في كل ما يوصينا الرب به، ولهذا السبب نستطيع أن نقول إن وصاياه ليست عسرةً أو صعبةً علينا.

المعين والمعزِّي

"وأنا أطلُبُ منَ الآب فيُعطيكُمْ مُعَزِّيًا (معينًا، مشيرًا، معلمًا، معضدًا) **آخَرَ ليَمكُثَ معكُمْ إلى الأبد"** (يوحنا ١٤: ١٦).

تصبح وصايا الله صعبةً عندما نحاولَ اتباعها دون الاتكال والاعتماد على نعمة الله؛ فإن كان كل شيء في الحياة سهلًا، لن نحتاج لقوة الروح القدس لتعيننا وتعضِّدنا. تقول كلمة الله عن الروح القدس إنه المعزي والمعين الساكن فينا، والذي يساعدنا ويعضِّدنا للقيام بما لا نستطيع أن نقوم به من أنفسنا ويسهل الصعاب أمامنا.

الطريق السهل والطريق الصعب

"وكانَ لَمّا أطلَقَ فرعَوْنُ الشَّعبَ أنَّ اللهَ لم يَهدهمْ في طريق أرض الفلسطينيِّينَ مع أنَّها قريبَةٌ، لأنَّ الله قالَ: "لئلا يَندَمَ الشَّعبُ إذَا رأَوْا حَربًا ويَرجعوا إلى مصرَ" (خروج ١٣: ١٧).

تأكد أن الرب قادر أن يحفظَك في أيَ مكان يقودك لتذهب إليه، وهو لا يسمح أبدًا أن نجوز في ما لا نستطيع أن نتحمله (١ كورنثوس ١٠: ١٣).

وهو يدفع دائمًا حساب ما يطلبه منا. فإن تعلمنا الاتكال عليه وفَّرنا على أنفسنا متاعب كثيرة. إن طلب منك الرب القيام بأمر معيَّن، لا تتراجع عندما تزداد الأمور صعوبةً، بل اعزم على قضاء وقت أطول مع الرب، واتكل عليه بكل قلبك، واقبل النعمة من يديه (عبرانيين ٤: ١٦).

والنعمة هي قوة الله المعطاة لك مجانًا، وهي التي تساعدك لتقوم بما لا تستطيع عمله بقوتك الشخصية، فلا تقل أبدًا: "لا أقدر أن أقوم بهذا الأمر

لأنه صعب جدًّا".

يقودنا الرب أحيانًا في طريق صعب لأنه يريد أن يجري تغييرًا في حياتنا ليعمل بنا. كيف إذًا سنتعلم الاتكال على الرب إن كان كل شيء في الحياة سهلًا نستطيع التعامل معه بأنفسنا؟

لقد قاد الرب بني إسرائيل في طريق صعب طويل ليعلمهم أن يتحلَّوا بالشجاعة استعدادًا للمعارك التي سيواجهونها عندما يدخلون أرض الموعد. ويعتقد البعض أنه بدخول أرض الموعد ستتوقف الحروب، إلا أن هذا ليس صحيحًا؛ فعندما نقرأ ما سجَّله لنا الوحي عن رحلة بني إسرائيل بعد أن عبروا الأردن وذهبوا لامتلاك الأرض التي وعدهم بها الرب، سنجد أنهم خاضوا حربًا تلو الأخرى ولكنهم انتصروا فيها جميعًا لأنهم خاضوها بقوة الله وبحسب أمره.

لقد قادهم الله في طريق صعب طويل بالرغم من وجود طريق أقصر وأسهل؛ لأنه كان يعلم أنهم غير مستعدين للمعارك التي سيواجهونها لامتلاك الأرض، فيتراجعون ويعودون إلى أرض مصر بمجرد أن يروا الأعداء. ولذلك قادهم في الطريق الصعب حتى يعرفوا حقيقة الإله الذي يقودهم، ويتأكدوا أنهم لا يقدرون أن يتَّكلوا على أنفسهم.

عندما يمر الإنسان بأوقات عصيبة يميل ذهنه إلى الاستسلام. وإبليس يعلم جيدًا أنه يستطيع أن يجعلنا نشعر بالهزيمة إن نجح في هزيمة عقولنا. ولهذا يجب ألا نخاف أو نفشل أو يصيبنا الإعياء.

تمسَّك جيدًا

"فلا نَفشَلْ في عَمَل الخَير لأنَّنا سنَحصُدُ في وقته إنْ كُنّا لا نَكلُّ" (غلاطية ٦: ٩).

يشيرَ الفشل والإعياء إلى استسلام الذهن لعمل إبليس، لذلك يحثنا الروح القدس ألا نستسلم بأذهاننا؛ لأننا إن تمسكنا جيدًا فسنحصد خيرًا وفيرًا.

فكر في المسيح؛ فبعد أن اعتمد بالروح القدس قاده الروح إلى البرية ليجربه إبليس، لكنه لم يشكُ ولم يفشل أو يكتئب، ولم يفكر في أن يقول كلمات سلبية، ولم يتساءل لماذا حدث له مثل هذا الأمر. لقد اجتاز المسيح

كل اختبار وكل تجربة بنجاح.

لم يتجول المسيح في البرية طوال الأربعين يومًا يشكو من صعوبة التجربة التي سمح له الرب أن يجوز فيها، لكنه استمد قوته من أبيه السماوي فخرج منتصرًا (لوقا ٤: ١-١٣).

فهل تتخيل المسيح يتجول شرق البلاد وغربها مع تلاميذه ليحكي لكل من يقابله عن صعوبة كل شيء في الحياة؟ وهل سمعته ذات مرة يحكي للآخرين عن مدى صعوبة الموت على الصليب، أو كم كان يخشى ماً تحمله له الأيام، أو عن المعاناة التي كان يعيشها دون أن يكون له بيت دافئ يحميه من برد الشتاء وحر الصيف؟

لقد تعلمت ألا أتحدث عن المصاعب التي تقابلني أثناء تجوالي في البلاد للوعظ برسالة الإنجيل، وتعلمت ألا أشكو من مدى صعوبة النوم في أماكن مختلفة، وتناول أطعمة لم أعتَد عليها، والابتعاد عن موطني الأصلي، والتقابل مع أشخاص لا بد من أن أتركهم بمجرد أن أعتاد عليهم.

نستطيع أن نتعامل مع المواقف والأمور بنفس الطريقة التي تعامل بها المسيح؛ لأن لنا فكر المسيح، وذلك عندما نفكر في النصرة وليس في الاستسلام.

بعد المعاناة يأتي النجاح

"فإذ قد تألَّمَ المَسيحُ لأجلنا بالجَسَد، تسَلَّحوا أنتُمْ أيضًا بهذه النِّيَّة. فإنَّ مَنْ تألَّمَ في الجَسَد، كُفَّ عن الخَطيَّة، لكَيْ لا يَعيشَ أيضًا الزَّمانَ الباقيَ في الجَسَد، لشَهَواتِ الناسِ، بل لإرادَةِ الله" (١ بطرس ٤: ١-٢).

يعلن لنا الرب في الآيتين السابقتين الطريقة التي تمكِّننا من اجتياز الصعاب، وإليك تعليقي حول هاتين الآيتين:

فكر في كم المعاناة التي اجتاز فيها المسيح، وكيف تحمَّل الآلام الجسدية، وستجد نفسك قادرًا على اجتياز الصعاب التي تمر بحياتك. سلِّح نفسك استعدادًا للمعركة واستعد للانتصار بالتفكير فيما فعله المسيح. فمن الأفضل أن تتحمل الألم بصبر على أن تُحزن قلب الله؛ لأنك إن تعلمت أن تتحمل الألم بفكر المسيح ستتعلم أن تعيشَ لا لكي ترضي ذاتك، تعمل كل ما يحلو لك، هاربًا من كل أمر صعب، وستتعلم أن تعيش لإرادة الله، لا

بحسب شهوات الجسد وأفكاره. وتذكر أنك ستواجه معاناةً في الجسد يجب أن تحتملها حتى تفعل مشيئة الله.

إن جسدي لا يفضل السفر المتكرر بحكم خدمتي لتعليم كلمة الله، ولكني أعلم أن هذه مشيئة الله لحياتي، لذلك أسعى لتحقيقها عن طريق التسلح بطريقة التفكير الصحيحة، وإلا سينجح إبليس في هزيمتي قبل أن تبدأ الحرب.

وربما يكون هناك شخص في حياتك لا ترغب في الاقتراب منه، ولكنك تعلم أن إرادة الله لحياتك هي أن تلتصق بهذا الشخص وألا تتهرب منه. فبالرغم من معاناتك على المستوى الجسدي، فإنك تستطيع أن تسلح نفسك بالتفكير الصحيح للقيام بالمهمة التي يصعب عليك القيام بها بالجسد.

الاكتفاء في المسيح

"أعرفُ أنْ أتَّضعَ وأعرفُ أيضًا أنْ أستَفضلَ. في كُلِّ شَيءٍ وفي جميعِ الأشياءِ قد تدَرَّبتُ أنْ أشبَعَ وأنْ أجوعَ، وأنْ أستَفضلَ وأنْ أنقُصَ. أستَطيعُ كُلَّ شَيءٍ في المَسيحِ الذي يُقَوِّيني (أنا قادر على مواجهة أي شيء في المسيح الذي يعطيني القوة والقدرة دون أن أحتاج لمعونة أحد)" (فيلبي ٤: ١٢- ١٣).

التفكير السليم هو سلاحنا في المعركة، أما التفكير الخاطئ فيشبه الذهاب للحرب والتصدي للعدو في الصفوف الأولى بدون سلاح. فإن فعلنا هذا فلن نصمد طويلًا.

كان بنو إسرائيل شعبًا متمردًا، فداروا في البرية أربعين سنة كانوا يتذمرون على الصعاب التي يواجهونها، وعلى التحديات التي يضعها الله في طريقهم. كانت عقليتهم من النوع الذي يتمنى الحصول على كل شيء بسهولة وبدون مجهود، وكانوا يرفضون القيام بأي شيء يبدو صعبًا. لقد لاحظت مؤخرًا أن هناك مؤمنين كثيرين يرتلون أيام الآحاد ولكنهم يتذمرون بقية الأسبوع؛ ففي أيام الآحاد يتكلمون بإيجابية مع أصدقائهم في الكنيسة، ولكن بحلول يوم الاثنين عندما يحين موعد تطبيق ما تحدثوا عنه، يفشلون في أول اختبار. فإن كنت من النوعية التي تشكو وتتذمر، تستطيع أن تغير طريقة تفكيرك قائلًا: "أستَطيعُ كُلَّ شَيءٍ في المَسيحِ الذي يُقَوِّيني" (فيلبي ٤: ١٣).

١٩
لقد خرج زمام الأمر من يدي
لقد اعتدت أن أتذمر وأشكو
وأبحث عن عيوب الآخرين!
عقلية برية تفكر بطريقة خاطئة (رقم ٤)

"لأنَّ هذا فضلٌ (مقبول ومشكور) إنْ كانَ أحَدٌ منْ أجل ضَمير نَحوَ الله، يَحتَملُ أحزانًا مُتألمًا بالظُّلم. لأنَّهُ أيُّ مَجدَ هو إنْ كنتُم تُلطَمونَ مُخطئينَ فتصبرونَ؟ بلَ إنْ كنتُم تتألَّمونَ عاملينَ الخَيرَ فتصبرونَ، فَهذا فضلٌ عندَ الله" (١ بطرس ٢: ١٩- ٢٠).

لن نتحرر إن لَم نتعلم كيف نعطيَ المجدَ والكرامة للّه في أذهاننا وقلوبنا أثناء التجارب؛ فالتجارب لا تمجد اللّه، ولكن الإيجابية في موقف واتجاه قلب الإنسان أثناء التجارب هي ما تُسر قلب اللّه وتمجد اسمه. ولكي ندرك ما أراد اللّه أن يعلمه لنا من هاتين الآيتين يجب أن نقرأ كل جزء فيهما بتأنٍّ.

ولا أخفي سرًّا إن قلتُ إنى كثيرًا ما قرأتهما وتساءلت: "لماذا يريدنا اللّه أن نتألم بينما حمل المسيح أوجاعنا وأحمالنا على الصليب (إشعياء ٥٣: ٣-٦)؟"٣

وبعد سنوات، أدركت أن جوهر هاتين الآيتين لم يكن الألم والمعاناة، وإنما اتجاه قلبِ الإنسان وموقفه أثناء أوقات الألم.

لاحظ كلمة "بصبر" التي استخدمها الرسول في هذا الجزء، وكأنه يقول إنه أمر مُلذ لقلب اللّه أن نصبر على من يعاملنا معاملةً قاسيةً؛ فالألم لا يسر قلبِ اللّه، وإنما يسره الصبر على الألم ولكي نتشجع في المسيح إذ نرى كيف ظُلِم دون أن يفتح فمه.

المسيح مثالنا

"لأَنَّكُمْ لهذا دُعيتُمْ. فإنَّ المَسيحَ أيضًا تألَّمَ لأجلنا، تاركًا لنا مثالاً لكَيْ تتَّبعوا خُطواته. «الذي لم يَفعَلْ خَطيَّةً، ولاَ وُجِدَ فِي فمه مَكرٌ»، الذي إذ شُتِمَ لم يَكُنْ يَشتِمُ عوَضًا، وإذ تألَّمَ لم يَكُنْ يُهَدِّدُ بل كانَ يُسَلِّمُ لمَنْ يَقضي بعَدلٍ" (١ بطرس ٢: ٢١. ٢٣).

تألم المسيح كثيرًا دون أن يتكلم أو يشكو، واثقًا في أمانة الله كل حين بالرغم من الظروف المحيطة به؛ فهو لم يصبر على السهل ويتذمر على الصعب والظلم، بل صبر على كل شيء.

والمسيح هو مثالنا الذي يجب أن نتبعه، فقد جاء ليعلمنا كيف نسلك ونعيش؛ فطريقة حياتنا تشهد للناس عنه، كما أننا نُعلِّم أولادنا كيف يقتفون أثر خطواتنا عندما نكون مثلاً أعلى لهم. علينا أن نكون رسالةً حيةً مقروءة من جميع الناس (٢ كورنثوس ٣: ٢، ٣) فنضيء كأنوار في عالم مظلم.

دُعينا لنسلك بتواضع ووداعة وطول أناة

"فأطلُبُ إلَيكُمْ، أنا الأسيرَ في الرَّبِّ: أنْ تسلُكوا كما يَحقُّ للدَّعوَة التي دُعيتُمْ بها. بكُلِّ تواضُع ووَداعَة وبطول أنَاة، مُحتَمِلِينَ بَعضُكُمْ بَعضًا في المَحَبَّة" (أفسس ٤: ١- ٢).

لتوضيحَ هذه الآية، إليك أحد المواقفَ التي حدثت مع عائلتي منذ زمنٍ طويل لتوضح أهمية السلوك بتواضع ووداعة وطول أناة.

عاد ابني دانيال من رحلة جمهورية الدومنيكان مصابًا بحمى شديدة ظهرت في صورة طفح جلدي على ذراعيه، وأكد الأطباء هناك أنها أحد أنواع التسمم الخاصة بهذه البلد. وبدا دانيال في حالة صحية سيئة، فأردنا أن نتأكد من صحة التشخيص، وقامت ابنتي بالاتصال بطبيب العائلة لتحديد موعد لزيارته، وشرحت الحالة لموظف الاستقبال، وقالت إنها أخته وإنها سوف ترافقه لزيارة الطبيب كنا في ذلك الوقت في غاية الانشغال وهكذا ابنتي أيضًا وبعد أن قادت السيارة خمس وأربعين دقيقة، وصلت لعيادة الطبيب لتجد الممرضة تقول لها "أعتذر لك يا سيدتي، ولكن سياسة العيادة لا تسمح بقبول مرضى دون مرافقة ذويهم" فشرحت لها

ابنتي اتصال الأمس وأنها عادةً تذهب بأخيها إلى الطبيب بسبب انشغال الوالدين بالسفر المستمر. إلا أن الممرضة أصرت أن يأتي ولي الأمر.

كان من الممكن أن تغضب ابنتي وتثور، بعد أن تحملت عبء توصيل أخيها لعيادة الطبيب بالرغم من انشغالها بأمور أخرى، وفكرت في رحلة العودة التي تستغرق خمس وأربعين دقيقة، وشعرت بأن ما فعلته لم يكن ذا فائدة. ولكنها طلبت من الله أن يعينها لتظل هادئةً وديعةً مُحبَّةً، واتصلت بوالدها الذي كان في زيارة لوالدته، فأخبرها أنه سيتولى الأمر بنفسه.

شعر زوجي في صباح ذلك اليوم بالروح القدس يقوده أن يمر على مكتب الخدمة ليأخذ بعض الكتب التي قمت بتأليفها وبعض شرائط الكاسيت دون أن يعلم السبب، ولكنه شعر بروح الله يقوده ليفعل ذلك. وعندما وصل لعيادة الطبيب قابلته المسؤولة عن تسجيل أسماء المرضى وسألته إن كان هو زوج الواعظة المشهورة جويس ماير. فأجابها بالإيجاب. وعندئذ أخبرته أنها تشاهدني كثيرًا في التليفزيون وأنها كثيرًا ما سمعت عنا. وبعد حديث قصير أهداها زوجي كتابًا يتحدث عن شفاء المشاعر. فماذا كان يحدث لو فقدت ابنتي أعصابها ونفد صبرها؟ هل سيكون لشهادتها أثر على حياة الناس؟ من المؤكد أنها كانت ستعثر هذه السيدة التي كانت تشاهدني في التليفزيون عندما ترى سلوك ابنتي السيئ.

يبحث كثيرون من أهل العالم عن الله، ولهذا يجب أن تكون حياتنا قبل كلماتنا شهادةً حيةً عن المسيح. من المهم أيضًا أن نشارك الآخرين بالأخبار السارة ولكن لا يجب أن ننفي ما نشهد عنه بأفعالنا التي لا تمجد الله بل تجلب العار على اسمه. لقد احتملت ابنتي هذا الموقف بصبر وطول أناة وهذا هو ما تدعونا إليه كلمة الله.

احتمل يوسف الألم بصبر

"أرسَلَ أمامَهُمْ رَجُلاً. بيعَ يوسُفُ عَبدًا. آذَوْا بالقَيد رجلَيه. في الحَديد دَخَلَتْ نَفسُهُ، إلَى وقت مَجيء كلمَته. قَوْلُ الرَّبِّ امتَحَنَهُ" (مزمور ١٠٥: ١٧-١٩).

لنأخذ يوسف كمثال من العهد القديم لاحتمال الألم والظلم الذي أوقعه عليه إخوته؛ لقد باعوهُ عبدًا وأخبروا والدهم بأن وحشًا رديًّا افترسه. ثم

اشتراه رجل غني يُدعَى فوطيفار ليكون عبدًا له. لكن الرب أعطى نعمةً ليوسف أينما ذهب، وسرعان ما وكله فوطيفار على كل بيته. وبارك الرب بيت فوطيفار بسبب يوسف، إلا أنه ظُلم مرةً أخرى عندما اشتهته زوجة فوطيفار وأرادت أن يضطجع معها، فأبى يوسف لأنه كان يخاف الله... وبمكيدتها حُكم عليه بالسجن متَّهمًا بما لم يفعله. حاول يوسف مساعدة الآخرين أثناء وجوده في السجن ولم يتذمر أو يشكو؛ لأنه كان يعرف كيف يتعامل مع آلامه. وبعد وقت طويل، نال نعمةً في عيني فرعون حتى أنه لم يوجد أعظم منه في كل أرضِ مصر سوى فرعون نفسه.

رد الرب ليوسف اعتباره أمام إخوته عندما أتوا إليه طلبًا للطعام أثناء المجاعة التي حلت بالبلاد. ومرة أخرى أظهر يوسف مشاعر تليق بابن لله عندما أحسن معاملتهم بالرغم من كل ما فعلوه به، وأخبرهم أنهم قصدوا به شرًّا ولكن الرب حوَّل هذا الشر للخير (انظر تكوين ٣٩- ٥٠).

عاقبة التذمر والشكوى

"**ولا نُجَرِّب المَسيحَ** (نمتحن صبره ونتذمر على ما يعطينا طاعنين في صلاحه) **كما جَرَّبَ أيضًا أُناسٌ منهُمْ، فأهلكَتهُمُ الحَيّاتُ** (كما نقرأ في عدد ٢١: ٥، ٦) **ولا تتذَمَّروا كما تذَمَّرَ أيضًا أُناسٌ منهُمْ، فأهلكَهُمُ المُهلكُ** (كما نقرأ في عدد ١٦: ٤١، ٤٩) **فهذه الأُمورُ جميعُها أصابَتهُمْ مثالاً، وكُتِبَتْ لإنذارنا نَحنُ الذينَ انتَهَتْ إلَينا أواخِرُ الدُّهورِ**" (١ كورنثوس ١٠: ٩- ١١).

من حديث بولس الرسول إلى أهل كورنثوس نرى الاختلاف الواضح بين ما فعله يوسف وما فعله بنو إسرائيل. لم يشكُ يوسف ولم يتذمر، أما بنو إسرائيل فلم يفعلوا شيئًا سوى التذمر على كل شيء لا يأتي على هواهم. ويحذرنا الكتاب المقدس بصفةٍ خاصةٍ من التذمر والشكوى والبحث عن أخطاء الآخرين.

والرسالة التي يريد الله أن ينقلها لنا من هذه الآيات هي أن تذمر بني إسرائيل على الرب فتح الباب أمام إبليس للدخول حتى يهلكهم. كان عليهم أن يشكروا الرب من أجل صلاحه معهم ولكنهم لم يفعلوا، فدفعوا الثمن

غاليًا.وتخبرنا كلمة الله أن هذه الأمور كُتبت حتى نعرف العواقب التي ستلحق بنا إن سلكنا كما سلكوا، فلا تخرج كلمات شكوى وتذمر من أفواهنا إلا بعد أن تكون قد تبلورت في أذهاننا. ولا شك أن التذمر هو أحد سمات العقلية البرية التي تفكر بطريقة خاطئة، فتعيقنا عن العبور للجانب الآخر من النهر للوصول إلى أرض الموعد.

يجب أن نتشبه بيسوع ونفعل مثلما فعل. لقد تذمر بنو إسرائيل وكانت النتيجة أنهم بقوا في البرية. أما المسيح فسبح الآب ومجده، فأقامه من الأموات.

من خلال المقارنة السابقة نرى قوة التسبيح والشكر وخطورة التذمر والشكوى. نعم هناك قوة في التذمر والشكوى والبحث عن أخطاء الآخرين ولكنها قوة سلبية؛ ففي كل مرة تستسلم أذهاننا وأفواهنا لأيٍّ منها نعطي إبليس حق الدخول إلى حياتنا، وهو حق لم يمنحه له الرب.

لا تتذمر ولا تشكُ
ولا تبحث عن أخطاء الآخرين

"افعَلوا كُلَّ شَيءٍ بلا دَمدَمَة (بلا تذمر على الله) **ولا مُجادَلَة** (شك في بعضكم البعض) **لكَيْ تكونوا بلا لوم، وبُسَطاءَ، أولاداً لله بلا عَيب في وسط جيل مُعَوَّج ومُلتَوٍ، تُضيئُونَ بَينَهُمْ كأنوارٍ في العالَم"** (فيلبي ٢: ١٤- ١٥).

أحيانًا نشعَر وكأن العالم كله يشكو ويتذمر، ولا يوجد من يقدم الشكر والتقدير والعرفان بالجميل؛ فالناس يتذمرون على وظائفهم، ويشكون من رؤسائهم، في الوقت الذي يجب أن يكونوا فيه شاكرين لأن لهم عملًا ثابتًا، وأنهم لا يسكنون في مساكن الإيواء.

كم من فقراء يتمنون أن تكون لهم وظيفة ثابتة بالرغم من كل الصعوبات التي ستواجههم فيها! وكم سيكونون شاكرين لوجود دخل مادي ثابت، حتى لو كان رئيسهم في العمل شخصية متسلطة! وكم سيستمتعون بالسكن في منزل خاص بهم! ربما تكون في حاجة إلى وظيفة أفضل براتب أكبر، وربما تعاني من ظلم رئيسك في العمل. ولكنّ تأكد أن التذمر والشكوى ليسا الحل لمشاكلك.

لاتهتم ولا تقلق
فقط اطلب واشكر

"لا تهتَمّوا بشَيء، بل في كُلِّ شَيء بالصَّلاة والدُّعاء مع الشُّكر، لتُعلَمْ طلباتُكُمْ لَدَى الله" (فيلبى ٤: ٦).

يخبرنا الرسول بولس عن الطريقة الواجب اتباعها لحل المشاكل، فيوصينا أن نصلي بشكر في كل الظروف. ذات مرة قال لي الرب: "لماذا أعطيك المزيد بينما أنت غير شاكرة على ما أعطيته لك من قبل؟ لماذا أعطيكَ شيئًا آخر حتى تَتذمري عليه؟" فإن لم نتقدم للربّ بطلباتنا بقلب يفيض شكرًا على ما سبق وأن أعطاه لنا، فلن يستجيب لصلاتنا. فكلمةُ الله لا توصينا أن نصلي بتذمر ولكن بشكر في كل شيء، وفي معظم الأحيان نتذمر ونشكو عندما تسير الأمور على عكس ما نشتهي، أو عندما يتصرف شخصٌ ما بطريقة لا تعجبنا، أو عندما نضطر للانتظار فترةً أطول مما كنا نتوقع. لكن كلمة الله توصينا بأن نصبر في مثل هذه الأوقات. لقد اكتشفت أن الصبر ليس هو القدرة على الانتظار، ولكنه القدرة على الانتظار بقلب شاكر. فعلينا أن نتعامل مع الشكوى والتذمر وكل أنواع التفكير والكلامِ السلبي بجدية شديدة؛ فأنا أؤمن بأن الرب أعلن لنا مدى خطورة هذه الأمور حتى نسلم له أذهاننا وأفواهنا. قال الرب لبني إسرائيل في (تثنية ١: ٦): **"كفاكُمْ قُعودٌ في هذا الجَبَل"** وربما طال انتظارك ودورانك حول جبل معيَّن. حتى أن الله يطلب منكَ أن تترك هذا المكان وتتقدم للأمام، ولكن تذكر أن تقدمك للأمام لن يكون إيجابيًّا إن امتلأت أفكارك وكلماتك بالشكوى والتذمر. إن التوقف عن الشكوى والتذمر أمر صعب، ولكن تذكر أن لك فكر المسيح.

٢٠
لا تجعلني أنتظر طويلا
فمن حقي أن أنال كل شيء في الحال
عقلية برية تفكر بطريقة خاطئة (رقم ٥)

"فتأنَّوْا أيُّها الإخوَةُ إلَى مَجيءِ الرَّبِّ. هوذا الفَلاَّحُ يَنتَظِرُ ثَمَرَ الأرضِ الثَّمينَ، مُتأنِّيًا عَلَيهِ حتَّى يَنالَ المَطَرَ المُبَكِّرَ والمُتأخِّرَ" (يعقوب ٥: ٧).

تعجُّل الأمور أحد ثمار الكبرياء، فالمتكبر لا يطيق الانتظار على أي شيء بقلب شاكر.

إن الصبر ليس القدرة على الانتظار، ولكنه القدرة على الانتظار بقلب شاكر. وتوصينا كلمة الله أن نتأنى بينما نحن منتظرون، فالانتظار جزء من الحياة، ولكن كثيرين لا يعرفون أن ينتظروا جيدًا والحقيقة هي أننا نقضي وقتًا في الانتظار أكثر من الذي نقضيه في قبول ما انتظرناه. فعندما نطلب أمرًا من الرب بالإيمان، ننتظر وننتظر حتى يحققه لنا، وعندما يستجيب الله صلاتنا نفرح ونتهلل لأننا نلنا ما كنا ننتظره. ولكن لما كنا قد تعودنا أن نحقق أهدافنا، ونتطلع دومًا إلى تحقيقها فإننا نطلب من الرب، ثم نعود فنطلب منه أمرًا آخر مؤمنين بالاستجابة، ثم ننتظر وننتظر حتى يحققه لنا الرب. وعندما فكرت في هذا الأمر، أدركت أني أقضي وقتًا في الانتظار أكثر من الذي أقضيه في قبول ونوال ما انتظرته، فقررت أن أستمتع ليس فقط بالوقت الذي أنال فيه استجابة صلاتي، ولكن بوقت الانتظار أيضًا. فلنتمتع بما نحن فيه، بينما نحن في طريقنا لنوال بركة أخرى.

لا انتظار ولا صبر مع الكبرياء

"فإنِّي أقولُ بالنِّعمَة المُعطاة لي، لكُلِّ مَنْ هو بَينَكُمْ: أنْ لا يَرتَئِيَ فوقَ ما يَنبَغي أنْ يَرتَئِيَ، بل يَرتَئِيَ إلَى التَّعَقُّل، كما قَسَمَ الله لكُلِّ واحد مقدارًا منَ الإيمان" (رومية ١٢: ٣).

كيف تستمتع بالانتظار إن كنتَ لا تعرف كيف تنتظر بصبر؟ لا يوجد انتظار بصبر مع الكبرياء؛ لأن المتكبر يعتقد أنه على قدر كبير من الأهمية، فلا يوجد ما يستحق أن يقلق راحته!

وكما أنه لا يجب أن نظن السوء في أنفسنا، يجب أيضًا ألا نعتقد أننا أفضل مما نحن عليه. فلا نضع أنفسنا في منزلة عالية وننظر لما حولنا باحتقار، ونفقد صبرنا في التعامل معهم. أما المتواضع فيصبر في تعامله مع الآخرين.

كن واقعيًّا

"قد كلَّمتُكُمْ بهذا ليكونَ لكُمْ فيَّ سلامٌ. في العالَم سيكونُ لكُمْ ضيقٌ، ولكن ثقوا (تشجَّعوا ولا تشكوا) أنا قد غَلَبتُ العالَمَ (جردته من كل قوة يمكن أن تؤذيكم وانتصرت عليه من أجلكم)" (يوحنا ١٦: ٣٣).

يحاول إبليس أن يوقعنا في شباك عدم الصبر عن طريق إقناعنا بأن عالمنا مثاليٌّ وليس واقعيًّا. فإن كنا نعتقد أن كل شيء في حياتنا وظروفنا وعلاقتنا بالآخرين يجب أن يكون مثاليًّا وكاملًا خاليًا من الصعاب والمشاكل، فمن المؤكد أننا وقعنا في فخٍّ نصبه لنا إبليس؛ فالتفكير بهذه الطريقة هو أحد وسائل إبليس التي يستخدمها ليوقعنا في شباكه.

ولا تعتقدوا أني شخصية سلبية، بل أنا مؤمنة إيجابية في أفكاري وكلماتي، ولكني واقعية في نفس الوقت. فلا يوجد شيء كامل في هذه الحياة.

أسافر مع زوجي في كل عطلة أسبوعية إلى مدن مختلفة للوعظ بكلمة الله. وفي أحيانٍ كثيرة نقوم باستئجار قاعة في أحد الفنادق أو النوادي أو بيوت المؤتمرات لنعقد اجتماعاتنا فيها. وفي بداية الأمر، كنت أغضب سريعًا وأفقد أعصابي وأثور عندما يحدث خطأ ما (مثل تعطُّل أجهزة التكييف أو عدم كفاية الإضاءة أو المقاعد

أو عدم نظافتها أو وجود بقايا أطعمة على الأرض والمقاعد).

كنت أشعر أننا ندفع الكثير من المال مقابل استخدام هذه القاعات التي أستأجرناها معتقدين أننا سنجدها في حالة جيدة، فكنت أشعر بضيق شديد عندما نجد المكان في حالة فوضى. وبالرغم من كل المحاولات التيً كنا نقوم بها للتأكد من نظافة وحسن ترتيب المكان الذي نقوم باستئجاره، فإنه بنسبة ٧٥ ٪ لم يكن المكان عند حُسن ظننا.

وبالرغم من الوعود التي كنا نأخذها من موظف استقبال الفندق بتوفير غرف نظيفة بمجرد وصولنا، إلا أننا كنا ننتظر ساعات بعد وصولنا حتى يتم تجهيز الغرف. وكثيرًا ما أخطأ موظفو الفندق بخصوص مواعيد الاجتماعات، بالرغم من المطبوعات التي كنا نرسلها لهم مسبقًا بموعد وتاريخ الاجتماعات. هذا بالإضافة إلى وقاحة وكسل الموظفين القائمين على ترتيب القاعات وتنظيفها. وكثيرًا ما كانت الوجبات المقدمة لنا غير التي طلبناها.

وفي أثناء أحد مؤتمرات السيدات زاد عدد الحضور عن ٨٠٠ سيدة، وقدم لنا مطبخ الفندق كعكةً مخبوزةً بالخمر بدلًا من أن يقدمها لضيوف العرس المقام في القاعة المجاورة. وأتذكر كم شعرنا بالإحراج عندما أخبرتنا السيدات أن الكعكة تفوح منها رائحة الخمر.

وهناك المزيد من مثل هذه المواقف، ونادرًا ما كنا نعقد الاجتماعات في مكان مثالي خالٍ من المشاكل ومن الأشخاص المزعجين أيضًا. وأخيرًا أدركت أن السبب في ثورتي وغضبي وعدم صبري في مثل هذه المواقف هو أني لم أكن واقعيةً، بل توقعت المثالية في كل شيء.

أنا لا أتوقع الفشل، ولكني أحتاج أن أُذكِّر نفسي دائمًا بقول المسيح إنه في العالم سيكون لكم ضيق، وسنمر بتجارب واضطهادات هي جزء من الحياة علي الأرض، سواء بالنسبة للمؤمن أو لغير المؤمن. ولكن لا يقدر أن يؤذينا منها شيء إن ثبتنا في محبة الله، وإن أظهرنا ثمار الروح القدس في حياتنا.

الصبر هو القدرة على الاحتمال

"فالبَسوا كمُختاري الله القدِّيسينَ المَحبوبينَ أحشاءَ رأفات، ولُطفًا، وتواضُعًا، ووَداعَةً، وطولَ أناةٍ" (كولوسي ٣: ١٢).

عندما أقرأ هذه الآية أتذكر السلوك الذي يجب أن أسلكه في كل الظروف، وأذكّر نفسي بأن الصبر ليس القدرة على الانتظار، ولكنه الانتظار بقلبٍ شاكر.

التجارب تنشئ صبرًا

"احسبوهُ كُلَّ فرَحٍ يا إخوَتي حينَما تقَعونَ في تجاربَ مُتَنَوِّعَة، عالَمينَ أنَّ امتحانَ إيمانكُمْ يُنشئُ صَبرًا. وأمّا الصَّبرُ فليَكُنْ لهُ عَمَلٌ تامٌّ، لكَيْ تكونوا تامِّينَ وكاملينَ غَيرَ ناقصينَ في شَيءٍ" (يعقوب ١: ٢- ٤).

الصبرُ وطول الأناة من ثمار الروح القدس في حياة كل من نال الخلاص (غلاطية ٥: ٢٢). وإظهار هذه الثمرة وإعلانها أمام الآخرين أمر يهم الرب جدًّا؛ لأنه يريد أن يراه العالم في أولاده. ويخبرنا الإصحاح الأول من رسالة يعقوب أننا عندما نصبر نتكمَّل ولا ينقصنا شيء؛ فإبليس لا يستطيع أن يتسلط على رجل صبور. وفي نفس الإصحاح يوصينا بأن نفرح عندما ندخل في تجارب متنوعة لأنها تنشئ صبرًا.

والحقيقة هي أن التجارب المتنوعة التي مررت بها أنشأت صبرًا بداخلي، إلا أن البداية لم تكن هكذا؛ ففي بداية الأمر أنشأت كبرياء وغضبًا وتمردًا ورثاءً للذات وتذمرًا وأمورًا أخرى كثيرة لا ترضي الله. ولكنها أمور يجب أن نتعامل معها ونواجهها قبل أن نقدر أن نمارس الصبر.

تجارب أم مضايقات؟

"وارتَحَلوا (بنو إسرائيل) **منْ جَبَل هور في طريق بحر سوف ليَدوروا بأرضِ أدومَ، فضاقَتْ نَفسُ الشَّعبِ في الطَّريقِ"** (عدد ٢١: ٤).

رأينا فيما سبق أن العجلة وعدم التأني كانا من الأسباب التي جعلت بني إسرائيل يدورون في البرية أربعين سنة. فكيف لمثل هذا الشعب الذي يقدر أن يثبت ويصبر على بعض مضايقات الطريق أن يكون مستعدًّا لدخول أرض الموعد وطرد الساكنين هناك حتى يمتلكوها؟

لذلك يجب أن تتعاون مع الروح القدس حتى ينمِّي ويطور ثمرة التأني بالصبر داخلك. ولكن كلما قاومته طالت الرحلة. تعلم أن تتجاوب وبصبر مع كل التجارب التي تواجهك، وعندها ستتمكن ليس فقط من مواصلة الحياة، بل التمتع بها إلى أقصى حد.

أهمية الصبر والاحتمال

"لأَنَّكُمْ تحتاجونَ إِلَى الصَّبر، حتَّى إذا صَنَعتُمْ مَشيئَةَ الله تنالونَ المَوْعدَ" (عبرانيين ١٠: ٣٦).

تقول كلمة اللّه إننا لن ننال الموعد إذا لم نتحلَّ بالصبر والقدرة على الاحتمال. وفي (عبرانيين ٦: ١٢) تقول كلمة الله إننا بدون إيمان وصبر لن نرث المواعيد.

لكن الشخص المتكبر يتكل على قوة الجسد، ويحاول أن يصل لما يريد لأنه يعتقد أنه يقدر على ذلك. أما المتواضع فيقول: "اللّه يعلم كل شيء وهو لن يتأخر".

ينتظر المتواضعُ بصبر واضعًا في قلبه مخافة الرب فلا يتكل على قوة الجسد، أما المتكبر فيحاوِل بكل الطرق الوصول لما يريد متَّكلًا على ذاته، ولكن كل محاولاته تذهب بلا فائدة.

الخط المستقيم ليس دائمًا أقصر الطرق

"توجَدُ طَريقٌ تظهَرُ للإنسانِ مُستَقيمَةً وعاقِبَتُها طُرُقُ الموت" (أمثال ١٦: ٢٥).

في الحَياة الروحية ليس الخط المستقيم أقصر الطرق دائمًا للوصول للهدف، ولكنه في بعض الأحيان يكون أقصر الطرق للهلاك؛ فيجب أن نصبر وننتظر الرب، حتى ولو بدا الأمر وكأننا نسلك أطول الطرق للوصول لما نريد.

هناك مئات بل آلاف المؤمنين الذين يعيشون تعساء لأنهم يحاولون أن يحققوا وعود اللّه بأنفسهم بدلًا من أن يتَّكلوا على الرب وينتظروه بصبر حتى يحقِّقها لهم، في وقته وبطريقته.

وفي بعض الأحيان، يهمس إبليس بكلمات مثل "يجب أن تفعل شيئًا" وأنت تنتظر عمل الرب في حياتك. فهو يريدك أن تتكل على الجسد لأنه يعلم أن الجسد لا ينفع شيئًا (يوحنا ٦: ٣٦ ورومية ١٣: ١٤).

وهكذا نرى أن عدم التأني أحد علامات الكبرياء، وعلاج الكبرياء الوحيد هو التواضع.

تواضع وانتظر

"فتَواضَعوا تحتَ يَدِ اللهِ القَويَّةِ لكَيْ يَرفَعَكُمْ في حينِه" (١ بطرس ٥: ٦).

والتواضع لا يعني أن نقلل من قدراتنا وإمكانياتنا، ولكنه إدراك عجزنا عن حل كل مشاكلنا بأنفسنا؛ فبدلًا من أن نمسك بكل تكبر بزمام الأمور، يجب أن نتعلم كيف نتواضع تحت يد الله القوية، لأنه عيَّن الوقت المناسب الذي يرفعنا فيه. فعندما نرفض الاتكال على الجسد ونختار أن ننتظر الرب ونتكل عليه، نستطيع أن نُميت الجسد، فنموت عن طرقنا وتوقيتاتنا، ونحيا لمشيئه الله وطرقه.

علينا أن نطيع الله في كل ما يأمرنا به، وعلينا أيضًا أن نخافه فلا نتكل في كبرياء على الجسد. وتذكر أن الكبرياء هي أصل عدم التأني. فالمتكبر يقول دائمًا: "لا تجعلني أنتظر كثيرًا، فمن حقي أن أنال كل شيء في الحال". فعندما تشعر أن صبرك قد نفذ، قُل على الفور: "يارب، أريد أن تتحقق مشيئتك في حياتي في الوقت الذي تراه مناسبًا. أنا لا أريد أن أسبق خطواتك، ولا أريد أن أتخلف عنها. ساعدني يارب أن أنتظرك بصبر".

٢١
قد يكون سلوكي خاطئًا، ولكن الذنب ليس ذنبي!
عقلية برية تفكر بطريقة خاطئة (رقم ٦)

"فقالَ آدَمُ: «المَرأةُ التي جَعَلتَها مَعي هي أعطَتني منَ الشَّجَرَة فأكلتُ»... فقالَت المَرأةُ: «الحَيَّةُ غَرَّتني فأكلتُ»" (تكوين ٣: ١٢، ١٣).

يعيش كثيرون في البرية لأنهم يرفضون تحمُّل مسؤولية تصرفاتهم، فيلقون اللوم على الآخرين. وهذه مشكلة حدثت منذ بداية الخليقة؛ فعندما واجه الرب آدم وحواء بخطيتهما في جنة عدن، ألقى كلٌّ منهما اللوم على الآخر، وعلى الله، وعلى الحية، دون أن يتحمل أحدهما مسؤولية الخطأ الذي ارتكباه.

الخطأ خطؤك أنت!

"وأمّا سارايُ امرأةُ أبرامَ فلم تلدْ لهُ. وكانَتْ لها جاريَةٌ مصريَّةٌ اسمُها هاجَرُ، فقالَتْ سَارايُ لأبرامَ: «هوذا الرَّبُّ قَد أمسَكَني عن الولادَة. ادخُلْ على جاريَتي لَعَلِّي أُرزَقُ منها بَنينَ». فسَمعَ أبرامُ لقَوْل سارايَ. فأخَذَتْ سارايُ امرأةُ أبرامَ هاجَرَ المصريَّةَ جاريَتَها، مِنْ بَعد عَشر سنينَ لإقامَة أبرامَ في أرض كنعانَ، وأعطَتها لأبرامَ رَجُلها زَوْجَةً لهُ. فدَخَلَ على هاجَرَ فحَبلَتْ. ولمّا رأتْ أنَّها حَبلَتْ صَغُرَتْ مَوْلاتُها في عَينَيها. فقالَتْ سارايُ لأبرامَ: «ظُلمي عليكَ! أنا دَفَعتُ جاريَتي إلَى

حضنكَ، فلَمّا رأتْ أنَّها حَبلَتْ صَغُرتُ في عَينَيها. يَقضي الرَّبُّ بَيني وبَينَكَ». فقالَ أبرامُ لسارايَ: «هوذا جاريَتُك في يَدك. افعَلي بها ما يَحسُنُ في عَينَيك». فأذَلَّتها سارايُ، فَهَرَبَتْ مِنْ وجهها" (تكوين ١٦: ١- ٦).

ويتكرر نفس المشهد بين إبراهيم وسارة، فلقد سئما انتظار تحقيق وعد الله بأن يكون لهما ابن من نسلهما، فبدءا بالاتكال على الجسد، وفعلا ما ظنا أنه الصواب. ولكن عندما اكتشفا خطأ ما فعلاه، وعندما ظهرت المشاكل، ألقى كلٌ منهما اللوم على الآخر.

ولاحظت أن نفس الشيء كان يحدث بيني وبين زوجي في بداية حياتنا الزوجية، فكنا نسبق الأحداث دون أن ننتظر لنواجه الواقع. وأذكر أني بدأت أصلي لأجل زوجي حتي يتغير؛ لأني كنت أرى فيه عيوبًا كثيرة وأمورًا تحتاج إلى تغيير. وعندما بدأت أصلي من أجله تحدث الرب إلى قلبي قائلا: "المشكلة ليست في زوجك ولكنها فيك أنت". فتعجبت وبكيت، ثم بكيت، عندما أعلن لي الرب عن صعوبة العيش مع شخصية مثل شخصيتي. أراني الرب عيوب شخصيتي وكم كنت متسلطة في كل شيء، متذمرة على كل شيء، صعبة الإرضاء، سلبية. وكان الأمر صدمة لشخصية متكبرة مثلي، ولكنه كان بداية الشفاء لحياتي.

ومثل معظم الناس، كنت ألقي باللوم على الآخرين أو على الظروف الخارجة عن إرادتي. كنت أعتقد أن البيئة التي نشأت فيها هي سبب تصرفاتي الخاطئة، ولكن الرب قال لي: "ربما تكون البيئة هي سبب سوء تصرفاتك، ولكن لا تتَّخذي منها عذرًا لتبقي كما أنت".

يعمل إبليس بجدٍّ واجتهاد في أذهاننا حتى يبني حصونًا بداخلها تعيق رؤيتنا للحق، لأنه يعلم أن الحق يحرِّر. ومواجهة حقيقة أنفسنا وتصرفاتنا من أكثر الأمور إيلامًا للمشاعر، ولهذا يهرب الكثيرون من مواجهتها؛ فمن السهل أن نواجه حقيقة الآخرين، ولكن مواجهة حقيقة أنفسنا أمر أصعب بكثير.

فقط لو...

"**وتكلَّمَ الشَّعبُ علَى اللهِ وعلَى موسَى قائلينَ: «لماذا أصعَدتُمانا منْ مصرَ لنَموتَ في البَرِّيَّةِ؟ لأنَّهُ لا خُبزَ ولا ماءَ، وقد كرِهَتْ أنَفُسُنا الطَّعامَ السَّخيفَ»**" (عدد ٢١: ٥).

تذمر بنو إسرائيل على المشاكل التي قابلتهم في الطريق مدَّعين أن الخطأ هو خطأ موسى وخطأ الرب، وبذلك لم يتحملوا مسؤولية أخطائهم، ولهذا بقوا في البرية فترةً طويلةً.

ولهذا السبب أيضًا بقيت أنا في مشاكلي أدور حولها لسنوات عديدةً. وتعددت الأعذار التي كنت أقدمها لتبرير تصرفاتي الردية منها:

"لو لم أتعرض لسوء المعاملة كطفلة صغيرة، لما أصبحتُ حادة الطباع".

"لو ساعدني الأولاد في شؤون المنزل، لكان حالي أفضل".

"لو لم يذهب زوجي للعب الجولف كل يوم سبت، لقلَّت المشاكل بيننا".

"لو تحدث إليَّ زوجي وقتًا أطول، لما شعرت بالوحدة".

"لو اشترى لي زوجي هدايا أكثر، لما أصبحت سلبيةً إلى هذا الحد".

"لو لم يتعيَّن عليَّ الذهاب للعمل، لما شعرت بهذا التعب".

(وعندما توقفت عن العمل) "لو كنت أستطيع الخروج بعيدًا عن المنزل، لما شعرت بالملل".

"لو كنا نمتلك مالًا أكثر..."

"لو كنا نمتلك منزلًا خاصًّا بنا..."

(وعندما اشترينا المنزل) "لولا كثرة هذه الفواتير".

"لو حظينا بجيران أفضل أو أصدقاء أفضل".

لو ، لو، لو...

لكن..

"**ثُمَّ كلَّمَ الرَّبُّ موسَى قائلاً: "أرسلْ رجالاً ليتجَسَّسوا أرضَ كنعانَ التي أنا مُعطيها لبَني إسرائيلَ. رَجُلاً واحدًا لكُلِّ سبط منْ آبائه تُرسلونَ. كُلُّ واحد رَئيسٌ فيهمْ". ٣فأرسَلهُمْ موسَى منْ بَرِّيَّة فارانَ حَسَبَ قَوْلِ الرَّبِّ. كُلُّهُمْ رِجالٌ هُم رؤَساءُ بَني إسرائيلَ.**

ثُمَّ رَجَعوا مِنْ تجَسُّس الأرض بَعدَ أربَعينَ يومًا. فساروا حتَّى أتَوْا إلَى موسَى وهارونَ وكُلِّ جَماعَة بَني إسرائيلَ، إلَى بَرِّيَّة فارانَ، إلَى قادَشَ، ورَدّوا إليهما خَبَرًا وإلَى كُلِّ الجَماعَة وأرَوْهُمْ ثَمَرَ الأرض. وأخبَروهُ وقالوا: "قد ذَهَبنا إلَى الأرضَ التي أرسَلتَنا إليها، وحَقًّا إنَّها تفيضُ لَبَنًا وعَسَلاً، وهذا ثَمَرُها. غَيرَ أن (لكن) الشَّعبَ السّاكنَ في الأرض مُعتَزٌّ، والمُدُنُ حَصينَةٌ عظيمَةٌ جدًّا. وأيضًا قد رأينا بَني عَناقَ هناكَ" (عدد ١٣: ١- ٣، ٢٥- ٢٨).

القول "فقط لو..." و"لكن..." من أكثر الكلمات التي يحاول إبليس أن يزرعها في عقولنا ليخدعنا؛ فبعد أن رجع الاثنا عشر جاسوسًا من تجسس أرض الموعد، وبالرغم من ثمر الأرض وعنقود العنب الذي كان يحمله اثنان منهم، نقلوا للشعب خبرًا سلبيًّا، فكانت كلمة "لكن" هي السبب في هزيمتهم. كان عليهم أن يثبِّتوا عيونهم على الله وليس على المشاكل التي قد تواجههم.

في بعض الأحيان، تتغلب علينا مشاكلنا؛ لأننا نعتقد أنها أكبر من الله، ولهذا يصعب علينا مواجهة الحقيقة؛ لأننا غير واثقين في قدرة الله على تغيير الأمور، ولذلك نهرب من نفوسنا بدلاً من أن نواجهها.

لم تَعُد مواجهة نفسي بحقيقتها أمرًا صعبًا عليَّ عندما أخبرني الله؛ لأني أيقنت أنه قادر على أن يغيِّرني. لقد رأيت بالفعل عمله في حياتي ولذلك أثق فيه، ولكن الأمر كان في غاية الصعوبة في بدايته، لأني اعتدت على الهروب من مواجهة الحقيقة، فكانت النتيجة أن عشت في ظلام لسنوات عديدة حتى أن الخروج للنور لم يكن سهلاً.

الحق في الإنسان الباطن

"ارحَمني يا اللهُ حَسَبَ رَحمَتكَ. حَسَبَ كثرَة رأفَتكَ امحُ مَعاصيَّ. اغسلني كثيرًا مِنْ إثمي، ومِنْ خَطيَّتي طَهِّرني. لأنِّي عارفٌ بمَعاصيَّ، وخَطيَّتي أمامي دائمًا. إليكَ وحدَكَ أخطأتُ، والشَّرَّ قُدّامَ عَينَيكَ صَنَعتُ، لكَيْ تتبَرَّرَ في أقوالكَ، وتزكوَ في قَضائكَ. هأنذا بالإثم صوِّرتُ، وبالخَطيَّة حَبِلَتْ بي

أُمِّي. ها قد سُررتَ بالحَقِّ في الباطنِ، ففي السَّريرَةِ تُعَرِّفُني حكمَةً " (مزمور ٥١: ١- ٦).

يطلَب الملك داود في (مزمور ٥١) أن يرحمه ويغفر له؛ لأن الرب بكَّته على خطيته مع بشبع وقتله زوجها. وقد كتب داود هذا المزمور بعد مرور عام كامل على ارتكابه خطيته، فهو لم يواجهها ويعترف بها إلا بعد مرور كل هذا الوقت. ولأنه لم يواجه الحقيقة، وربما لأنه رفض مواجهتها، لم يستطِع أن يتوب. ولأنه لم يتُب، لم يغفر له الله.

وفي (ع ٦) يخبرنا داود بأن الله يسر بالحق في الإنسان الباطن. وهذا يعني أنه إن أردنا بركة الله لحياتنا، علينا أن نكون أمناء مع الله ومع أنفسنا فيما يتعلق بخطايانا.

الاعتراف يسبق الغفران

"إنْ قُلنا: إنَّهُ ليس لنا خَطيَّةٌ (رفضنا الاعتراف) **نُضلُّ أنفُسَنا وليس الحَقُّ فينا** (كلمة الله ليست ثابتة في قلوبنا). **إن اعتَرَفنا بخطايانا فهو أمينٌ** (في مواعيده) **وعادلٌ، حتَّى يَغفرَ لنا خطايانا ويُطَهِّرَنا منْ كُلِّ إثم. إنْ قُلنا: إنَّنا لم نُخطئْ نَجعَلهُ كاذبًا، وكلمَتُهُ ليستْ فينا"** (١ يوحنا ١: ٨- ١٠).

لا يتردد الله لحظة في أن يغفر لنا إن اعترفنا بخطايانا، ولكن الاعتراف لا يحدث إن لم نواجه وندرك حقيقة ما فعلناه.

ومواجهة الحقيقة لا تعني الاعتراف لله بالخطية ثم البحث عمَّا يبررها. فمن الطبيعي أن نبحث عمَّا يبرر تصرفاتنا وأفعالنا وأقوالنا، ولكن الكتاب يقول إن برنا في المسيح وحده. (رومية ٣: ٢٠- ٢٤) فنحن نتبرر بدم المسيح من خطايانا، وليس بالأعذار التي نقدمها.

ذات يوم، اتصلت بي جارتي هاتفيًّا لتطلب مني أن أقوم بتوصيلها للبنك قبل أن تنتهي ساعات العمل؛ لأن سيارتها قد تعطلت. ولأني كنت مشغولة جدًّا تصرفت معها بطريقة غير لائقة وبغير صبر. وبمجرد أن أغلقت الخط معها، ندمت على تصرفي، وأردت أن أتصل بها لأعتذر، ولأخبرها أني مستعدة لتوصيلها للبنك. وامتلأ ذهني بالأعذار التي يمكن أن أعطيها لها حتى أبرر تصرفي السيئ "أشعر بوعكة صحية"، "أنا مشغولة جدًّا"، "كان

يومي عصيبًا". ولكني كنت أعلم في داخلي أن الروح القدس يريدني ألا أبرِّر تصرفي، وقال لي: "أخبريها أنك أخطأت ولا تقولي شيئًا آخر. لقد أخطأت ولا يوجد ما يبرر تصرفك معها بهذه الطريقة. قولي لها: أرجو أن تغفريَ لي، واسمحي لي بتوصيلكَ للبنك".

وكان الأمر صعبًا عليَّ، وكنت أحاول أن أجد مكانًا أختبئ فيه من الحق، ولكني لم أجد لأن الحق نور.

الحق نور

"في البَدء كانَ الكلمَةُ (المسيح)، والكلمَةُ كانَ عندَ الله، وكانَ الكلمَةُ اللَّه. هذا كانَ في البَدء عندَ اللَّه. كُلُّ شَيء بهِ كانَ، وبغَيرِه لم يَكُنْ شَيءٌ ممّا كانَ. فيهِ كانَت الحياةُ، والحَياةُ كانَتْ نورَ النَاس، والنّورُ يُضيءُ في الظُّلمَة، والظُّلمَةُ لم تُدركهُ" (يوحنا ١: ١- ٥).

الحق من أقوى الأسلحة التي يمكن أن نستخدمها ضد مملكة الظلمة؛ فالحق نور، وتخبرنا كلمة الله بأن الظلمة لم تدرك النور ولن تدركه.

يريد إبليس أن يخفي الأشياء في الظلام، أما الروح القدس فيريد أن يكشفها للنور حتى نتعامل معها، وعندئذٍ نستطيع أن نتحرر بالكامل.

قال المسيح إن الحق يحررنا (يوحنا ٨: ٣٢). وهذا الحق يعلنه لنا روح الحق.

روح الحق

"إنَّ لي أُمورًا كثيرَةً أيضًا لأقولَ لكُمْ، ولكن لا تستَطيعونَ أنْ تحتَملوا الآنَ. وأمّا مَتَى جاءَ ذاكَ، روحُ الحَقِّ (الذي يعلن الحق) **فَهو يُرشدُكُمْ إلَى جميع الحَقِّ"** (يوحنا ١٦: ١٢- ١٣).

كان من الممكن أنَ يخبر المسيح تلاميذه بجميع الحق، ولكنه كان يعلم أنهم لم يكونوا مستعدين. وبعد أن ارتفع إلى السماء أرسل الروح القدس ليعمل فينا، وليجهزنا ويعلن مجد الله من خلالنا بطرق وصور مختلفة.

ولكن كيف يستطيع الروح القدس أن يعمل في حياتنا إن لم نُواجه الحق؟ إنه روح الحق الذي يعيننا على مواجهة الحق، حتى نعرفه وعندئذٍ نتحرَّر.

ربما تكون مشاعرك وتصرفاتك خاطئةً بسبب أمر معيَّن حدث في الماضي. فلا تسمح لأي منها أن تكون عذرًا تلتمسه لنفسك لتَّظل على ما أنت عليه.

لا شك أن ظروف حياتي التي نشأت فيها وسوء المعاملة الذي تعرضت له من الأسباب التى أدت إلى سلوكي الخاطئ الذي استمر فيَّ لفترة طويلة، لأني كنت أجد له الأعذار. كنت أحاول مواجهة عدوي بأن أقول له "كم أكره هذا الذي فعلته بي! ولهذا أحتفظ به داخلي".

تستطيع أن تتحرر من كل قيد وضعه إبليس على حياتك. لا داعي للتجول في البرية لمدة أربعين سنة. وحتى إن كنت قضيت أربعين سنة في البرية لأنك لم تكن تعلم أن عقليتك البرية أبقتك هناك، تستطيع اليوم أن تتحرر.

اطلُب من الرب أن يعلن لك حقيقة نفسك. وعندما يفعل لا تسقط على وجهك، فالأمر لن يكون سهلًا. وتذكر أنه قال "لا أُهمِلُكَ ولا أترُكُكَ" (عبرانيين ١٣: ٥).

إنك في طريقك للخروج من البرية لتتمتع بأرض الموعد!

٢٢
حياتي بائسة جدًّا
كم أشعر بالأسف على نفسي
فحياتي مزرية
عقلية برية تفكر بطريقة خاطئة (رقم ٧)

"فرَفَعَتْ كُلُّ الجَماعَة صوتها وصَرَخَتْ، وبَكَى الشَّعبُ تلكَ اللَّيلَةَ. وتذَمَّرَ علَى موسَى وعلَى هارونَ جميعُ بَني إسرائيلَ، وقالَ لهُما كُلُّ الجَماعَة: "لَيتَنا مُتنا في أرض مصرَ، أو لَيتَنا مُتنا في هذا القَفر!" (عَدد ١٤: ١- ٢).

شعر بنو إسرائيل بالأسى على أنفسهم، وأصبحت كل ضيقة يمرون بها عذرًا يرثون به ذواتهم.

أذكر مرة أني كنتُ أرثي لحالي، فقال الرب لي: "إما أن تبتئسي أو أن تتقوي. ولكن من المحال أن تجمعي البؤس والقوة". فمن المهم أن ندرك أننا لا نستطيع أن نخضع لرثاء الذات، وفي نفس الوقت نسلك بقوة الله.

عزوا وابنوا بعضكم بعضًا

"لذلكَ عَزّوا (شجعوا) بَعضُكُمْ بَعضًا وابنوا (قووا) أحَدُكُمُ الآخَرَ، كما تفعَلونَ أيضًا" (١ تسالونيكي ٥: ١١).

لم يكن سهلًا عليَّ أن أقلع عن خطية رثاء الذات؛ لأني اعتدت أن أعزي نفسي بها عندما تتعرض مشاعري للأذى. فبمجرد أن تُجرَح مشاعرنا، ونشعر أن هناك ظلمًا وقع علينا، يرسل إبليس أحد جنوده ليهمس بأكاذيب

في أذهاننا عن مدى عنف وبشاعة معاملة الآخرين لنا.

وعندما تستمع إلى الأفكار التي يتزاحم بها ذهنك خلال هذه الأوقات ستدرك على الفور كيف يستخدم إبليس رثاء الذات ليبقينا في عبودية.

ولا يسمح لنا الكتاب المقدس أن نشعر بالرثاء لأنفسنا، بل يوصينا بأن نعزي ونشجع بعضنا البعض في الرب.

أما الشفقة فهي أمر مختلف؛ لأنها الشعور بالتعاطف مع الآخرين من أجل الآلام التي يختبرونها والظروف التي يمرون بها والتخفيف من آلامهم. لكن الرثاء للنفس خطية؛ لأننا عندما نرثي لأنفسنا نأخذ ما قصد الله أن يعطيه للآخرين ونحوِّله لأنفسنا. تقول كلمة الله في (رومية ٥: ٥) عن محبة الله إنها انسكبت في قلوبنا بالروح القدس، حتى نعرف مقدار محبته لنا، وحتى نحب بعضنا بعضًا.

ولكن عندما نستقبل محبة الله التي قصد أن نعطيها للآخرين ونحتفظ بها لأنفسنا، تصبح أنانية ومحبة الذات وتؤدي في النهاية إلى تدميرنا. إن رثاء الذات يشبه التعبُّد للوثن؛ إذ تتحول أفكارنا إلى أنفسنا ومشاعرنا واحتياجاتنا واهتماماتنا الشخصية، ولا نفكر في الآخرين. ويا لها من طريقة تفكير محدودة إلى أقصى حد!

انظر لاحتياجات الآخرين

"لا تنظُروا كُلُّ واحد إلَى ما هو لنَفسه، بل كُلُّ واحِدٍ إلَى ما هو لآخَرينَ أيضًا" (فيلبي ٢: ٤).

كنت أتطلع بشوق لأحد الاجتماعات التي دُعيت للوعظ فيها، ولكن تم إلغاء الاجتماع فجأة وبدون سابق إنذار، فشعرت بخيبة أمل شديدة. في الماضي، كان مثل هذا الموقف يجعلني أرثي لنفسي وأفكر بطريقة سلبية في الآخرين وأنتقدهم، وما إلى ذلك من أفكار ومشاعر سلبية. ولكنيَّ تعلمتُ أن أصمد وأهدأ في مثل هذه المواقف؛ فالصمت خير من النطق بأشياء خاطئة.

وعندما هدأت نفسي وسكنت، أراني الله المشهد من وجهة نظر الطرف الآخر، لقد تعذر عليهم تأجير قاعة لعقد الاجتماع، وكم كانوا يشعرون بخيبة الأمل لأنهم كانوا يتطلعون بشوق لمجيئي! ولكن لعدم وجود مكان لعقد الاجتماع اضطروا لإلغائه.

وكم سيكون الخروج من فخ رثاء الذات سهلًا إن نظرنا للموضوع من وجهة نظر الطرف الآخر! فمن يرثي لحاله يفكر في نفسه لا في الآخرين. وأحيانًا نحاول جاهدين أن نستجدي الشفقة من الناس. نعم، فرثاء الذات أحد وسائل إبليس المضلة التي بها يبقينا في البرية. فإن لم نتوخَّ الحذر، أدمناه. وإدمان الشيء يعني التجاوب مع المؤثرات بطريقة أوتوماتيكية، وهو سلوك مُكتَسَب ولكنه يصبح عادةً لا يستطيع الإنسان التخلي عنها بسهولة.

فكم من الوقت تصرفه في الرثاء لحالك؟ كيف تتعامل مع ما يخيِّب آمالك؟

أعطى اللهُ للمؤمن امتياز استعادة الأمل بعد المرور في تجارب مخيِّبة للآمال؛ فهناك بداية جديدة دائمًا مع الله، أما رثاء الذات فيأسرنا في ماضينا.

انسَ الأمر وابدأ من جديد مع الرب

"لا تذكُروا الأوَّليّات، والقَديماتُ لا تتأمَّلوا بها. هأنذا صانعٌ أمرًا جديدًا. الآنَ يَنبُتُ. ألا تعرفونَهُ؟ أجعَلُ في البَرِّيَّةِ طَريقًا، في القَفرِ أنهارًا" (إشعياء ٤٣: ١٨- ١٩).

عشتُ سنوات أرثي لذاتي وأشعر بالأسف على نفسي لأني كنت قد أدمنت هذه الخطية؛ فكان رثاء الذات هو رد الفعل التلقائي تجاه خيبة الأمل. وعلى الفور، كان إبليس يملأ ذهني بكل الأفكار الخاطئة. ولأني لم أكن قد تعلمت بعد أن أتأمل في ما أفكر فيه، كنت أستسلم للتفكير في كل ما يطرأ على ذهني. وكلما تأملت الأفكار التي وضعها إبليس في ذهني زاد شعوري برثاء الذات.

كثيرًا ما أحكي قصصًا عن سنوات زواجنا الأولى؛ ففي مساء كل يوم أحد كان زوجي يواظب على مشاهدة مباريات كرة القدم أثناء فترة الدوري. وإن لم تكن هناك مباريات كرة قدم، كان يشاهد أية أحداث رياضية أخرى. لقد كان مغرمًا بكل الألعاب الرياضية حتى أنه لا يشعر بوجودي أثناء مشاهدتها.

وذات مرة، وقفت أمامه وقلت: "يا زوجي، أشعر بوعكة صحية وكأني سأموت". فأجابني دون أن يرفع نظره من على شاشة التليفزيون: "هذا

شيء جيد يا عزيزتي".

وهكذا كنت أقضي مساء كل يوم أحد يملأني الغضب وأشعر بالرثاء لحالي. ومن عادتي أن أقوم بتنظيف البيت عندما أكون غاضبةً من زوجي. ولكني أعرف الآن أنها كانت محاولةً مني حتى أجعل زوجي يشعر بالذنب لأنه يستمتع بمشاهدة التلفزيون بينما أقوم أنا بكل العمل الشاق. فكنت أدور في البيت بلا توقف لمدة ساعات، أفتح أبوابًا وأغلق أبوابًا أخرى، وأمر بالغرفة التي يشاهد فيها زوجي التليفزيون وأنا أمسك بالمكنسة لأجعله يرى العمل الشاق الذي أقوم به.

كانت هذه مجرد محاولات للفت انتباهه، إلا أنه لم يكن يشعر بوجودي بالمرة، فكنت استسلم وأذهب إلى الحمام حيث أجلس على الأرض وأبكي. وكلما بكيت، شعرت أكثر بالرثاء لحالي. وهناك أعلن لي الرب سبب توجه السيدات للحمام للبكاء! لأن في كل حمام توجد مرآة كبيرة تنظر إليها السيدات بعد أن تكون قد صرفت وقتًا في البكاء. وعندما ترى منظر وجهها تعاود البكاء من جديد، وترثي للحال الذي آل إليه منظرها!

وكثيراً ما كنت أنظر لنفسي في المرآة وأبدأ في البكاء ثانيةً على منظري. وأخيرًا كنت أعود للغرفة حيث يجلس زوجي والأولاد مستمتعين بوقتهم، وأشعر بالرثاء لحالي أكثر من أي وقت مضى. ونادرًا ما كان زوجي ينظر إليَّ وهو يطلب مني أن أحضر له كوب شاي مثلج!

والحقيقة التي أحاول أن أنقلها لكم هي أن هذه الطريقة لم تُصلح من الأمر شيئًا، ولكنها كانت تزيده سوءًا؛ لأني كنت أجهد مشاعري، وعادةً ينتهي بي الحال إلى المرض الجسدي. كل هذا بسبب المشاعر الخاطئة التي اختبرتها طوال اليوم.

لن يخلصك الرب بذراعك، ولكن خلاصك سيكون بذراعه القوية؛ فالله وحده قادر على تغيير الناس. ولا يوجد من كان يستطيع إقناع زوجي بالاعتدال في مشاهدته لمباريات كرة القدم. وهو لا يزال يستمتع بمشاهدتها، لكنها لم تعد تضايقني كما كانت تضايقني في الماضي؛ ففي الوقت الذي يستمتع فيه زوجي بمشاهدة البرامج الرياضية، أقوم أنا بعمل شيء ممتع بالنسبة لي. وفي بعض الأحيان، أطلب من زوجي بلطف (دون غضب أو انفعال) أن يساعدني في عمل شيء ما أثناء مشاهدته لمباريات

كرة القدم، وبكل ترحيب يتنازل عن مشاهدتها. وعندما تسير الأمور على عكس ما أشتهي، وعندما تبدأ مشاعري في الغليان، أصلي قائلةً: "يارب، أعنّي على اجتياز هذا الاختبار بنجاح؛ فأنا لا أريد الدوران حول هذا الجبل مرةً أخرى".

٢٣
لا أستحق بركات الرب لأني لست جديرًا بها!
عقلية برية تفكر بطريقة خاطئة (رقم ٨)

"وقالَ الرَّبُّ ليَشوعَ: "اليومَ قد دَحرَجتُ عنكُمْ عارَ مصرَ". فدُعيَ اسمُ ذلكَ المَكانِ "الجِلجالَ" إلَى هذا اليومِ" (يشوع ٥: ٩).

بعد أن قاد يشوع بني إسرائيل لعبور نهر الأردن، دخل بهم إلى أرض الموعد، وقبل أن يكونوا مستعدين لامتلاك أول مدينة (وهي أريحا) أمر الرب أن يُختَن كل ذكر؛ لأنه طول الأربعين سنة التي قضاها الشعب في البرية لم يُختن ذكور بني إسرائيل. وبعد أن تم هذا الأمر، قال الرب ليشوع إنه قد دحرج عنهم عار مصر.

وفي (يشوع ٦) يسجل لنا الوحي كيف قاد الرب بني إسرائيل ليغزوا أريحا ويمتلكوها، ولكن لماذا طلب الرب من يشوع أن يدحرج عار مصر أولًا؟ وما هو هذا العار؟

تعريف العار

تعني كلمة عار "اللوم والخزي". فماذا كان قصد الله عندما قال إنه دحرج عن بني إسرائيل عار مصر؟ تُعتَبَر مصر رمزًا للعالم، وبعد أن نعيش في العالم لفترة طويلة، نتشكل بطباعه، فيجب أن يدحرج الله عنا هذا العار.

لحق العار بي نتيجةً لما فعلته وما فعله الآخرون بي، وكنت ألوم نفسي على ما حدث لي خلال سنوات طفولتي دون أن يكون لي ذنب فيما حدث.

قلنا فيما سبق إن النعمة هي قوة الله التي يعطيها لنا مجانًا حتى نفعل ما لا نقوى على فعله بأنفسنا. يريد الله أن يعطينا نعمته، أما إبليس فيريد أن يصيبنا بالعار والخزي. وقد نجح إبليس في إقناعي بأن العار هو عدم نفع الإنسان وعدم استحقاقه لمحبة الله ومعونته، وبذلك سمَّم الخزي أفكاري، ليس فقط بسبب ما فعله الآخرون بي، بل بسبب ما فعلته أنا أيضًا؛ ففي أعماق نفسي، كنت أكره ذاتي إلى أقصى حد.

ودحرجة العار هنا تعني قبول غفران الله لكل خطايا الماضي، ولا يوجد من يستحق بركة الله ومحبته ولن يوجد. فقط علينا أن نتواضع ونقبلها، ونشكره عليها، مقدِّرين صلاحه وعظمة محبته.

إن كراهية الذات ورفضها، وعدم قبول غفران الله، وعدم إدراك بره الذي صار لنا بدم المسيح، كل هذه الأمور تجعلنا نتجول في البرية دون أن ندخل إلى أرض الموعد. يجب أن يتغير ذهننا لندرك علاقتنا الحقيقية بالله بواسطة المسيح، لا بواسطة أعمالنا.

لاحظت في سنوات هذه عددها قضيتُها في الخدمة أن حوالي ٥٨٪ من مشاكلنا تنبع من مشاعرنا تجاه أنفسنا. أما الإنسان الذي يعيش منتصرًا فهو يسلك ببر الله. فبالرغم من يقيني من أني لا أستحق بركات الله، فإني أقبلها على أية حال لأني صرت وارثةً لله مع المسيح (رومية ٨: ١٧)؛ فهي ميراثي في المسيح عندما أضع ثقتي فيه.

وارث أم عبد؟

"إذًا لستَ بَعدُ عَبدًا بل ابنًا، وإنْ كُنتَ ابنًا فوارِثٌ للهِ بالمَسيحِ" (غلاطية ٤: ٧).

فهل أنت ابن أم عبد؟ وارث أم خادم؟ فالوارث هو الشخص الذي يتسلم شيئًا عندما يُقسَّم الميراث بحسب الوصية المكتوبة، أما العبد فهو الذي يئنُّ تحت نير الناموس. إنه شخص يتحمل العبء والألم والشقاء.

تجولت لسنوات في البرية عبدةً، وكنت أجتهد حتى أكون جديرةً بما يريد الله أن يعطينِي إياه بنعمته، بدون مقابل، وكان هذا الفكر خاطئًا.

فأول كل شيء كنت أعتقد أني يجب أن أعمل وأجتهد حتى أنال كل شيء وأكون مستحقةً له، معتقدةً أنه "لا يوجد من يفعل شيئًا لشخصٍ آخر بدون

مقابل". وكان هذا هو المبدأ الذي تعلمته وعشت به لسنوات طويلة. أخبرني أهلي أن كل من يحاول مساعدتي أو التودد إليَّ، هو شخصٌ مستغلٌ، يريد أن يحصل مني على شيء في نهاية الأمر.

يقول المبدأ الذي يعيش به أهل العالم إن الإنسان يجب أن يكون جديرًا بما يحصل عليه. فإن أردنا الأصدقاء، فعلينا أن نجعلهم سعداء طوال الوقت وإلا سيرفضوننا. وإن طلبنا ترقيةً في أعمالنا يجب أن نعرف من هم في مركز سلطة ونتودد إليهم حتى نحظى بفرصة عمل أفضل. وبعد سنوات من العيش في العالم، يلحق بنا العار والخزي، ونكون في حاجةٍ ماسة لمنْ يدحرجه عنا.

كيف ترى نفسك؟

"وقد رأينا هناكَ الجَبابرَةَ، بَني عَناق منَ الجَبابرَة. فكُنّا في أعيُننا كالجَراد، وهكذا كُنّا في أعيُنهمْ" (عدد ١٣: ٣٣).

التصق العار ببني إسرائيل، فكوَّنوا رأيًا سلبيًّا عن أنفسهم، وهذا ما يتضح من الآية السابقة. رجع عشرة جواسيس من الأرض التي ذهبوا ليتجسسوها قبل أن يعبروا نهر الأردن ويدخلوا أرض الموعد، وقالوا إنها أرض يسكنها جبابرة، وإنهم كانوا في أعينهم كالجراد، وهكذا في أعين أنفسهم.

لذلك احذر من الأفكار السلبية التي يملأ بها إبليس ذهنك عن نفسك (إن سمحت له بذلك). وتذكر أنه قد بنى حصونًا في ذهنك منذ وقت طويل، كلها سلبية عن نفسك وعن طريقة نظرة الناس لك. وعادةً يديرُ إبليس بعض المواقف حيث تتعرض لمشاعر رفض الآخرين لك، ثم يذكرك بتلك المشاعر عندما تحاول التقدم للأمام.

إن الخوف من الفشل ومشاعر الرفض كلها أمور تجعل كثيرين يمكثون في البرية. لقد تركت عبودية مصر (التي دامت لسنوات طويلة) آثارها على بني إسرائيل في شعورهم بالذل والمهانة والعار والخزي. ومنَ المثير أن نلاحظ أن معظم الجيل الذي خرج مع موسى إلى البرية مات هناك دون أن يدخل أرض الموعد، وأن أولادهم هم الذين امتلكوها، وبالرغم من ذلك يقول الرب ليشوع إن عليه أن يدحرج عار مصر عنهم قبل أن يدخلوا أرض الموعد.

كيف يدحرج اللّه عار مصر عن هذا الجيل الذي وُلد في البرية؟ وكيف يمكن أن يلحق بهم عار مصر وهم لم يعيشوا هناك قط؟

إن خطايا الوالدين يمكن أن تنتقل إلينا، كما أننا نرث أفكارهم وسلوكهم واتجاه قلوبهم. ويمكن لطريقة تفكير والدك أن تصبح طريقة تفكيرك. وفي بعض الأحيان نرث طريقة التفكير من ذوينا دون أن نعرف لماذا نفكر بهذه الطريقة. فالشخص الذي يعاني من صغَر النفس، أو الذي يظن أنه غير مستحق وغير جدير ببركات اللّه يمكن أن ينقل طريقة تفكيره هذه لأولاده.

وربما أكون قد ذكرت هذا الأمر سابقًا، ولكن اسمحوا لي أن أكرره مرةً أخرى، وذلك لأهميته في حياتنا "كن واعيًا بصفة مستمرة لما تفكر فيه عن نفسك"؛ فاللّه على استعداد أن يرحمك من فشلك إن كنتَ مستعدًّا لقبول رحمته. فهو لا يكافئ الشخصَ الكامل الذي لايخطئ أبدًا، ولكنه يكافئ كل من يضع إيمانه وثقته فيه.

إيمانك باللّه يسر قلبه

"ولكن بدون إيمان لا يُمكنُ إرضاؤُهُ، لأَنَّهُ يَجبُ أنَّ الذي يأتي إلَى اللّه يؤمنُ بأنَّهُ مَوْجودٌ، وأنَّهُ يُجَازي الذينَ يَطلُبونَهُ" (عبرانيينَ ١١: ٦).

لاحظ أنه بدون إيمان لا يمكن إرضاء اللّه؛ فمهما كانت أعمالك صالحةً فهي لن ترضي اللّه إن كنت قد فعلتها لكي تنال نعمةً في عينيه. يجب أن يكون الدافع الحقيقي وراء كل ما نفعله للرب هو محبتنا له، لا لكي ننال شيئًا منه.

وتقول الآية السابقة إن اللّه يجازي الذين يطلبونه. وكم كانت سعادتي عندما قرأت هذه الآية! فأنا أعلم أني أخطأت كثيرًا في الماضي، ولكني أعلم أيضًا أني طلبت بكل قلبي. وهذا يعني أني جديرة بالمجازاة. ولهذا قررت منذ وقت طويل أن أقبل بركات الرب التي يريد أن يمنحها لي.

أراد الرب أن يُدخل بني إسرائيل أرض الموعد ليباركهم أكثر جدًّا مما يفتكرون، ولكن بعد أن يدحرج عار مصر عنهم أولاً، وعندئذ يقدرون أن يقبلوا البركات التي أراد أن يعطيها لهم. ولكن ليس قبل أن يدّحرج عنهم الخزي والعار.

بلا لوم

"كما اختارَنا فيه (في المسيح) قَبلَ تأسيس العالَم، لنَكونَ قدِّيسينَ وبلا لومٍ قُدّامَهُ في المَحَبَّة" (أفسس ١: ٤).

يا لَها من آية رائعة! حيث يخبرنا المسيح بأننا خاصته التي اختارها قبل تأسيس العالم حتى نعرف أننا محبوبون ومقدَّسون وبلا لوم أو عار أمامه.

من الطبيعي أن نفعل كل ما بوسعنا حتى نعيش حياةً مقدسةً، ولكن شكرًا للرب الذي يغفر لنا ويقدسنا. وحتى إن سقطنا في الخطية سيُعيدنا مرةً أخرى بلا لوم أو عار في المسيح.

بلا لوم وبدون تعيير

"وإنَّما إنْ كانَ أحَدُكُمْ تُعوزُهُ حكمَةٌ، فليَطلُبْ منَ الله الذي يُعطي الجميعَ بسَخاء ولا يُعَيِّرُ، فسَيُعطَى لهُ" (يعقوب ١: ٥).

هذه آية أخرى توصينا بأن نقبل من الرب الذي لا يعير. يتحدث الرسول يعقوب إلى الذين يمرُّون بتجارب وأوقات عصيبة، فيوصيهم أن يطلبوا الحكمة من الرب في مثل هذه المواقف، ثم يؤكد لهم أن الله لن يعيِّرهم، ولكنه سيعينهم ويعضدهم.

تأكد أنك لن تستطيع الخروج من البرية دون معونة الله لك. ولكن إن كانت نظرتك لذاتك نظرةً سلبيةً، وبالرغم من المعونة التي يقدمها لك الرب، فلن تتمكن من الخروج. فإن أردت أن تحيا حياةً منتصرةً إيجابيةً مُفعَمةً بالقوة، فلا تنظر لنفسك نظرةً سلبيةً. لا تنظر فقط إلى طول الطريق الذي يجب أن تسيره، ولكن تأمَّل المسافة التي قطعتها بالفعل. واذكر ما جاء في (فيلبي ١: ٦): "واثقًا بهذا عَينِهِ أنَّ الذي ابتَدأ فيكُم عَمَلاً صالِحًا يُكَمِّلُ إلَى يوم يَسوعَ المَسيح".

فكرَ وتحدث عنَ نفسك بطريقةٍ إيجابيةٍ.

٢٤
لماذا لا أحقد على الآخرين وأحسدهم عندما يكونون أفضل حالاً مني؟ عقلية برية تفكر بطريقة خاطئة (رقم ٩)

"فلَمّا رأَى بُطرُسُ هذا، قالَ ليَسوعَ: «يارَبُّ، وهذا (ويوحنا) ما لهُ؟»
قالَ لهُ يَسوعُ: «إنْ كُنتُ أشاءُ أنَّهُ يَبقَى (يعيش) حتَّى أجيءَ، فماذا لكَ؟ (الأمر لا يعينك). اتبَعني أنتَ!»" (يوحنا ٢١: ٢١-٢٢).

في (يوحنا ٢١)، تحدث المسيح مع بطرس عن المصاعب التي سيحتملها في خدمة المسيح حتى يمجد اسمه. وبعد أن انتهى من الحديث معه، نظر بطرس حوله ورأى يوحنا، فسأل المسيح أن يخبره بإرادته لحياة يوحنا أيضًا. أراد بطرس أن يتأكد أن يوحنا سيقابل نفس المصاعب التي سيقابلها هو. فأجابه المسيح بكل لطف ألا يتدخل فيما لا يعنيه.

إن التدخل فيما لا يعنيننا يبقينا في البرية. لذلك احذر من الغيرة والحقد والحسد ومقارنة أحوالك وظروفك بظروف الآخرين؛ لأن كل هذا من سمات العقلية البرية التي تفكر بطريقةٍ خاطئةٍ.

احذر الغيرة والحسد

"حياةُ الجَسَد هُدوءُ القَلبِ (الذهن) ونَخرُ العِظامِ الحَسَدُ" (أمثال ١٤: ٣٠).

الحسد يجعل الإنسان يتصرف بطريقة غير مهذبة ووقحة ووحشية في بعض الأحيان. فبسبب الحسد، باع إخوةً يوسف أخاهم عبدًا لأنه كان محبوبًا من أبيهم أكثر من الجميع.

لا تكره ولا تحسد الشخص المدلل أكثر منك في العائلة. فقط ثق في الرب وافعل كل ما يأمرك به، واطلب منه أن يعطيك نعمةً في أعين الجميع. وتأكد أنك ستكون مثل يوسف مباركًا في كل شيء.

ويُعرِّف قاموس فاين لتفسير كلمات العهد القديم والجديد، الكلمة اليونانية المترجَمة إلى "حسد" بأنها "الشعور بالضيق وعدم الرضا عندما نرى نجاح الآخرين". ويُعرِّف قاموس وبستر "الغيرة" بأنها "مشاعر حسد وخوف ومرارة"؛ أي أن الغيرة هي الخوف من فقدان ما نملك ورفض نجاح الآخرين نتيجة الحسد.

لا تقارن نفسك بالآخرين

"وكانَتْ بَينَهُمْ أيضًا مُشاجَرَةٌ (حول) مَنْ منهُمْ يُظَنُّ أنَّهُ يكونُ أكبَرَ. فقالَ لهُمْ: «مُلوكُ الأمَمِ يَسودونَهُمْ، والمُتَسَلِّطونَ علَيهِمْ يُدعَوْنَ مُحسنينَ. وأمّا أنتُمْ فليس هكذا، بل الكَبيرُ فيكُمْ ليَكُنْ كالأصغَرِ، والمُتَقَدِّمُ كالخادم»" (لوقا ٢٢: ٢٤- ٢٦).

خلال سنوات حياتي الأولى، امتلأت حَيَاتي بالغيرة والحسد ومقارنة نفسي بالآخرين. وهذه هي سمات الشخص الذي لا يشعر بالأمان؛ فالذي يشعر بالأمان يعرف قدر نفسه وقيمتها، ويعرف أنه شخص متفرِّد، أما الذي لا يشعر بالأمان فيقارن نفسه بكل من تظهر عليه علامات النجاح والرخاء. وعندما أدركت أني شخصية متميزة لدى الرب، وأن الرب قد أعدَّ خطةً خاصةً ومتفرِّدةً لحياتي، نلت حريةً لا تُقدَّر بمال العالم، وأدركت أنه لا يوجد ما يجعلني أقارن نفسي بالآخرين، أو أقارن خدمتي بخدمة الآخرين.

وكم كان الأمر مشجعًا عندما لاحظت أن تلاميذ المسيح كانوا يُعانون من كثير من المشاكل التي عانيتُ أنا منها. ففي (لوقا ٢٢) نقرأ عن مشاجرة بين التلاميذ حول من منهم الأعظم. فقال المسيح لهم إن الأعظم هو المستعد أن يكون الأصغر، خادمًا للجميع. لقد صرف المسيح وقتًا طويلًا مع التلاميذ ليعلِّمهم أن مبادئ ملكوت الله هي دائمًا عكس المبادئ التي يعيش بها أهل

العالم أو المبادئ التي نعيش بها بالجسد.

علَّمهم المسيح أن كثيرين أولين يكونون آخرين وأن الآخرين يصيرون أولين (مرقس ١٠: ٣١). وقال "افرحوا مع الفرحين" (لوقا ١٥: ٦، ٩). وقال: "باركوا لاعنيكم وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم" (متى ٥: ٤٤)؛ فبالرغم من أن العالم يطلق على هذه الأمور "حماقةً"، فإن المسيح يقول إنها "حق وقوة".

تجنَّب مقارنات أهل العالم

"لا نَكُنْ مُعجبينَ نُغاضبُ بَعضُنا بَعضًا، ونَحسدُ بَعضُنا بَعضًا" (غلاطية ٥: ٢٦).

أفضل مكان يمكن للمرء أن يوجد فيه بحسب قوانين العالم، هو أن يكون أمامَ الجميع، والتفكير البشري يقول إن علينا الوصول للقمة مهما دُسنا وتخطَّينا آخرين في الطريق. أما الكتاب المقدس فيعلمنا أننا لن نصل إلى القمة إلا بعد أن نتحرر من مقارنة أنفسنا بالآخرين.

كما أننا نرى المنافسة بين الناس حتى في ألعاب التسلية، وغالبًا ما ينتهي الأمر بمشاجرات تكون نتيجتها كره الواحد للآخر بدلًا من الاستمتاع باللعب والتسلية. لكن الإنسان لا يدخل مسابقةً إلا ليكسب، ولا يشترك في لعبة إلا ليفوز. ولهذا يبذل الإنسان كل ما في وسعه حتى يتحقق هذا الهدف، ولكنَّ هذا الإنسان الذي لا يستمتع باللعب إن لم يفُز، من المؤكد أنه يعاني من مشكلة تكون السبب في مشاكل أخرى في حياته.

وهذا لا ينفي حتمية اجتهادنا في وظائفنا؛ فلا توجد مشكلة في الرغبة في التقدم في العمل والوصول إلى مراكز أفضل. ولكن لا تنسَ أن المركز الأفضل لا يأتي من إنسانٍ بل من الله، فعلينا أن نتوقّف عن اتباع قوانين ومبادئ العالم حتى نتقدمَ في وظائفنا. وتأكد أنك ستجد نعمةً في عيني الرب وفي عيون الآخرين إن اتبعت قوانينه (أمثال ٣: ٣، ٤).

إن الحقد والحسد مشاعر آتية من الجحيم. كم من السنوات مرت وأنا أحسد كل من بدا في حال أفضل مني، أو من كانت لديه موهبة لم تكن عندي وأحقد عليه. وهكذا عشت في مقارنة غير معلنة بين خدمتي وخدمة الآخرين. كنت أريد أن تكون خدمتي أكبر حجمًا وأكثر نجاحًا من الآخرين.

كنت أعلم أني يحب أن أفرح إن كبرت خدمة شخص آخر عن خدمتي، ولكن شيئًا ما في نفسي كان يجعلني عاجزةً عن ذلك.

ولكني تحررت من الغيرة والحسد عندما زادت معرفتي بقيمة نفسي عند الله، وأن هذه القيمة لم تكن تتوقف على أعمالي. وعندئذ توقفت عن مقارنة نفسي وخدمتي بالآخرين. وكلما تعلمت أن أثق أكثرً في المسيح، تمتعت بحرية أكثر. لقد عرفت وأدركت مقدار محبة الله لي، وعلمت أنه سيفعل كل ماً هو خير لأجلي.

وقد يختلف ما يفعله الله لأجلي عمَّا سيفعله للآخرين. وعلينا أن نتذكر ما قاله المسيح لبطرس إن ما يفعله لأجل الآخرين أمر لا يعني بطرس. وعلى بطرس أن يتبع المسيح.

منذ عدة سنوات، نالت إحدى صديقاتي هديةً من الرب كنت أتمناها بكل قلبي وأصلي لأجلها. وشعرت بأن صديقتي هذه لا تستحق أن تنال هذه العطية لأنها أقل مني في المستوى الروحي، وشعرت بالغيرة منها وحقدت عليها عندما طرقت بابي لتخبرني بما فعله الرب لأجلها. ولكني بالطبع لم أظهر أيًّا من هذه المشاعر أمامها، وتظاهرت بالفرح معها لما باركها به الرب.

وعندما غادرتني شعرت في قلبي بمشاعر لم أكن أعلم أنها موجودة بداخلي؛ ففي قلبي كنت أرفض بركة الرب لها لأنها لا تستحقها. وبينما كنت أصلي وأصوم حتى يعطيها الرب لي، كانت هي تخرج وتدخل مع صديقاتها طوال الوقت. وهكذا كنت مثل الفريسي المتدين.

في بعض الأحيان، يسمح الرب بكثير من الأحداث في حياتنا ما كنا لنختارها لأنفسنا لأنه يعلم جيدًا ما نحتاج إليه؛ ففي ذلك الوقت كنت أريد التخلص من هذه المشاعر أكثر من رغبتي في الحصول على ما كنت أصلي لأجله. ولهذا السبب يسمح الرب بكثير من الأمور في حياتنا حتى نواجه حقيقة أنفسنا. ولو أن هذا لم يحدث لما تحررنا.

وطالما كان إبليس مختفيًا في نفوسنا، سيكون له السلطان على حياتنا، ولكن عندما يفضحه الرب أمامنا، وعندما نضع أنفسنا بين يدي إلهنا ليفعل بنا ما يريد، سننال الحرية.

لقد قصد الله أن تكبر خدمتي التي أعطاها لي لتصل إلى ملايين الناس عن طريق الإذاعة والتليفزيون والمؤتمرات والكتب وشرائط الكاسيت. ولكنها ما كانت لتكتمل إن لم أصل إلى حد معيَّن في نضج حياتي الشخصية معه.

فكِّر بطريقة مختلفة

"أيُّها الحَبيبُ، في كُلِّ شَيءٍ أرومُ أنْ تكونَ ناجِحًا وصَحيحًا، كما أنَّ نَفسَكَ ناجِحَةٌ" (٣ يوحنا ١: ٢).

اقرأ هذه الآية بتأنٍّ. يريد الله أن يباركنا ببركات أكثر جدًّا مما نستحق. وفي نفس الوقت، لا يريد أن يباركنا ببركات فوق احتمالنا حتى نعطيه المجد دائمًا. إن الحسد والغيرة ومقارنة النفس بالآخرين من سمات الأطفال، كما أنها أمور بحسب الجسد ولا علاقة لها بالروح. وهي من الأسباب الأساسية للحياة في البرية. لذلك راقب أفكارك من هذه الناحية. وعندما تتعرف على أفكار خاطئة بذهنك، حدِّث نفسك قائلًا: "ما هي الفائدة التي سأجنيها من الغيرة من الآخرين؟ يجب أن أتذكر أن الرب أعد خطةً وبركةً مختلفة لكل شخص فينا. فما اختاره الرب للآخرين أمر لا يعنيني". وبعد ذلك صلِّ بجديةٍ حتى يبارك الربُّ الآخرين أكثر وأكثر. ولا تخف من مصارحة الرب بما تشعر به؛ فهو يعلم ما يدور بداخلك، فتستطيع أن تتحدث معه عمَّا يضايقك. كثيرًا ما قلت للرب أشياء مثل "يارب، من فضلك بارك فلانة أكثر من كل الماضي. أنجحها في كل طرقها". أصلي هذا بالإيمان. لكني أشعر بغيرة تجاهها في داخلي، وأشعر أني أقل منها. ولكن بالرغم من مشاعري أختار أن أفعل ما أوصيتني به، سواء أردت أم لا.

ذات مرة، سمعت شخصًا يقول: "مهما حاولت أن تتميز في عمل شيء معيَّن، فسيأتي شخصٌ بعدك يعمله بطريقة أفضل". وقد تركت هذه العبارة أعظم الأثر على حياتي؛ لأني أدركت مدى صحتها. وإن كانت هذه العبارة صحيحةً، فما الفائدة من محاولاتنا المستميتة لنكون متقدمين عن كل من هم حولنا؟ فبمجرد أن نصبح رقم ١ في شيء معيَّن، سيأتي شخصٌ آخر ليتنافس معنا ويسبقنا ويتقدم علينا إن آجلًا أو عاجلًا.

ولنأخذ الألعاب الرياضية على سبيل المثال؛ فمهما كان الرقم القياسي الذي يسجله أحد اللاعبين، سيأتي شخصٌ آخر ويحطمه ويسجل رقمًا قياسيًّا آخر. وماذا عن نجوم السينما؟ فالنجم يظل متألقًا لفترة محددة إلى أن يأتي نجم آخر ليحل محله. فيا لها من حيلة خادعة تلك التي يحاولُ إبليس أن يوقعنا في شباكها! أن نعتقد أن علينا أن نصارع حتى نسبق الجميع، ونصارع حتى نظل على القمة. أخبرني الرب منذ زمن طويل بأن النجوم اللامعة التي تظهر فجأة تتالق لفترة قصيرة ثم تختفي فجأة مثلما ظهرت، وأنه من الأفضل أن يظل النجم متألقًا لفترةً أطول عاملًا ما يأمره به الرب بكل قدرته. كما أكد لي أنه سيهتم بي وبكلِّ أمور حياتي. أما من ناحيتي، فقد قررت أن أفعل كل ما يوصيني به، وأن أكون الإنسانة التي يريدني أن أكونها. لماذا؟ لأنه يعرف ما أحتاج إليه أكثر مني.

ربما نجح إبليس في بناء حصون في ذهنك في هذه الناحية؛ ففي كل مرة تتقابل فيها مع شخص متميز عنك في أمر معين، تشعر بالغيرة والحسدِ فتدخل في منافسة معَ هذا الشخص. فإن كان الأمر هكذا، فيجب أن تغير من طريقة تفكيرك.

غيِّر فكرك، وافرح لأجل الآخرين وثق في أمانة الله تجاهك. وسيحتاج هذا منك أن تصمد وتكافح. وعندما يسقط هذا الحصن الذي بناه إبليس في ذهنك وتحل كلمة الله محلَّه، تكون أنت في طريقك لترك البرية ودخول أرض الموعد.

٢٥
إن لم أفعل الأمر بطريقتي فلن أفعله!
عقلية برية تفكر بطريقة خاطئة (رقم ١٠)

"فيَجعَلونَ على الله اعتمادَهُمْ، ولا يَنسَوْنَ أعمالَ الله، بل يَحفَظونَ وصاياهُ. ولا يكونونَ مثلَ آبائهِمْ، جيلاً زائغًا ومارِدًا، جيلاً لم يُثَبِّتْ قَلبَهُ ولمَ تكُنْ روحُهُ أمينَةً لله" (مزمور٧٨: ٧- ٨).

تمرد بنو إسرائيل على الرب خلال السنوات التي قضوها في البرية، فماتوا فيها ولم يدخلوا أرض الموعد. لقد عصوا الرب عن عمد، وأوقعوا أنفسهم في المشاكل، وبعد ذلك صرخوا إليه لينجيهم، فتدخَّل ونجَّاهم، فأطاعوه لفترة حتى تحسنت ظروف حياتهم، ولكنهم سرعان ما تمردوا عليه مرةً أخرى! ويتكرر المشهد الذي سجله لنا الوحي في العهد القديم أكثر من مرة. وقد يحدث نفس الشيء معنا إن لم نسلك بالحكمة. وأعتقد أن هناك من يتَّسمون بالتمرُّد والعناد أكثر من غيرهم. وهنا يجب أن نفكر في الأمور التي أثرت على حياتنا في الماضي. كنت أتمتع بشخصية قوية منذ الطفولة، ولسنوات طويلة كنت أحاول أن أفعل كل شيء بالطريقة التي أراها مناسبةً، مهما كانَ رأي الآخرين، ومهما كانت النتائج، ولكن بسبب الأوقات العصيبة التي مررت بها في حياتي، وبسبب سوء المعاملة التي تعرضت لها، أضفتُ على شخصيتي القوية فكرًا خاصًّا بي، أني لن أسمح لأي إنسان مهما كان أن يخبرني بما يجب أن أفعله. وكان على الرب أن يتعامل مع طريقة التفكير هذه قبل أن يستخدمني في الخدمة. يطلب الرب من كل

شخص فينا أن يتخلى عن طرقه الخاصة، ويكون عجينةً لينةً يشكلها كما يريد. ولكن إن تمردنا عليه، فلن يستخدمنا. ويصعب التعامل مع الشخص العنيد أو العمل معه. والشخص المتمرد هو الذي يرفض السلطة والتوجيه، ويقصد عن عمد أن يكسر القوانين والإرشادات المتبعة. لقد كنت أنا هذه الشخصية لسنوات طويلة. كان سوء المعاملة الذي تعرضت له سببًا في رفضي للسلطة. وكما سبق وذكرت، لا يجب أن نسمح لما حدث لنا في الماضي أن يكون عذرًا لنبقى أسرى التمرد أو أي شيء آخر. إن الحياة المنتصرة تتطلب طاعةً كاملةً فوريةً لله، وعندها سنقدر وسنريد أن نتخلى عن طرقنا لنفعل مشيئة الله. ومن المهم أن ننمو باستمرار في طاعتنا له. ولا يجب أن نتوقف عند مستوى معين ونقول: "لقد قطعت شوطًا كبيرًا في هذا الأمر، فسأكتفي بهذا القدر". بل يجب أن نطيع في كل شيء، ولا نخفي على الرب أي شيء، ولا نغلق أمامه أي باب؛ ففي حياه كلٍّ منا أمور يريد أن يتمسك بها. ولكن تذكر أن خميرةً صغيرةً تخمر العجين كله (١ كورنثوس ٥: ٦).

الله يريد طاعةً لا ذبيحة

"فقالَ صَموئيلُ: «هل مَسَرَّةُ الرَّبِّ بالمُحرَقات والذَّبائح كما باستماع صوت الرَّبِّ؟ هوذا الاستماعُ أفضَلُ منَ الذَّبيحَة، والإصغاءُ أفضَلُ منْ شَحم الكباش. لأنَّ التَّمَرُّدَ كخَطيَّة العرافَة، والعنادُ كالوَثَن والتَّرافيم. لأنَّكَ رَفَضتَ كلامَ الرَّبِّ رَفَضَكَ منَ المُلك»" (١ صموئيل ١٥: ٢٢- ٢٣).

أعطى الرب شاول الفرصة ليصبح ملكًا، إلا أنه لم يحتفظ بالمركز الذي أعطاه له الرب بسبب عناده وتمرده وإصراره على أن يفعل ما يريد. وذات مرة بينما كان النبي صموئيل يوبخ شاول على عدم طاعته قال شاول: "لقد رأيتُ..." وبدأ يشرح لصموئيل نظرته للأمور، وكيف أنه يرى أن ما فعله هو الأصلح (١ صموئيل ١٠: ٦- ٨ و١٣: ٨- ١٤) . فأجابه صموئيل بأن الرب يريد طاعةً لا ذبيحة. في كثير من الأحيان نرفض أن نفعل ما يطلبه منا الرب، فنحاول أن نفعل شيئًا آخر نعوض به الله عن عدم طاعتنا له. وكم من أبناء الله يفشلون في العيش كملوكٍ على الأرض.

(رومية ٥: ١٧ ورؤيا ١: ٦) بسبب عنادهم وتمردهم! في مقدمة إحدى الترجمات التفسيرية لسفر الجامعة قال الكاتب: "الهدف من هذا السفر هو اكتشاف الحياه ككل، حتى نتعلم أن الحياه بدون هيبة واحترام لله لا معنى لها". ويجب أن نفهم أنه لا يوجد احترام ومهابة لله بدون طاعته، وأن السبب الحقيقي وراء تمرد الكثير من الأطفال اليوم هو عدم احترامهم لوالديهم. وهذا يحدث في كثير من الأحيان لأن حياة الآباء أمام أولادهم غير جديرة بالاحترام والتقدير. ويتفق معظم الدارسين على أن كاتب سفر الجامعة هو الملك سليمان الذي نال من الرب حكمةً أكثر من أي إنسان آخر. ولكن إن كان الرب قد أعطى سليمان حكمةً أكثر من أي إنسان آخر، فكيف سقط في كل هذا العدد من الخطايا؟ والإجابة في منتهى البساطة وهي أننا في كثير من الأحيان نمتلك شيئًا دون أن نستخدمه، فبالرغم من أن لنا فكر المسيح، فإننا لا نستخدمه. وبالرغم من الحكمة التي يعطيها لنا المسيح، فإننا لا نستخدمها أيضًا. أراد سليمان أن يفعل كل ما يريد، وأن يسلك في الطريق الذي اختاره لنفسه. لقد قضى حياته يجرب شيئًا تلو الآخر. كان يمتلك كل ما يمكن أن يشتريه المالُ من مباهج العالم، ولكنه في النهاية ختم سفره بالقول "فلنَسمَعْ ختامَ الأمرِ كُلِّه: اتَّقِ اللهَ (لتكن في قلبك مخافة الله) واحفَظْ وصاياهُ، لأنَّ هَذا هو الإنسانُ كُلُّهُ (لأنه لأجل هذا الغرض خلق الله الإنسان)" (جامعة ١٢: ١٣). والآن دعوني أفسر هذه الآية بحسب فهمي لها: لقد خلق الله الإنسان ليعبده ويتَّقيه ويطيع وصاياه؛ فسعادة الإنسان ورضاه يكمنا في طاعته لله. فلا يوجد إنسان سعيد على الأرض دون أن يكون مطيعًا لله. وكل مشكلة في حياتنا يمكن أن تُحَل عن طريق طاعتنا لله. يجب أن تكون طاعة الرب أسلوب حياه لكل إنسان. فلماذا لا تدرس هذه الآية بنفسك؟

نتيجة الطاعة الثواب
أما العصيان فالعقاب

"لأنَّهُ كما بمَعصيَةِ الإنسانِ الواحدِ جُعلَ الكَثيرونَ خُطاةً، هكذا أيضًا بإطاعَةِ الواحدِ سَيُجعَلُ الكَثيرونَ أبرارًا" (رومية ٥: ١٩).

لا تؤثر طاعتنا لله أو عصياننا له على حياتنا فقط، ولكنها تؤثر علي حياه كثيرين أيضًا؛ فلو أطاع بنو إسرائيل الرب على طول الخط، لأصبحت حياتهم أفضل بكثير. ولكن بسبب عصيانهم وتمردهم مات كثيرون منهم وأولادهم في البرية دون أن يدخلوا أرضَ الموعد. لقد أثَّر عصيانهم وتمردهم على أولادهم أيضًا. وهذا ما يحدث معنا. قال لي ابني الأكبر مؤخرًا: "يا أمي، أريد أن أقول لكِ شيئًا وربما تمتلئ عيناي بالدموع، فقط استمعي إليَّ. كنت أفكر فيكِ وفي والدي وفي السنوات التي قضيتماها في خدمة الرب وفي طاعتكما لله بالرغم من صعوبة هذا الاختبار في كثير من الأحيان، وأدركت صعوبة الأشياء التي اجتزتما فيها والتي قد لا يعرف عنها أحد. وفي صباح هذا اليوم، أعلن لي الرب مدى البركة التي باركتما بيها حياتي بسبب طاعتكما للرب وأريدك أن تعرفي كم أنا فخور بكما!" تشجَّعت كثيرًا بما قاله ابني في ذلك اليوم وذكَّرني بما جاء في (رومية ٥: ١٩).

تؤثر طاعتك لله على حياه الكثيرين، كما يؤثر تمردك وعدم طاعتك لله على الآخرين أيضًا؛ فربما تختار أن تتمرد على الرب وتعصى أوامره مفضلًا أن تبقى في البرية، ولكن تذكَّر أن اختيارك هذا سيؤثر على أولادك أيضًا وسيجعلهم يبقون في البرية معك. وربما ينجحون في دخول أرض الموعد عندما يكبرون، ولكني أؤكد لك أنهم سيدفعون ثمن عدم طاعتك وتمردك. وقد تكون حياتك مزدهرةً اليوم بسبب طاعة والديك في الماضي. للطاعة أثرها البالغ في حياه كل فرد فينا؛ فهي تغلق أبواب الجحيم وتفتح أبواب السماء. وبوسعي أن أكتب كتابًا كاملًا عن الطاعة، ولكن دعوني أختم بهذه العبارة: إن حياه التمرد والعصيان هي إحدى ثمار التفكير الخاطئ.

مستأسرين كل فكر لطاعة المسيح

"إذ أسلحَةُ مُحارَبَتنا ليستْ جَسَديَّةً، بل قادرَةٌ بالله علَى هَدم حُصون. هادمِينَ ظُنونًا وكُلَّ عُلو يَرتَفعُ ضدَّ مَعرفَة الله، ومُستأسِرينَ كُلَّ فكرٍ إلَى طاعَة المَسيح" (٢ كورنثوس ١٠: ٤-٥).

كثيرًا ما تُوقعنا أفكارنا في كثير من المشاكل، فيقول الله في (إشعياء ٥٥: ٨): "لأنَّ أفكاري ليستْ أفكاركُمْ، ولا طُرُقُكُمْ طُرُقي، يقولُ الرَّبُّ".

لقد كتب الله أفكاره في هذا الكتاب الذي نطلق عليه الإنجيل، ولهذا يجب أن نمتحن أفكارنا في ضوء كلمة الله، وأن نكون مستعدين دائمًا لتسليم أفكارنا له، عالمين أن أفكاره من نحونا هي أفكار خير وسلام. ولهذا السبب، كتب الرسول بولس ما قرأناه في (٢ كورنثوس ١٠: ٤- ٥). فأشجعك على أن تمتحن أفكارك؛ فإن لم تتفق مع كلمة الله، فانتهرها وفكر بأفكاره هو. يعيش الكثيرون بحسب أفكارهم، فيجلبون الدمار لحياتهم وحياة من هم حولهم أيضًا. وتذكر أن الذهن هو أرض المعركة. وعلى أرض المعركة، تنال النصرة في الحرب التي شنها عليك إبليس أو تلحق بك الهزيمة. وصلاتي أن يعينك هذا الكتاب على أن تهدم كل ظنون وكل علو يرتفع ضد معرفة المسيح، وتستأسر كل فكر إلى طاعة المسيح.